مجلة الأزهر

جمادى الأولى ١٣٨٣ هـ — أكتوبر ١٩٦٣ م

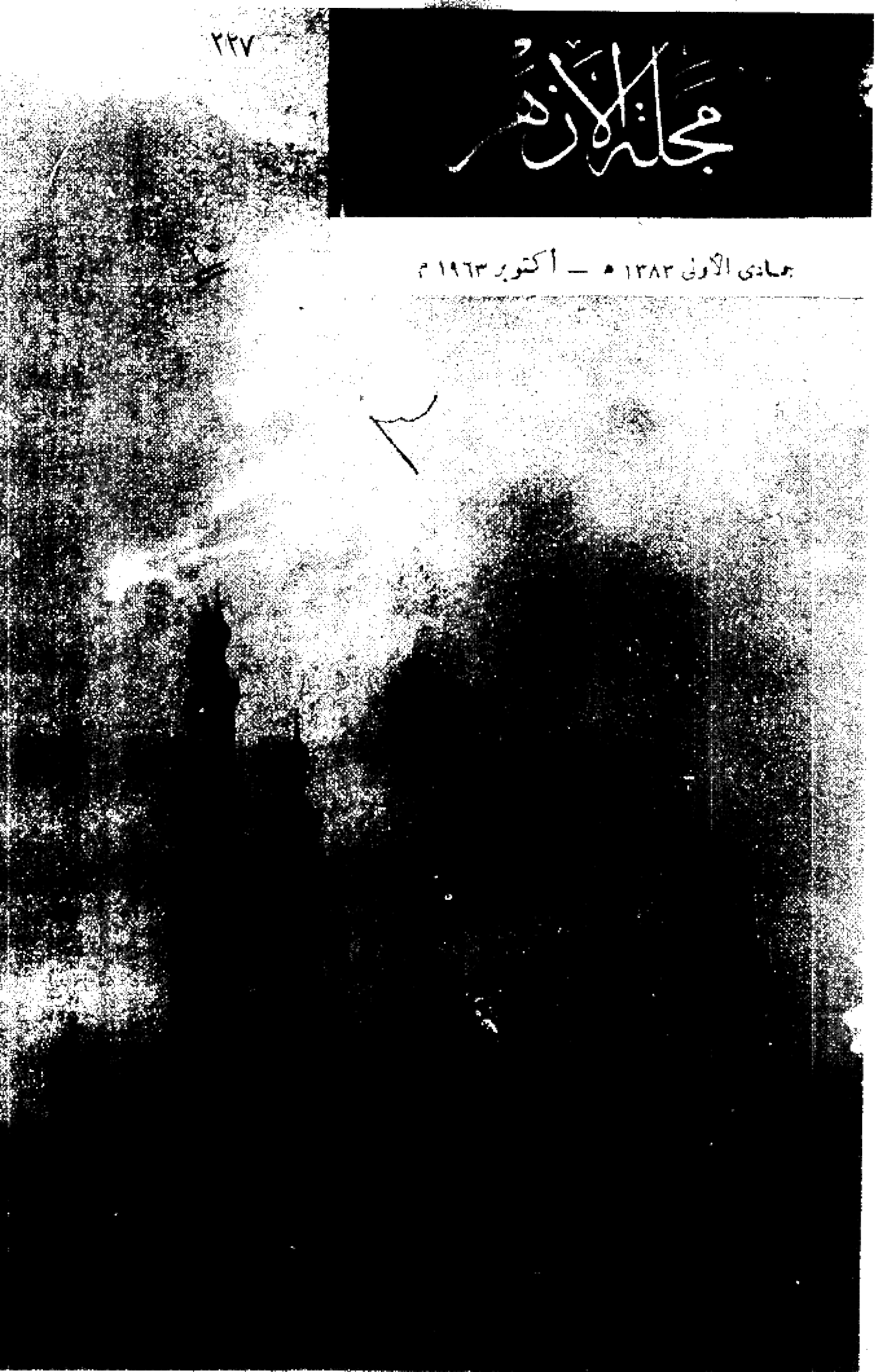

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
العنوان
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

يشترك في تحريرها
عباس محمود العقاد
بدل الاشتراك
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

الجزء الثالث — السنة الخامسة والثلاثون — جمادى الأولى سنة ١٣٨٣ هـ - أكتوبر ١٩٦٣ م

الوحدة الإنسانية مزية الدعوة المحمدية

بقلم : أحمد حسن الزيات

أدرك الزنوج السود والهنود الحمر أخيراً أنهم لا يزالون في الدركة السفلى من سلم المجتمع المسيحي الأمريكي بعد أن شاركوا القوم في لغتهم ودينهم وثقافتهم وحضارتهم، واطمأنوا إلى إعلانهم حقوق الإنسان في (هيئة الأمم المتحدة) في ديسمبر من عام ١٩٤٩، وظن أبناء الآب حام أنهم أصبحوا في ظلال الإخاء والحرية والمساواة إخوة لأبناء العم سام، يتمتعون معهم بكرامة الآدمية ونعمة الديمقراطية ونعيم الحضارة ... أدركوا بعد أولئك كله أنهم ما زالوا يعاملون في وطنهم ومن مواطنيهم معاملة المنبوذين الأنجاس، لا يساكنونهم في عمارة، ولا يزاملونهم في مدرسة، ولا يجالسونهم في ملهى، ولا يؤاكلونهم في مطعم، ولا يعاملونهم إلا معاملة الحيوان المسخر والرقيق المستغل. فثار في نفوسهم ما هدأ على طول الزمان والجاح الهوان من حمية الإنسان الحر، فضجوا واحتجوا وأطلقوا آلامهم بالمظاهرات الهاتفة والمسيرات الصامتة، حتى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أن تبلغ أناتهم مسامع (البيت الأبيض) فيعى ، وقلوب (الشعب الأبيض) فيحس . ومن وراء ذلك الوعى وهذا الإحساس يتمنى الملونون أن يدخلهم المستكبرون فى مفهوم الإنسان الذى أعلنوا له الحقوق ، ومحوا ما بينهم وبينه من الفروق !

دعانى ذلك إلى التفكير فى أمر التفرقة العنصرية فى أمريكا وإفريقيا وفى سر التفرقة الدينية فى فيتنام الجنوبية ، فأيقنت مرة أخرى أن العصبية الحمقاء هى علة العلل فى التفريق بين الأسر والقبائل والأوطان والألوان والعقائد ، فإن المتعصب المفرد أو الجمع متى واتته القدرة وأمكنه السلطان لا يستطيع أن يبرئ قيادته ولا سياسته من هواه ، فيزن بميزانين : هنا الخفة وهناك الثقل ، ويكيل بمكيالين : هنا الاستيفاء وهناك التطفيف ، ويحكم بقانونين : هنا الرحمة وهناك القسوة ، وبهذه التفرقة التعسفية بين الإنسان والإنسان فى الحقوق والواجبات تضطرب الأمور وتفسد النفوس ويشقى العالم ! .

المسلمون وحدهم هم الذين سلموا من داء التفرقة العنصرية واللونية والعقيدية ؛ لأن شرعهم هو شرع الله ، وما كان لبشر سليم الفطرة ليرتاب فى أن الذى برأ الخلق على اختلاف فى القدرة والحيلة ، وأنشأ الغرائز على اتفاق فى الطمع والغيلة ، هو أعلم بما سينشأ فى كونه من تصادم القوى وتعارض الأهواء ، فلا جرم أن يكون شرعه دستوراً كاملا تصلح عليه شئون الفرد وأحوال الجماعة من كل جنس وفى كل عصر وعلى كل أرض .

ولقد كانت إدامتى النظر والفكر فى مصادر الإسلام الصافية مصداقا لهذه الفكرة ؟ فإن غير الله لا يملك أن يضع فى الإسلام هذه الأسس والقواعد التى تضمن نظام العالم وسلامه مهما تختلف الأجيال ويتطاول الأمد . وهل كان لولا وحى الله فى مقدور رجل أمى نشأ فى قرية جاهلة من قرى الحجاز الجديب أن يعلن فى أوائل القرن السابع حقوق الإنسان وحريته وهى التى أعلن بعضها فى فرنسا سنة ١٧٨٩ ثم أعلن بعضها فى أمريكا سنة ١٩٤٩ ولم يكن هذا الإعلان ولا ذاك إلا فورة نفاق جاشت ثم قرت .

لم يكن الشرع الإلهى إلا إشراقا انبثق من السماء فى غار حراء فكشف للرسول الكريم عن أطوار النفس البشرية فى طوايا الغيب ، فدعا دعوته الخالدة إلى تكريم الإنسان وتنظيم العمران وتعميم الخير وتحقيق السعادة من طريق التوحيد والمؤاخاة والمساواة والحرية والسلام ؛ فالتوحيد سبيل القوة ، والمؤاخاة سبيل التعاون ، والمساواة سبيل العدل ، والحرية سبيل الكرامة ، والسلام سبيل الرخاء . وتلك هى الغايات

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

التي ترجو الإنسانية بلوغها عن طريق العلم والمدنية فلا تنكشف أمانيها بعد طول السرى وفرط الغروب إلا عن سحاب خلب وسراب خادع .

هذه المبادئ المثالية التي تضمنتها دعوة الإسلام معلومة من القرآن بالنصوص الصريحة فلا موضع فيها لتأويل أو تحميل أو تكلف . فالتوحيد كما قلت في موضع آخر ركن من أركان الدين وعنوان من عناوينه . وهو من الكلم الجوامع التي وعت جوهر الإصلاح وسر النجاح لكل مجتمع وأمة ؛ وهو توحيد الله ، وتوحيد العقيدة ، وتوحيد القبلة ، وتوحيد اللغة ، وتوحيد الغاية ، وتوحيد الحكم ، وتوحيد التشريع ، وتوحيد الدين والدنيا . وشواهد التوحيد في أشتات معانيه مذكورة في كتاب الله لا يختلف في مدلولها أحد .

* * *

إن وحدة الإنسانية هي مزية الدعوة المحمدية على كل دعوة .. في سبيلها صدق الإسلام بكل دين أنزل ، وبكل رسول أرسل . ودعا الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا إلى خطة واحدة وكلمة سواء . ثم وصل الدين بالدنيا وكانت اليهودية والنصرانية تفصل بينهما ؛ فالأولى كان سبيلها الصفق والاجتراح ، والأخرى كان سبيلها الرهبانية والنسك . ولكن الإسلام جعل الدين للدنيا كالروح للجسد . فلا تصلح إلا بوحيه ، ولا تسير إلا على هديه . ثم آخى بين المؤمنين ليجتمعوا على صدق المودة ، ويتعاونوا على لأواء العيش ، فلا يبغي قوي ولا يبخل غني ولا يظلم متسلط .

بدأ ذلك بالتأليف بين الأوس والخزرج والمؤاخاة بين الأنصار والمهاجرين ، ثم توثقت عرى الإخاء بين المجاهدين في سبيل الله حتى صار المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا .

كذلك في سبيل الوحدة الإنسانية والأخوة الإسلامية فرض الإسلام الزكاة وشرع الحج وأمر بالإحسان والبر ، ثم سوى بين الناس على اختلاف ألسنتهم وألوانهم في الحقوق والواجبات بمحو العصبية الوطنية وقتل النعرة الجنسية ، وجعل التقديم والتكريم للتقوى فقال الرسول الكريم في خطبة الوداع : « إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى » .

وفي هذه الأصول الإسلامية كما ترى أفضل ما في الديمقراطية ، وأعدل ما في

(البقية على الصفحة التالية)

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الرحمة المهداة

للإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر

منذ أربعة عشر قرنا ، عند ما أراد الله لبنى الإنسان الهداية والرحمة ، خرج إلى هذا الوجود محمد بن عبد الله صلوات الله عليه وسلامه يتيما من الأب الذى مات قبل أن يولد ، فقيراً تتحاف عنه المراضع الباحثات عن الثراء بين ولدان مكة ، فانشق بمولده إيوان كسرى إيذانا بميلاد دولة الحق وخمدت فى نفس الوقت نيران فارس إيذانا بأمة التوحيد .

لا إله إلا الله وحده .

الناس كلهم عباد وإخوة ، سواسية كأسنان المشط ، لا سادة ولا عبيد بعد اليوم ، كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى وطاعة الله .

وما أجدر المسلمين أن يتعرفوا عظمة نبيهم محمد التى تجلت آثارها فى أطوار حياته كلها ، فلم تكن عظمته من جنس العظمات البشرية المألوفة ، فهى ليست من عظمة الملوك الجبارين ، الذين يستعذبون أنين الإنسانية واستعباد الخلق وليست من عظمة القواد الطاغين الذين يقسون فى الأرض ، وليست من عظمة الأغنياء الموسرين الذين يستكبرون فى الأرض بغير الحق ، إنها عظمة رحمة

(بقية المنشور على الصفحة السابقة)

الاشتراكية، وأجل ما فى المدنية ، فهى حرية أن تصلح ما فسد من أمور الناس ، وتقيم ما اعوج من نظام الدنيا ، ولقد كانت كذلك يوم كانت لحماتها دولة ، ولدعاتها صوت ، ولمعتقديها يقين . فلما دالت الدولة ، وخشع الصوت ، وأراب اليقين ، تمزق المسلمون قطعانا فى فدافد الأرض ، لا مرعى يجود ، ولا راع يذود ، ولا حظيرة تؤوى .

ثم كانوا بتخلفهم عن ركب الحضارة حجة على الإسلام فى رأى السفهاء من مرضى الهوى أو الجهل فصموا عن دعائه ، وعموا عن ضيائه !

فليت شعرى متى يتاح لدعوة محمد أن تتجدد ، ولأمة محمد أن تتوحد ، فتجمع بين القوتين قوة الروح بالدين وقوة المادة بالدنيا !

أحمد حسن الزيات

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الرحمة المهداة

للإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر

منذ أربعة عشر قرنا ، عند ما أراد الله لبنى الإنسان الهداية والرحمة ، خرج إلى هذا الوجود محمد بن عبد الله صلوات الله عليه وسلامه يتيما من الأب الذى مات قبل أن يولد ، فقيراً تتحاف عنه المراضع الباحثات عن الثراء بين ولدان مكة ، فانشق بمولده إيوان كسرى إيذانا بميلاد دولة الحق وخمدت فى نفس الوقت نيران فارس إيذانا بأمة التوحيد .

لا إله إلا الله وحده .

الناس كلهم عباد وإخوة ، سواسية كأسنان المشط ، لا سادة ولا عبيد بعد اليوم ، كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى وطاعة الله .

وما أجدر المسلمين أن يتعرفوا عظمة نبيهم محمد التى تجلت آثارها فى أطوار حياته كلها ، فلم تكن عظمته من جنس العظمات البشرية المألوفة ، فهى ليست من عظمة الملوك الجبارين ، الذين يستعذبون أنين الإنسانية واستعباد الخلق وليست من عظمة القواد الطاغين الذين يقسون فى الأرض ، وليست من عظمة الأغنياء الموسرين الذين يستكبرون فى الأرض بغير الحق ، إنها عظمة رحمة

(بقية المنشور على الصفحة السابقة)

الاشتراكية، وأجل ما فى المدنية ، فهى حرية أن تصلح ما فسد من أمور الناس ، وتقيم ما اعوج من نظام الدنيا ، ولقد كانت كذلك يوم كانت لحماتها دولة ، ولدعاتها صوت ، ولمعتقديها يقين . فلما دالت الدولة ، وخشع الصوت ، وأراب اليقين ، تمزق المسلمون قطعانا فى فدافد الأرض ، لا مرعى يجود ، ولا راع يذود ، ولا حظيرة تؤوى .

ثم كانوا بتخلفهم عن ركب الحضارة حجة على الإسلام فى رأى السفهاء من مرضى الهوى أو الجهل فصموا عن دعائه ، وعموا عن ضيائه !

فليت شعرى متى يتاح لدعوة محمد أن تتجدد ، ولأمة محمد أن تتوحد ، فتجمع بين القوتين قوة الروح بالدين وقوة المادة بالدنيا !

أحمد حسن الزيات

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وعطف، عظمة هداية وإرشاد، عظمة تثقيف وتهذيب، عظمة إصلاح وتعمير، عظمة سلم وأمان، عظمة تتمثل فى تلك التعاليم التى وحدت بين قلوب متنافرة، وربطت بين قبائل مبعثرة، كونت منها أمة مهيبة الجانب، عزيزة المنال، ذات شخصية ثابتة استطاعت أن تسوس شعوب الأرض على دعائم قوية من العلم والمعرفة، والحكمة والعدل، والتضحية والإخلاص.

وهكذا تلمع هذه الذكرى المحببة فى كل موطن من مواطن الإسلام، عقيدة وعبادة وقدوة واهتداء، وتفتر عنهما ملايين الألسنة والشفاه فى مشارق الأرض ومغاربها كلما أذن مؤذن، أو أجاب مجيب، أو صلى مصل، أو أمن مؤمن، أو تلا قارئ، أو حدث محدث.

كان إيمان الأولين بهذه الذكرى، وبصاحب هذه الذكرى عليه السلام إيمانا عملياً، بالأفعال قبل الأقوال، بالقلوب والأرواح قبل الصور والأشباح، بالدماء بالأموال، بالأولاد، بالأهل والعشيرة، بالمتاع والنعيم، بكل لون من ألوان التضحية والإيثار والجهاد: آمنوا بنبيهم. وذكرى نبيهم لا عن طريق الخطب تلقى فى شمائله، ولا عن طريق الحفلات تطلق فيها الأنوار الصناعية وإنما آمنوا عن طريق اتباعه وإحياء سنته والتحلى بأخلاقه، وإقامة شرعه ودينه، آمنوا بهذا وعلموا أن الإيمان الحق يثمر المحبة الصادقة، وللمحبة الصادقة حقوق وعليها تبعات، فمن حقوقها المتابعة للمحبوب، والرضا بما يرضيه، والغضب لما يغضبه، ومن تبعاتها تحمل المشاق والتضحية بأعز شىء فى سبيل الوصول إلى رضاه: «قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله»(١)، «قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره»(٢).

هكذا كان شأن المؤمنين الأولين يوم كان الإيمان قوياً فى النفوس، تشتعل جذوته فتلتهب الجوارح، وتبذل الأنفس، وهكذا كانت الذكرى ماثلة فى كل شىء: فى أقوالهم إذا نطقوا، فى حركاتهم إذا تحركوا، فى سكونهم إذا سكنوا، فى جميع شئونهم الفردية والاجتماعية، السرية والعلنية، الدنيوية والأخروية أساسها هذا النور المبين الذى جاء به محمد عن ربه، فكان دستور الحياة، وينبوع العزة والقوة والسعادة: «إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين

(١) سورة آل عمران آية ٣١.
(٢) سورة التوبة آية ٢٤.

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أحسب أنى استفدت من هذه الخصلة عادة أنسب إليها كل عمل ناجح قدرت عليه منذ صبايا الأول ، وأعنى بها عادة الانتظام فى المواعيد ، لأن انتظام مواعيد الصلاة فى منزلنا كان يتبعه انتظام المواعيد فى كل شىء : فى تناول وجبات الطعام ، وفى الذهاب إلى المدرسة أو الديوان ، وفى أوقات النوم واليقظة ، وفى أوقات الذهاب إلى السوق ، وفى أوقات المذاكرة أو اللعب أو مقابلة الناس .

ومن تنظيم المواعيد تعلمت تقسيم الأعمال على حسب أوقاتها ، فلا سبيل إلى تأجيل عمل منها بعد ذلك لعارض من العوارض المتجددة على غير انتظار ... ومن هنا اعتذارى - حتما - عن كل دعوة تعارض تلك الأوقات المقدورة على حسب الأعمال .

وعلمنى تقسيم الأعمال والأوقات فائدة لا نظير لها فى مواجهة المتاعب والمشكلات .

فنحن لا نتعب من عشرة أعمال كبار نؤديها فى أوقاتها كما نتعب من عملين صغيرين نرتبك بينهما : أيها نبدأ به وأيها نؤجله ، وأيها نستعد له ، وأيها لا يحتاج إلى استعداد .

إن « الربكة » بين الأعمال هى أكبر المعطلات وأخطرها ، وتقسيم الأعمال على حسب أوقاتها يريحنا من الربكة ويفرغ قدرتنا كلها لكل عمل فى حينه ، ولا فرق بين العمل الكبير والعمل الصغير ما دمنا قادرين على هذا وذاك ، وما دمنا نعطى هذا وذاك كل ما هو أهله من العناية والوقت وهدوء التفكير .

إذا قلت إن مبادئى فى أساسها دينية فهذا المثل يفسر ما أعنيه : لأنه يدل على أن الأساس الدينى قد يبنى عليه مثل هذا البناء من تنظيم الوقت وتقسيم العمل والإعراض عما هدا ذلك من الحواشى والفضول .

وتلازمنى النظرة الدينية إلى الأشياء من حيث أريد ، أو لا أريد .

وأعنى بالنظرة الدينية تلك النظرة التى لا تقنع بالجانب المادى أو الجانب الدنيوى ، فى أية تجربة من تجارب الحياة ... فلا تخلو منها نظرتى إلى الكون فى عصر العلم ، ولا نظرتى إلى الدراسات الأدبية ، ولا نظرتى إلى قيم الأخلاق أو إلى المعاملات بين الناس ... وقد يخفى أثر هذه النظرة أو يظهر لأول وهلة ولكنه كائن مستقر فى طبيعته الخفية وإن تعددت تفسيراته وترجماته على اللسان .

قيل إن عصرنا هذا هو عصر المادة كما سماه بعضهم منذ أواسط القرن التاسع عشر ، ولكننى أنظر إليه فأرى أن التسمية الآن

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

لا تصيب ، وأنها لا تقرر لنا الواقع إن كانت قد أصابت أو قررت الواقع قبل ستين سنة ... لأن الذين قالوا عن أنفسهم إنهم ماديون إنما قالوا ذلك لأنهم كانوا يحسبون أنهم حصروا وجود المادة بدق الأيدى وطرق الأرجل ، أو بلمحة العين وسماع الأذن ، وأنهم حصروا الوجود الصحيح بذلك ، وكل ما عداه فهو شيء غير موجود لأنه غير منظور وغير مسموع وغير مدقوق بالأيدى أو مطروق بالأقدام ..

فاليوم يثبت لنا العلم أن إدراك حقيقة المادة كإدراك حقيقة الروح ، وأن الذين ظنوا أنهم محققون لأنهم ماديون ، لا يعرفون من المادة فى النهاية إلا أنها معادلات رياضية وذبذبات فى الأثير ، ثم لا يعلمون عن الأثير أكثر مما يعلمون عن عالم الروح :

كل عنصر من عناصر المادة فهو يتألف من النواة والكهرب ، وكل نواة تنقسم فإذا هى شعاع ... وما الشعاع ؟ هزات فى الأثير ... وما الأثير ؟ قل عنه عند ربى كما تقول عن عالم الروح فليس للماديين أن يتطاولوا بالعلم هنا على الروحانيين أو العقليين ، أو ما شاء وا من المفكرين والمؤمنين غير الماديين .

ويقال عن هذا العصر أيضا إنه عصر الفضاء ، وهو كذلك عصر الفضاء .

ولكن العصور جميعا - فيما أعلم - لم تعرفنا بقيمة الأرض بين الأفلاك السماوية كما عرفنا عصر الفضاء بقيمة الأرض السماوية ، لأنها قيمة تنفرد بها بين الشموس والكواكب والسيارات . فإن لم تكن منفردة بها فهى - على التحقيق - أعجوبة نادرة لم تصل أرصاد الفلك إلى مثيل لها فى آفاق السموات ، ومن هذه الأرصاد ما يرى بالبصر إلى ألوف الألوف من السنين الضوئية .

فليس من حوادث الفلك المتكررة كل سنة ، أو كل ألف سنة أو كل مليون سنة - أن تتجمع منظومة شمسية بسياراتها كما تجمعت منظومتنا الشمسية ... وليس من حوادث الفلك المتكررة أن تكون بينها سيارة تتوسط فى وقت واحد ، فى درجة الحرارة ، وفى مقدار الحجم ، وفى قوة الجاذبية ، وفى تداول النهار والليل والنور والظلام وفى تقسيم العناصر ولا سيما العناصر الصالحة للحياة .

وليس من الحوادث المتكررة أن تجتمع هذه المصادفات كلها فى التوسط والتقابل ، لتكون هى الأوفق لظهور الحياة على ظهرها

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ومن المحقق أن الكشوف الحديثة لم تكشف لنا عن كائنات عقلاء يسكنون السيارات العليا ويحاولون أن يعرفونا كما نحاول نحن أن نعرفهم ، فلماذا لم يحاولوا كما نحاول ؟ ولماذا لم يسبقونا أو يشتركوا معنا فى بحثنا عنهم وبحثهم عنا ؟ ...

كل تفسير لهذا السر ينتهى بالعلم إلى السر الذى عرفناه بالإيمان : إن هذه الكرة الأرضية فى مكان خاص من الكون الواسع ، ولا يغير هذه الحقيقة كشف من كشوف الفلك يدانا بعد حين على سكان عقلاء على مسافة كذا من الملايين من السنين الضوئية . فإن سر الحياة - بعد ذلك - لا يزال سرا نادرا ، يحتاج إلى اختصاص عجيب بين أرجاء السموات الواسعة ولا تقوى على إظهاره كل مادة تتفاعل ولا كل حركة تحملها الذرات والكهارب والنويات بين ملايين الأجرام السماوية ، فى ملايين السنوات الضوئية أو غير الضوئية .

وهذه فلسفة يقول الماديون - إذا شاءوا - إنها لم تخل من أثر التفكير الدينى القديم ... ونحن نسبقهم ، أو قد سبقناهم إلى الكشف عن أساسها الدينى القديم ، ولكننا فى هذا العصر نتعلم من التفكير المادى أيضا - إذا صح علم الماديين - دروسا جمة فى التواضع أمام الحقائق الكونية ، وأمام حقائق الحياة ... فإن سر المادة قد أصبح اليوم أحوج إلى الإيمان من سر الروح ، وإن عصر الفضاء هو الذى يقول عن الحياة إنها ظاهرة خاصة بين ظواهر الكون ، وإنها بعد تفسير المادة فى حاجة إلى تفسير كثير ؛ لأن المادة موجودة فى كل مكان ، ولكن الحياة توجد هنا وهناك على آفاق بعد آفاق ، ولعلها لا توجد هناك فى مكانها المجهول إلا على الظن والتقدير .

* * *

ولكل منا - نحن بنى الإنسان - فلسفاتنا الكثيرة أو مبادئنا الكثيرة ، إلى جانب هذه الفلسفة الكبرى التى تحيط بها مسألة المسائل عندنا : وهى مسألة الحياة كلها ، أو مسألة الوجود بما تتسع له أمامنا من ظواهره وخفاياه .

لكل منا فلسفاته أو مبادئه ، فيما يعنيه من شئون النفس ، أو شئون المعيشة ، أو شئون الناس

وتلك هى مبادئ فكرية ، أو عملية تهدينا اليها التجارب المتتابعة ، ثم يأتى دورها فتهدينا هى إلى تصحيح تجاربنا ، وإلى اختصار محاولاتنا المشتتة فى محاولة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

واحدة : هي أهدى منها وأقرب إلى القصد وتوفير الأوقات والجهود .

وهذه المبادئ على كثرتها ، يمكن بالتجربة أيضا أن نجمعها - فيما يعنينا نحن المشتغلين بالأدب والفن - في أصول ثلاثة من المبادئ الشاملة : مبدأ الأدب والفن ، ومبدأ الأخلاق ، ومبدأ المعاملة ، وكلها من المبادئ التي يصح أن تكون عقيدة إيمانية لارتباطها بالوجدان والشعور كما يصح أن تكون قضية فكرية لارتباطها بالأسباب ومسوغات العقل والنظر .

مبدأ المبادئ - فيما اهتديت إليه من تجارب الآداب والفنون ، أن الفن كله تعبير جميل عن الشعور الإنساني الصادق : الفن هو الإنسان معبرا عنه ، والتعبير هو قدرة إنسانية جميلة ، أجلها هو الذي يستطيعه أصدق المعبرين :

وليكن الإنسان ما شاء فالتعبير الصادق عنه هو الفن الذي يحيا ، ويستحق أن يخلد خلود الإنسان .

ليكن ابن هذا البلد وذاك ، وليكن ابن هذه الطبقة أو تلك ، وليكن فتى أو شيخا وفقيرا أو غنيا ، ومتحدثا عن الطعام والكساء ، أو متحدثا عن الفضاء والهواء ، أو عن زهرة على الأرض أو نجم في السماء .

إنه إذا كان إنسانا صادقا في كل هذا ، أو في بعض هذا ، فحسبنا منه تعبيره كما يعبر الإنسان ... فإن يكن قد ألغى إنسانيته فليذهب بعيداً عنا نحن بني الإنسان ، فلا شأن لنا ببلده ولسانه ، ولا بغناه وفقره ، ولا بطعام معدته أو كساء جلده ، حيث يتساوى طعام الإنسان والحيوان ، ويتلاقى نسيج الآدمي وجلد النمر وصوف الخروف .

أما مبادئ الأخلاق فلست أعرف لها قاعدة تقام عليها خيرا من القاعدة التي تقام عليها جميع مطالبنا وحاجاتنا .

نحن نطلب الثمرة الجيدة ولا ننتظر من أحد أن يكافئنا على اختيارنا ، بل نحن نبذل فيها أضعاف ما نبذله في الثمر الرديء ، وكذلك نصنع حين نختار الملبس والمسكن والدواء : لا ننتظر أن نأخذ جزاء على اختيار الحسن منها ، بل نحن نعطي المزيد من الجزاء حيث وجدناها .

وكذلك الخلق الجميل ، هو أحرى أن نحمل كلفته ونبذل في سبيله ، من أن نعمله ونترقب المكافأة عليه ... أو كما قال حكيمنا العظيم أبو العلاء :

فلتفعل النفس الجميل لأنه
خير وأجمل ، لا لأجل ثوابه

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أما معاملة الناس فالخير كل الخير أو الراحة كل الراحة ، أن نحسبهم بصفاتهم وطباعهم لا بأسمائهم وأشخاصهم : فإننا إذا ابتلينا منهم بصفات الطمع والخداع والحسد والجهل والكسل وما إليها إلى غير نهاية — لم نفاجأ منهم بجديد ولم نشعر بصدمة المفاجأة بعد تجاربنا الأولى معهم : إذا ابتلينا منهم بألف طامع كل حين قلنا لأنفسنا : وما ذاك ؟ وأى غرابة فى طمع هذا الطامع اليوم ؟ أليس الطمع أمراً معهودا من بنى آدم وحواء ؟ أليس طامعنا هـــذا كأولئك الطامعين ، أو كهؤلاء الطامعين ..

ذلك أصوب وأدنى إلى الراحة من أن نحاسب الناس فلانا بعد فلان ، وزيدا بعد زيد ، وبكرا بعد بكر ، وخالدا بعد خالد ... بأن الطمع من كل منهم - إذن - ليبتلينا بمفاجأة جديدة وصدمة جديدة فى كل حادثة جديدة ، ولا نهاية للتجارب المتكررة على هذا المنوال .

وأحسبنى لا أبرئ الذمة إذا زعمت أننى حدثتكم عن فلسفتى فى النظر إلى الكون والحياة ، وإلى الآداب والفنون ، وإلى الأخلاق والمعاملات ، ولم أحدثكم عن شئون كل يوم من عادات المعيشة فى المقام والطعام ، وبخاصة حين تعود بنا هذه الشئون إلى فاتحة الحديث عن العبادة والنظام .

أرى مما راقبته من أمر نفسى أننى لا أغير عادة من العادات إلا ما عرفت سببا لتغييره أو لمست وجه الحكمة فى هذا التغيير ، فلم أغير شيئا قط لأنه زى تغير ، ولم أنتحل زيا قط لأنه زى شاع . ومن هنا أننى لم أغير مسكنى المأجور أكثر من خمس وثلاثين سنة وأننى ألبس اللفاع - أو الكوفية - اليوم كما لبستها فى إبان صباى ، لأنها من مطالب الوقاية الصحية وليست من عادات الأزياء .

وأرى كذلك مما راقبته من أمر نفسى أن الصيام فريضة لو لم تأمر بها الأديان لدبرها الناس بحكم الخبرة فى المعيشة . وقد رأينا الجنس اللطيف يصوم عن الطعام المشتهى والشراب الهنىء نشدانا للجمال ، ورأينا أبطال الرياضة البدنية يصومون مثل صيامهن نشدانا للقوة والرشاقة . وأرانى - ولست على مذهبهم ولا مذهبهن - أصوم يوما كل أسبوع عما عدا السوائل ؛ لأنه أصح وأقوم للبدن والمزاج .

ونعود كما بدأنا فنقول : إنها عادات وعبادىء إلا أنها - مهما يكن فيها من نصيب التفكير لا تخلو من نظام العبادة وصبغة الإيمان ؟

عباس محمود العقاد

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

شخصية الرسول الأعظم

للأستاذ محمد محمد المدنى

إن كل خلق من الأخلاق له تعديل ، به يكون توازنه ، ويتم كماله ، ويكون له فى صاحبه وفى الناس أثره الطيب ، وإذا أردنا أن نمثل لذلك فيما يعرف الناس من أخلاق الرجال ؛ فإننا نمثل له برجل يوصف بالحلم وليس له بجانب هذه الصفة من قوة الشخصية ما يجعل له هيبة تصون حلمه ، وتكون بمثابة السياج الذى يحميه من جهل الجاهلين ، وجرأة المتجرئين .

فالحلم خلق جميل ، لو أنه تمثل بشراً لكان إنساناً مبتسما ، هادئ الملامح ، ذا حياء واحتشام ، يغض من بصره ، ويخفض من صوته ، ويسوده التسامح ، وتسيطر عليه الرحمة .

ولكن هذا الخلق الجميل بحاجة إلى خلق آخر يكون بجانبه ، هو الهيبة التى لو مثلت لصورت الوقار والجلال ، وملامح الحزم والعزم ، فإذا انفرد أحد هذين الخلقين فى شخص لم يكن هناك تعادل وتوازن : فإما أن يكون الشخص حليما فقط ، فلا يخشى جانبه بل يقتحم ويجترأ عليه ، وإما أن يكون رهيبا فيمقت ويجتنب ويتحاشى ، وينفر منه الناس وينفضون من حوله .

وإذن فالكمال إنما هو امتزاج هذين الخلقين واجتماعهما حتى يتمم أحدهما الآخر ويمده ويعينه ويعد له ، ولذلك يقول الشاعر :

ولا خير فى حلم إذا لم يكن له
بوادر تحمى صفوه أن يكدرا

ويقول الفرزدق فى وصف الإمام زين العابدين على بن الحسين رضى الله عنهما :

يغضى حياء ويغضى من مهابته
فلا يكلم إلا حين يبتسم

وما يقال عن الحلم والمهابة ، يقال مثله عن الصفات الأخرى ، كالصبر الذى يصبح بلادة إذا لم يقترن بالمرونة وسعة الحيلة ومحاولة التخلص من آثار الكوارث ، وكالشجاعة التى تصبح تهورة وهذرا إذا لم يصاحبها الرزانة وعمق الفهم ومعرفة المواطن التى يحسن فيها القول ، والمواطن التى يجمل فيها الصمت ، وهكذا ...

ولذلك يقولون : إنه ما من فضيلة إلا وهى وسط بين رذيلتين ، فالصبر هو قوة الاحتمال والاتزان أمام النوازل ، وهو متوسط بين البلادة التى هى موت الإحساس ، والجزع الذى هو إسراف فى التأثر والانفعال ، وقل مثل ذلك فى الغيرة ، فهى وسط بين عدم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الاكتراث الذى يمكن أن نسميه « باللامبالاة » - أى يكون المرء لا يبالى بشىء ، ولا يكترث بما يحدث أمامه ولو أصاب كرامته أو كرامة من له حرمة عنـــده - وبين الشطط فى الاندفاع الذى يجعل الإنسان أحيانا يقتل لمجرد أن المقتول لمزه أو غمزه ببعض القول الجرح كبرياءه . . . إلى غير ذلك مما نسميه بالتوسط ، ويدل عليه القرآن الكريم فى مثل قوله تعالى : « ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط » . « والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما » . « والذين إذا أصابهم البغى هم ينتصرون . وجزاء سيئة سيئة مثلها » .

أى يأخذون بحقهم فى الانتصار من البغى ولكنهم لا يتجاوزون الحق ، بل يكتفون بمثل ما حدث لهم .

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المثل الأعلى فى ناحية التعادل والتوازن بين ما حباه الله به من الصفات ، و « الله أعلم حيث يجعل رسالته » وهو الذى يقول مخاطبا إياه : « وإنك لعلى خلق عظيم » ويثنى عليه على وجه التحقيق بأنه جعل منه أسوة وقدوة حسنة للمؤمنين إذ يقول : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » .

ومن مظاهر هذا التعادل الخلقى اجتماع صفة الرحمة والرأفة فيه ، مع صفة الهيبة وقوة الشخصية .

(ا) فقد وصفه الله تعالى بالرحمة والرأفة فى كتابه الكريم حيث يقول : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم ، عزيز عليه ما عنتم ، حريص عليكم ، بالمؤمنين رءوف رحيم » .

وقوله تعالى « من أنفسكم » تعبير عن معنى التجانس المفضى إلى الألفة والمحبة والارتياح ، وفيه إشارة إلى أن يكون القائد من جنس الأمة ، وليس غريبا عنهم ولا مستعمرا لهم من غير جنسهم ، وقوله « عزيز عليه ما عنتم » إشادة بخلق الحاكم الذى يقلقه ويزعجه ويؤلم نفسه ما عسى أن يشق على شعبه ، ويوقع رعيته فى العنت ، فيحترز عن كل ما يؤدى إلى ذلك .

وقوله « حريص عليكم » إشادة بما يكون عليه الحاكم الأمين من حرص على منفعة شعبه ، وتحقيق لكل ما يؤدى إلى رغده وهنائه .

وينبغى أن ندرك من هذا كله قوة هذا الوصف الذى وصف الله به رسوله ، حيث نراه جل جلاله يخلع عليه صفتين من صفاته ، هما صفة الرحمة والرأفة اللذان يعتبران من أهم صفات الجمال القدسى ، ومن أبرز الأسماء الحسنى فيقول : « بالمؤمنين رءوف رحيم » .

كما ينبغى أن نقف عند آية أخرى مثل هذه الوقفة ، لندرك ما فيها من تصوير رائع

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الرسول صلى الله عليه وسلم ، حيث يقول الله جل جلاله : « فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم ، واستغفر لهم ، وشاورهم فى الأمر » . فقد وصفه الله تعالى بأنه يلين لهم ، وأن هذا اللين صادر عن قبس عظيم منحه الله إياه من رحمته جل جلاله وذلك قوله : « فبما رحمة من الله لنت لهم » .

ثم عاد فأكد هذا المعنى الذى جاء به على سبيل الإثبات والإيجاب بمعنى يساويه ويكمله جاء به على سبيل النفى والسلب، وهو قوله: « ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك » ، فنفى أنه فظ ـ والفظ : الكريه الذى لا تستريح إليه النفوس وهو فى الأصل « ماء الكرش » ، وكان العرب الراحلون ، ربما اضطروا فى الصحراء إلى نحر الجمل ، ليأخذوا الماء من كرشه فيشربوه حين يبلغ بهم العطش مبلغه ، ولا يجدون ماء سواه ، فذلك الماء المأخوذ من كرش البعير ، تسميه العرب « بالماء الفظ » لأنه مكروه شربه ، لا يتناول إلا فى أشد ضرورة وبذلك شبهوا به الرجل الذى لا يستساغ بين الناس إلا على نحو من الكراهية والاضطرار .

وكما نفى الله تعالى عن رسوله صلى الله عليه وسلم أن يكون « فظا » ، نفى عنه أيضا أن يكون « غليظ القلب » . وغلظة القلب : كناية عن عدم رقته ورحمته ، وقد جاء هذا النفى للخصلتين بأسلوب « لو » المفيدة للامتناع ونفهم من ربط الانفضاض من حوله ، بالفظاظة وغلظة القلب ، أن رحمته بهم كانت سببا فى عقد أواصر الألفة والمحبة بينهم وبينه ، فكأنه قال : « فبما رحمة من الله لنت لهم ، فألفوك واجتمعوا على محبتك ، ولو كنت فظا غليظ القلب لكرهوك وانفضوا من حولك » .

ثم نجد الآية ترسم له صلى الله عليه وسلم منهج الحكم السليم ، الذى يكون نتيجة وثمرة لخلق الحاكم المستقيم ، ذى اللين والرحمة والتنزه عن الفظاظة والغلظة ، فيقول : « فاعف عنهم » أى تجاوز عما عسى أن يفرط منهم « واستغفر لهم » أى لا تكتف بعفوك أنت ، ولكن اطلب من الله أن يعفو عنهم ويغفر لهم ، « وشاورهم فى الأمر » ليعلموا أن روحك إنما هى روح الباحث عن المصلحة المستنير فى سبيل الوصول إليها بآراء أصحابه .

وكذلك يقال فى غير هذين الموضعين من مواضع الإرشاد الإلهى ، للرسول الأمى ، فى مثل « فاصفح الصفح الجميل » ، « واخفض جناحك للمؤمنين » ، « واصبر وما صبرك إلا بالله ، ولا تحزن عليهم ، ولا تك فى ضيق مما يمكرون » إلى غير ذلك من الآيات المنبئة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مما اختاره الله تعالى لنبيه من صفات الجمال التي تعتمد على الرحمة والرقة واللين .

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مطبقا لهذه الأوصاف تطبيقا عمليا ، على وجه يملأ القلوب روعة وإجلالا لخلقه العظيم :

فمن شفقته صلى الله عليه وسلم : تألفه العرب ورؤساء القبائل بالعطايا ، حتى كان سبب إسلامهم وفلاحهم ، قال صفوان بن أمية : « والله لقد أعطاني ما أعطاني وإنه لأبغض الخلق إلي فما زال يعطيني حتى إنه لأحب الخلق إلي » وأعطى أعرابيا عطاء ثم قال له : أأحسنت إليك ؟ قال الأعرابي : لا ، ولا أجملت ! ، فغضب المسلمون ، وقاموا إليه ، فأشار إليهم أن كفوا ، فزاده شيئا ، ثم قال له أأحسنت إليك ؟ قال : نعم ، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً ، فأمره أن يخبرهم بذلك فأخبرهم ثم قال لهم صلى الله عليه وسلم : « مثلي ومثل هذا ، مثل رجل له ناقة شردت عليه ، فاتبعها الناس ، فلم يزيدوها إلا نفوراً ، فناداهم صاحبها : خلوا بيني وبين ناقتي فإني أرفق بها منكم وأعلم ، فتوجه لها بين يديها ، فأخذ من قمام الأرض فردها حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها وإني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار » .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل في الصلاة يريد إطالتها فيسمع بكاء الصبي ، فيخفف خشية أن يشق على أمه ، وكان ربما قدم الإناء للهرة كي تشرب فما يرفعه حتى تروى وأخبار رحمته ورأفته صلى الله عليه وسلم حتى بالحيوان الأعجم كثيرة مشهورة .

٢ — وقد كان عليه الصلاة والسلام مع هذه الرحمة . وهذه الشفقة مهيبا قوي الشخصية ، وفي حديث أوصافه صلى الله عليه وسلم « من رآه بديهة هابه ، ومن خالطه فعرفة أحبه » .

ومن الوقائع المروية في الكتب الصحيحة الدالة على قوة شخصيته ، وشدة مهابته ، ما رواه ابن عباس قال :

« إن الملأ من قريش اجتمعوا في الحجر ، فتعاقدوا باللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ونائلة وأساف — وهي أسماء أصنامهم : لئن رأينا محمداً ، لقد قمنا إليه — أي لنقومن إليه — قيام رجل واحد ، فلم نفارقه حتى نقتله ، فأقبلت ابنته فاطمة رضي الله عنها تبكي ، حتى دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : هؤلاء الملأ من قريش قد تعاقدوا عليك ، لو قد رأوك لقد قاموا إليك فقتلوك ، فليس منهم رجل إلا قد عرف نصيبه من دمك ! فقال : يا بنية أريني وضوءا » — أي احضري لي ماء أتوضأ به — فتوضأ ، ثم دخل عليهم المسجد ، فلما رأوه قالوا : ها هو ذا ، وخفضوا أبصارهم ، وسقطت أذقانهم في صدورهم ، وعقروا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أى دهشوا فى مجالسهم ، فلم يرفعوا إليه بصرا ، ولم يقم إليه رجل !

فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى قام على رءوسهم ، فأخذ قبضة من التراب ، فقال « شاهت الوجوه ! » ثم حصبهم بها - أى قذفهم - » .

وشبيه بهذا ما روى عن عبد الله بن عمرو ابن العاص قال :

« حضرتهم يوما - يريد قريشاً - وقد اجتمع أشرافهم فى الحجر - أى حجر إسماعيل عند البيت الحرام - فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قط : سفه أحلامنا ، وشتم آباءنا ، وعاب ديننا ، وفرق جماعتنا ، وسب آلهتنا ، لقد صبرنا منه على أمر عظيم ! فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقبل يمشى حتى استلم الركن ، ثم مر بهم طائفاً بالبيت ، فلما مر بهم غمزوه ببعض ما يقول - أى قالوا له مثلا : أنت الذى تسب آلهتنا ، أو هذا الذى يصيب ديننا ، أو نحو ذلك - وكرروا ذلك ثلاث مرات ، فكان يعرض عنهم ، ثم قال لهم فى المرة الثالثة : « تسمعون يا معشر قريش ! أما والذى نفس محمد بيده لقد جئتكم بالذبح ! » فأخذت القوم كلمته حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع ، حتى إن أشدهم فيه وصاة - أى توصية بإيذائه - قبل ذلك ، ليرفؤه أى يمدحه بأحسن ما يجد من القول ، حتى إنه ليقول : انصرف أبا القاسم ! انصرف راشداً ، فوالله ما كنت جهولا ! ! فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهكذا يتناذرون دمه غائبا ، حتى إذا طلع عليهم عقدتهم هيبته ، وأدهشتهم عظمته .

وقد رووا أن رجلا من قبيلة تسمى « إراش » قدم مكة بإبل له ، فابتاعها منه أبو جهل ثم مطله بثمنها ، فلم يوفه به ، فأقبل الرجل حتى وقف على ناد من قريش - ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى ناحية المسجد جالس - فقال الرجل : يا معشر قريش ، من منكم يعينني على أخذ حقى من أبى الحكم بن هشام ؟ فإنى رجل غريب ابن سبيل وقد غلبنى على حقى ! فقال له أهل ذلك المجلس أترى ذلك الرجل الجالس ؟ يشيرون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يهزءون به لما يعلمون بينه وبين أبى جهل من العداوة - ثم قالوا اذهب إليه فإنه يأخذ لك بحقك من غريمك ، فأقبل الرجل حتى دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم - وهو لا يعرفه - فقال : يا عبد الله ، إن أبا الحكم ابن هشام قد غلبنى على حق لى قبله . وأنا رجل غريب ابن سبيل ، وقد سألت هؤلاء القوم عن رجل يأخذ لى حقى منه فأشاروا لى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

إليك فخذ لى حقى منه يرحمك الله ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انطلق إليه » وقام معه ، فلما رآه أهل المجلس قام معه تعجبوا ، وقالوا لرجل منهم : اتبعه فانظر ماذا يصنع ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاء بيت أبى جهل ، فضرب عليه بابه فقال أبو جهل : من ؟ قال : محمد ، فاخرج إلى ، فخرج إليه خائفا يرتعد وما فى وجهه روح باقية، قد امتقع لونه ،أى تغير . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : اعط هذا الرجل حقه ! فقال : نعم ، لا تبرح حتى أعطيه الذى له ! فدخل ثم خرج بحقه فدفعه إليه ، ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال للرجل : « إلحق بشأنك » ، فأقبل حتى وقف على ذلك المجلس . فقال : جزاه الله خيراً ، فقد ـ والله ـ أخذلى حقى ! وجاء الرجل الذى بعثوه معه فقالوا له : ويحك ماذا رأيت ؟ قال : عجبا من العجب ! والله ما هو إلا أن ضرب عليه بابه ، فخرج إليه وما معه روحه ، فقال له : أعط هذا حقه ، فقال : نعم لا تبرح حتى أخرج إليه حقه ، فدخل ثم خرج إليه بحقه فأعطاه إياه ، ثم لم يلبث أبو جهل أن جاء ، فقالوا له : ويلك : مالك ! والله ما رأينا مثل ما صنعت قط ! قال أبو جهل : ويحكم ، والله ما هو إلا أن ضرب على بابى وسمعت صوته فملئت رعباً ، ثم خرجت إليه وإن فوق رأسه لفحلا من الإبل ما رأيت مثل هامته ولا أنيابه لفحل قط ! ! والله لو أبيت لأكلنى ! » .

وهكذا ارتاع عدو الله ، من هيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صور له الروع ما رأى!

ولقد جاء إليه صلى الله عليه وسلم رجل ، فقام بين يديه فأخذته رعدة شديدة ومهابة ، فقال له : هون عليك فإنى لست بملك ولا جبار ! إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد بمكة .

ولما رأته « قيلة بنت مخرمة » فى المسجد ارتعدت من شدة الفرق وهابته هيبة شديدة .

وروى مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ملأت عينى منه قط ، حياء منه وتعظيما له ، ولو قيل لى : صفه ، لما قدرت! فهذا صاحب من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولولا أنه كان يؤنسهم ويباسطهم ويتألفهم ويتواضع لهم ؛ لما استطاع أحد منهم أن يبتدئه بالقول ، لما رزقه الله تعالى من المهابة والجلال .

* * *

هذه هى شخصية رسول الإسلام ، صلوات الله وسلامه عليه : لين فى غير ضعف ، وشدة فى غير عنف ، ومهابة يزينها التواضع ، وجلال يملأ صدور الرجال .

محمد محمد المدنى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

نفحات القرآن

العتاب في رفق تكريم وإعزاز

للأستاذ عبد اللطيف السبكي

« عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا ، وتعلم الكاذبين » .

كانت دعوة النبي صلى الله عليه وسلم - إلى غزوة تبوك - دعوة إلى النفير العام - كما سبق حديثنا عن جانب من هذا - في شأن أبي بكر - رضي الله عنه - في المقال السابق .

ومعروف أن في المدينة منافقين، يستترون بالإسلام ، ويقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم . فكيف يتلقى هؤلاء دعوة الجهاد في قبول وطاعة ؟ ؟ ذلك بعيد .

فلابد لهم من حيلة ينفذون بها من هذا المأزق !! وما أكثر الحيل : يصطنعها المنافق ، مهما تكن مكذوبة .

وإذ كانوا يطعنون عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه رفيع الخلق ، برىء من سوء الظن بالناس ، وأنه لا ينزل في تفكيره إلى مستوى الأدنياء كما هو الشأن المفروض في عظماء النفوس . . وبخاصة الأنبياء : فالمنافقون يستغلون هذه السجايا في مخادعة الرسول ، وفي الاعتذار إليه بالمعاذير المختلفة ليعفيهم من الخروج إلى الغزو في تبوك .

لم يكن النبي - صلوات الله عليه وسلامه - قد عرف شأن هؤلاء ، ولا نزل عليه وحي في شأنهم ، فغلبت عليه سماحته ، وأداه اجتهاده إلى قبول المعاذير منهم ، وأذن لهم في التخلف ، دون تريث . . وإزاء ذلك نزلت آية العفو المذكورة في مطلع المقال ، تبين له ما كان ينبغي عمله .

ومع أن القرآن يحدثنا عن النفاق في مقامات عدة ، ففي هذا المقام بخصوصه يذكر ثلاثين آية متوالية - من آية ٤٢ - ٧١ من سورة براءة : مما يدلنا على أنه مقام ذو شأن في مجاله .

وحسبك : أن الله يعتب على رسوله ، وأنه يبدأ بالعفو ذلك العتاب الهام .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وقد بدر إلى بعض الأذهان أن النبي أتى ذنبا اقتضى العفو عنه ، إذ العفو - فى ظنهم - لا يكون إلا عن أمر محرج .

والفهم المستقيم يأبى ذلك الاتجاه .

فلندخل فى الحديث من سبيل غير هذه السبيل المنحرفة عن الصواب .

إذ نحن فى مقام المناجاة بين الله - سبحانه - وبين أفضل خلقه عنده ، والنبي معصوم قطعاً من الذنب ، ولا هوادة منه فى عمل يؤخذ عليه كأنه محرجه عند ربه . . وإنما هو - دائما - فى معرض التوجيه من الله إلى كل مكرمة ، وفى سياق تربيته على أكرم الخلق ، وأقوم التعاليم السماوية . . وكان فى تبليغه الرسالة الدينية رهينا بالوحي ، ومنزها عن تهمة الكذب ، أو الخطأ : « إن أتبع إلا ما يوحى إلى » .

ومع ارتباطه بالوحي كان مأموراً بالاستشارة فيما لم يكن دينا محضاً ، وكان مأذوناً له أن يجتهد فيما يعرض له من شأن لم يسعفه الوحي فيه .

فإذا اجتهد كان يصيب فى اجتهاده أحيانا ، ويخطىء حينا ، فإذا أصاب كانت إصابته مقرونة بإلهام من جبريل ، ينفث فى روعه ، فيكون هذا إلهاما مسببا باجتهاده ، فيقره الوحي على ذلك لأنه فى حقيقته نوع من الوحي العام ، كما قرر هذا أئمة العلم المختصين ، ويؤيدون قولهم بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم : « إن روح القدس نفث فى روعي ، يعني قلبي ، أو وعيي ، أن نفسا منفوسة ، لن تموت إلا إذا استوفت أجلها » .

والقرآن يقول : « وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا . الآية » ، والوحي هنا هو خصوص الإلهام بالمعنى الذى ذكرناه ، ولا يكون اجتهاده هنا عملا شخصيا محضا . . وحينما يستشير أصحابه فى أمر ، ثم يجتهد فى اختيار رأى ، أو كان يجتهد من نفسه ثم يخطىء فى اختياره لغير الأصلح كان ينزل عليه الوحي ، ولا يتركه على الخطأ ، حتى لا يستمر على العمل به بعد ، وقد حدث هذا فى مناسبات ، منها أخذه للفدية من أسرى بدر ، بعد أن استشار وأخذ برأى بعض أصحابه . . وكان الأولى ألا يأخذ الفداء فى أول حروبه ، كما أشار به بعض آخر كعمر رضى الله عنه ، وعاتبه القرآن على ذلك . . ومنها إذنه للمنافقين بالتخلف ، وهو ما نحن فيه الآن .

ولا مساس به فى هذا العتاب ، لأنه استشار فى الأولى ، واجتهد فى الثانية ، وكلا الأمرين مسموح به ، ولم يكن هنا إلهام من جبريل ، فحصل الخطأ فى الاجتهاد الشخصي المحض ، ثم جاء الوحي فصحح خطأه للمستقبل .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وحكمة الله فى ذلك أن يترك له مجال الاجتهاد مفتوحا فى أمور تقبل الاجتهاد ، أو المشورة قبل الاجتهاد .

ثم يبين الله له الحقائق بعد ، لتكون دليلا على رعاية الله له فى التوجيه ، وفى الاتجاه ، وعلى تعويده ، وتعويد أصحابه الاحتياط ، والتريث فى الأخذ بالرأى ، تجنبا للخطأ فى أمورهم . . على أن العتاب هنا مبدوء بالعفو والعفو لا يختص بالذنب كما فهم أناس .

بل يكون أحيانا من قبيل الدعاء بالخير ، كما يقال فى خطاب الناس : أصلح الله الأمير ، لماذا رأيت كذا ؟ أو لم تفعل كذا ؟

وأحيانا يكون لمجرد التلطف والإشعار بالرفق والمحبة كما يقال : لست غاضبا منك يا فلان ولكن لماذا فعلت كذا ، ولم تفعل كذا ؟ فليس فى هذه الحالات تلبيح بذنب ، ولا بفساد شأن ، وإنما هو دعاء وترفق .

والعتب على الرسول هنا : لأنه ترك عملا فيه مصلحة ، وكان الأولى خلافه ، أو بعبارة أوضح : فعل أمرا غير مصلحى فى ظاهره وهو إذنه للمنافقين ، وترك أمراً مصلحيا هو التريث فى الإذن ، وبخاصة فى وقت يدعو فيه إلى النفير العام ، فكان الأجدر أن يتمهل حتى يتبين شأن المعتذرين على حقيقته ، ويتكشف أمرهم ، فلا يفرحون بخداعهم للرسول صلى الله عليه وسلم .

وترك الأولى بالنسبة للأنبياء يقتضى عفوا ، لأن المفروض أنهم فوق مستوى الناس وإن كانوا من الناس ... وهذا ما يسميه العلماء - حسنات الأبرار سيئات المقربين ، وفى هذا القبيل ما ورد فى قول الله سبحانه للنبى - صلى الله عليه وسلم - « ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك ، وما تأخر » .

فليس للنبى ذنب متقدم ، ولا متأخر ، ولكنه كمجتهد ، أحيانا يترك الأولى ، وهذا هو ما سمى ذنبا ، وتجاوز الله عنه فيما سبق ، وفيما لحق .

ثم انظر إلى دواعى العفو هنا خاصة : بأن المنافقين خادعو الرسول ، وشمتوا بخداعه ، وتناجوا فيما بينهم بهذا ، فاقتضى الأمر أن يرد الله عليهم شماتتهم ، وأن يعلن تكريمه لرسوله ، وإعزازه لمقامه ، وأن يفاتحه العتاب على تركه للأولى بأرفق أسلوب وخير تلطف وطمأنينة يرجوها العبد من ربه ولا يدرك هذا إلا الأنبياء .. بل ولعل محمدا بالذات هو الذى ظفر بهذا التكريم فى مثل هذا الموقف .

وبذلك يعلم المنافقون أن خديعتهم للنبى لم تكن عن هوان لشأنه عند ربه ولم تكن

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

لتمكنهم من التلاعب معه ، أو لتغاضى الله عن رعايته ـ كلا ...

بل كانت وسيلة إلى أغراض تهذيبية أسلفناها ، ووسيلة إلى كبتهم ، وإحباط مكرهم ، وافتضاح مخازيهم وتسجيلها عليهم ، وكانوا يطمعون أن تظل سرا مستورا عليهم فعاملهم الله بنقيض غرضهم .

ومما أصابهم فى ورطتهم هذه : أن المسلمين لم يحاربوا ، إذ لم يجدوا الروم جيشاً زاحفاً ولا غير زاحف ، ووجدوها أخباراً غير صادقة ، وكفى الله المؤمنين القتال ، وكان بلاءا مشكورا .

ومما زاد المنافقين حنقا : أن الآيات فى شأنهم نزلت على الرسول قبل عودته إلى المدينة من تبوك فعاد إليهم وفضيحتهم ذائعة بين جيش المسلمين .

وقد حاولوا أن يصيدوا الخدعة ثانيا بتجديد الاعتذارات ، وتعزيزها بالأيمان الحانثة ، والتقرب من المسلمين فى ثوب البراءة

وكان الله تعالى قد أخبر عنهم بقوله : « يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم ، قل : لا تعتذروا لن نؤمن لكم ، قد نبأنا الله من أخباركم » . « وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم » يهلكون أنفسهم بالنفاق ، والخداع والحنث فى الإيمان ـ والله يعلم إنهم لكاذبون . « يحلفون لكم لترضوا عنهم ، فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين » .

وقد بين الله لرسوله وللمؤمنين أن تخلف المنافقين كان خيرا للمؤمنين فى واقع الأمر وهذا ما يعلمه الله ، ولم يكن يعلمه النبى حين قبل اعتذارهم دون تريث. حتى يتضح النفاق فى أبشع ألوانه لو لم يأذن ، « ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة . ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين . لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا ـ الآيات ... » .

وهذه جولة قصيرة فى الحديث عن المنافقين ونفاقهم وحديث الأفاعى طويل المدى . . والقرآن لا يقصد من تحقيره للنفاق وأهله خصوص قوم ذهبت أيامهم .

وإنما يريد توجيهنا إلى حطة النفاق ، وسقوط أهله عن المستوى الإنسانى ، حتى فى أحط أوضاعه ، فإنهم لا يكرمون أنفسهم عن المخادعة ، والروغ عن الجد ، ولا يربأون بها عن الإسفاف فى الجبن ، والتلون بالمودة إلى هؤلاء أو هؤلاء .

ولئن كان سياق القرآن فى المنافقين فى الدين الذين يضمرون الكفر ويظهرون الإسلام

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فإن النفاق فى الأخلاق ، وتتبع المنافع ، والتقرب إلى ذوى الجاه على حساب الغير ، أو على حساب الوطن ، أو على حساب الدين ، وما إلى ذلك كله مما يشذ عن المبادئ الكريمة : كل هذا نمط من الكفر ، وإن لم يكن فى العقيدة ، فإن الدين الحق عقيدة ، وعمل وأخلاق ، والأخلاق ركن قويم .

ومن تهاون فى جانب من هذه كان فى دعواه الإيمان بمن يقولون « بأفواههم ما ليس فى قلوبهم » .

وانظر تجد ثناء الله على رسوله كثيراً ، وتجد أبرز الثناء كان « وإنك لعلى خلق عظيم » .

والقرآن يحثنا بهذه التوجيهات إلى البعد عن مظاهر النفاق ، وإلى مقاومته فى المنافقين ، حتى ينكمشوا ، وتطهر منهم البيئة بالقدر المستطاع .

ونحن فى أشد الحاجة إلى الاعتبار بتوجيه القرآن ، فإن النفاق باسط جناحيه فى كثير من البيئات ، وتعوزنا الشجاعة الأدبية ، والغيرة على الخلق فى مقاومة المنافقين لتهدأ خواطرنا من المضايقات ، وتسلم حياتنا من التصدع .

وقد بلونا من النفاق أولا ، وأخيراً ما مزق وحدة الإسلام ، وبدد الجماعة التى تدين بالتوحيد ، وتستظل بكتاب كريم يدعوها إلى الوحدة ، وتقتدى برسول أمين ، وبسلف « صدقوا ما عاهدوا الله عليه » فى وحدتهم ، وفى بناء دولتهم ، وتركيز سلطانهم وسيادتهم .

وأمر المسلمين اليوم على بركان يتقد أواره ، ويتطاير شرره ، ويكاد الانقسام فى بعض شعوبهم يأتى على الأخضر واليابس فيهم ، وقد جرت سنة الله فى خلقه أن هذه بوادر لا تبشر بخير ، ولا يعقبها إلا دمار ، وهذا واقع تكرر فى أمم سابقة وتحدث به التاريخ وآمن به من لم يؤمنوا بالقرآن .

ولم يحدثنا التاريخ فى لحظة من لحظاته أن الانقسام والتنازع كان وسيلة إلى قليل من خير ، أو كان على قليل من صواب .

فإذا قدر الله لشعوب ندعوها إلى الوحدة فتهرع إلى الانقسام ، وتسرف فى الكيد ، وتناوئ دعاة الإصلاح ، وتعادى من يهيب بهم إلى اللقاء ، والتلاقى على مبادىء الإسلام ، والاستظلال بعلم واحد .

لو كنا فى عهد نزول القرآن لما سمى هؤلاء مسلمين ، ولتحدث عنهم بمثلها أو أشد مما تحدث عن المنافقين ، فقد كان المنافقون يمكرون فى شىء من الجبن والرياء ، وهؤلاء يخادعون ، ويمكرون ، ويفسدون فى غير حياء ، فأين إسلامهم ؟ اللهم اهدنا واهدهم ؟

عبد اللطيف السبكى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

المسئولية الجماعية
بين الشريعة الإسلامية والشرائع السابقة
للأستاذ الدكتور علي عبد الواحد وافي

تتحقق المسئولية الجماعية كلما اتجهت المسئولية إلى هيئة ما، كأسرة أو عشيرة أو أمة أو جمعية، لعمل اقترفه أحد أفرادها أو بعضهم.

وقد أقر هذا النوع من المسئولية كثير من الديانات والقوانين الوضعية السابقة للإسلام.

ومن الديانات التي أقرت هـذا النوع من المسئولية الديانتان اليهودية والنصرانية.

فأسفار اليهود المقدسة تقره في مواضع كثيرة. فمن ذلك مثلا ما تذكره بصدد شعب كنعان وأنه قد حل به غضب الإله وحقت عليه لعنته، وضرب على أفراده الرق إلى الأبد لجريمة ارتكبها أبوه حام. وأصل ذلك ما ورد في سفر التكوين (وهو من أسفار توراتهم المزعومة) من أن نوحا قد شرب مرة نبيذ العنب الذي غرس كرمه بيده بعد الطوفان، بدون أن يعلم خاصته المسكرة، ففقد وعيه، وانكشفت سوأته، فرآه ابنه حام وهو على هذه الصورة، فسخر منه، وحمل الخبر إلى أخويه سام ويافث. ولكن هذين كانا أكثر أدباً منه، فحمل كل منهما رداء وسار به القهقرى نحو أبيـه حتى لا يقع نظره على عورته، وستر به ما انكشف من جسمه. فلما أفاق نوح وبلغه ما كان من موقف أولاده حياله، لعن كنعان بن حام، ودعا عليه وعلى نسله أن يكونوا عبيداً لعبيد أولاد سام ويافث. فاستجاب الله دعاءه وكتب عليهم الرق أبد الآبدين. (١)

وغني عن البيان أن هذه القصة من وضع اليهود، ولكنها مع ذلك قد أصبحت من الأسس التي تقوم عليها ديانتهم وتقوم عليها علاقاتهم بشعب كنعان وتبرر ما كانوا يسيرون عليه بالفعل حيال هذا الشعب. فقد كانوا يرون أن الكنعانيين جميعاً قد حقت عليهم اللعنة وكتب عليهم من الأزل أن يكونوا عبيداً لبني إسرائيل بسبب جريمة حام المزعومة ودعاء نوح عليه. والقصة في جملتها تحريف آثم مقصود للقصة الحقيقية التي ذكرها القرآن عن نوح وابنه إذ يقول: «ونادى نوح ابنه وكان في معزل: يا بني اركب معنا، ولا تكن مع الكافرين. قال: سآوي إلى جبل يعصمني من الماء، قال:

(١) فقرات ٢٠ ـ ٢٩ من الإصحاح التاسع من سفر التكوين.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم ؛ وحال بينهما الموج فكان من المغرقين » . (١)

والديانة المسيحية تقوم أهم عقائدها على مسئولية جمعية واسعة النطاق . فهى تقرر - على حد ما تذكره أسفارهم التى يقدسونها ويسمونها الأناجيل وبقية أسفار العهد الجديد - أن أفراد النوع الإنسانى قد انتقلت إليهم جميعاً خطيئة أبيهم آدم إذ أكل من الشجرة ، وظلوا محتملين مسئوليتها حتى فداهم المسيح بدمه المهمر من صلبه ، فغفرها الله لهم .

وغنى عن البيان أن هـــذا التأويل من مختلقاتهم ، وأنه لا يتفق فى شىء مع العدل الإلهى الذى يتمثل فى قوله تعالى : « ولا تزر وازرة وزر أخرى » ، ولا يتفق مع ما يحدثنا به القرآن عن استغفار آدم من خطيئته وغفران الله له ، وعن نجاة المسيح مما دبر له من صلب : « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم » . ولكن هذا التأويل قد أصبح مع هذا كله من الأسس التى تقوم عليها الديانة المسيحية الحاضرة .

* * *

ومن القوانين الوضعية التى أقرت هذا النوع من المسئولية قوانين اليونان والرومان .

فالقوانين اليونانية القديمة تقرر المسئولية الجماعية فى جريمتين : إحداهما الخيانة الوطنية ؛ والأخرى انتهاك حرمة الأشياء المقدسة Sacrilège فتقضى فى هذين الجرمين بالإعدام على المجرم نفسه وعلى جميع أفراد عصبته وهم أقرباؤه من ناحية الذكور ، لا فرق فى ذلك بين صغارهم وكبارهم ، ولا بين ذكورهم وإناثهم ، ولا بين عقلائهم ومجانينهم ، ولا بين أصحائهم ومرضاهم . بل لقد كانت العقوبة تشمل كذلك الأموات منهم ، فكانت تنبش قبورهم ويقذف برفاتهم فى خارج الحدود ، وهى عقوبة تشبه عقوبة النفى من البلاد التى توقع على الأحياء . وكانت العقوبة تمتد فوق هذا وذاك إلى جميع ما تملكه الأسرة من حيوان وأموال ومنازل ومتاع ، فتباد هذه الممتلكات أو تحرق أو تدمر أو تصادر .

وللمسئولية الجمعية آثار كثيرة كذلك فى شرائع قدماء الرومان ، سواء فى ذلك شرائعهم السابقة لعصورهم المسيحية وشرائعهم المقررة فى هذه العصور . أما شرائعهم الأولى فلم تقرر المسئولية الجمعية إلا فى مظهر واحد من مظاهرها ، وهو المظهر الذى يؤدى إلى عقوبة مالية فحسب . فكانت تحكم فى بعض الجرائم بمصادرة الأملاك . وغنى عن البيان أن هذه العقوبة ينال أثرها ورثة المجرم بل جميع أفراد أسرته ؛ وبخاصة لأن

(١) الآية ٤٢ ، ٤٣ من سورة هود .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الملكيات فى ذلك العهد كانت ملكيات جمعية لا فردية ؛ فكان المالك الحقيقى هو الأسرة نفسها باعتبارها هيئة أى شخصا معنويا . فصادرة الأملاك كانت إذن ضرباً من العقوبة الجمعية تؤخذ به الأسرة فى مجموعها لجريرة ارتكبها أحد أفرادها أو بعضهم . وأما الشرائع التى كان يسير عليها الرومان فى عصورهم المسيحية فقد أقرت المسئولية الجمعية فى جميع مظاهرها : فى مظاهرها التى تنال الأنفس والحريات ؛ وفى مظاهرها التى تنال الأموال، وإليك مثالا: القانون الذى أصدره سنة ٣٩٧ بعد الميلاد القيصر أركاديوس Arcadius (امبراطور الدولة الرومانية الشرقية من سنة ٣٩٥ إلى سنة ٤٠٨ بعد الميلاد) بصدد جريمة الخيانة الوطنية ، واحتفظ به جوستنيان فى قوانينه (امبراطور الدولة الرومانية الشرقية من سنة ٥٢٧ إلى سنة ٥٦٥ بعد الميلاد) . فقد قرر هذا القانون ، أن العدالة المطلقة تقضى بأن يصيب أبناء المقترف لجريمة الخيانة الوطنية العقاب نفسه الذى يصيب أباهم ؛ ولكن الامبراطور ، لما له من سلطة مطلقة يرى الإبقاء على حياتهم ، على أن يحرموا من الميراث والتملك ، ويحال بينهم وبين مواطن الشرف ، ولا يسمح لهم بالاشتراك فى الطقوس الدينية ، وهكذا يعيشون عيشة المنبوذين فى فقر مدقع وبؤس مقيم ، وعيش هذا شأنه أخف منه الحمام : فنى الخلاص منه بالموت إنقاذ ورحمة ، وفى الإبقاء عليهم إبقاء على الشقاء والعذاب » ، ويقصد هذا القانون بالميراث ما عسى أن يرث هؤلاء من غير أبيهم ؛ لأن جميع ما يملكه أبوهم كان يحكم بمصادرته فى هذه الجريمة .

* * *

وقد قضت الشريعة الإسلامية على المسئولية الجماعية فى مظاهرها التى تنال الأنفس والحريات ، فقررت ألا يؤخذ فرد بجرم غيره ، وأن النفس بالنفس ، فلا يقع القصاص فى القتل العمد إلا على من اقترفه بالفعل ، فخلصت بذلك الشعب العربى من نظام فاسد كان يهدده بالفناء . فقد كانت مسئولية القتل فى الجاهلية تقع على قبيلة القاتل فى مجموعها ، وتثير بينها وبين القبيلة الموتورة حربا شعواء لا يخمد سعيرها إلا بعد أن تأتى على مئات وآلاف من الأنفس ، و « أيام العرب » فى الجاهلية تقدم لنا عدة أمثلة من هذا القبيل .

ولكن الشريعة الإسلامية قد أبقت مع ذلك على المسئولية الجماعية فى بعض مظاهرها المالية ؛ تحقيقا لمبدأ التضامن والتكافل الاجتماعيين ومبدأ تعاون الأقرباء وأهل البلد بعضهم مع بعض ، وهى المبادئ التى تحرص الشريعة الإسلامية على تحقيقها فى كل

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

موطن يتاح تحقيقها فيه . فمن ذلك أنها قررت أن معظم الجرائم التي تجب فيها الدية (وهي ما يغرم في بعض أنواع القتل غير العمد) وبعض الجرائم التي يجب فيها الأرش (وهو ما يغرم أحيانا في إصابة بعض أعضاء الجسم) لا يحتمل غرمها المجرم وحده ، بل تحتمله « عاقلته » في مجموعها ، و« عاقلة » الفرد عصبته المؤلفة من أقربائه من ناحية الأب ، وإطلاق اسم « العاقلة » نفسه على العصبة جاء من النظام الذي نحن بصدده ، وذلك أن أهل الجاني كانوا يقدمون لأهل المجني عليه الدية ، وكانت الدية تقدر بعدد من الإبل يذهب بها أهل الجاني و« يعقلونها » أمام دور العشيرة الموتورة ، فسموا العاقلة ، من أجل ذلك ، ومن ذلك أيضا أن الشريعة الإسلامية تقرر الدية على جميع أهل البلد إذا وجد بجواره قتيل لم يعلم قاتله ، وذلك بعد استيفاء الإجراءات التي يسميها فقهاء المسلمين « القسامة » ، وهي أن يستحلف ولي الدم خمسين رجلا يتخيرهم من أهل البلدة ، فيحلفون أنهم ما قتلوه ولا علموا له قاتلا ، فحينئذ يسقط القصاص ولكن تجب الدية على أهل البلدة جميعا . والأصل في ذلك ما روي عن زياد بن مريم أنه قال : « جاء رجل إلى النبي عليه السلام فقال يارسول الله : إني وجدت أخي قتيلا في بني فلان . فقال عليه السلام : اجمع منهم خمسين فيحلفون بالله ما قتلوه ولا علموا له قاتلا . فقال يارسول الله أليس لي من أخي إلا هذا ؟ فقال بل لك مائة من الإبل (وهي دية النفس في الإسلام) » . وروي أن عمر رضي الله عنه حكم في قتيل بين قريتين ، فطرحه على أقربهما وألزم أهلها القسامة والدية ؛ وكذلك روي عن علي رضي الله عنه ؛ ولم ينقل الإنكار عليهما من أحد من الصحابة ، فأصبح هذا الحكم مجمعا عليه . ومن ذلك أيضا ما ذهبت إليه طائفة من فقهاء المسلمين على رأسها العلامة ابن حزم من مسئولية البلد الذي يموت أحد أفراده جوعا ، إذ ترى وجوب الدية على جميع أهل البلد فيؤدونها متضامنين كأنهم شركاء في موته ، ومن ذلك أيضا ما تذهب إليه طائفة من فقهاء المسلمين في حالة ما إذا مات شخص في الزحام ، نتيجة لضغط الجماهير عليه ، إذ ترى وجوب ديته على جميع من حضر[1].

الدكتور علي عبد الواحد وافي

(١) انظر صحيح البخاري في باب إذا مات أحد في الزحام ، وانظر ما ذكره السندي في تعليقه على الحديث الوارد في هذا الباب وهو الخاص بموت اليمان أبي حذيفة في الزحام يوم غزوة أحد ـ ويرى الشافعي وجوب ديته على من يدعى عليه ولي الدم ويحلف أنه هو الذي تسبب في موته .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الوجهة الثقافية في تونس

للأستاذ محمد البشير المنيفر

أسباب :

اجتاحت البلاد التونسية كارثة ذات تأثير كبير على الناحية العلمية الإسلامية بالأخص وإن كانت في تأثيرها السيء لا تقتصر على تلك الناحية غير أن هذه ظهر التأثير فيها بالخصوص لما كانت عليه تونس في عصورها السابقة من ازدهار وما ظهر فيها من نبغاء في العلوم الإسلامية، وفي طليعة ذلك علم الفقه الإسلامي المالكي النابت من هذه الديار، والذي تكونت له فيها أشهر مدرسة عرفت بالمدرسة القيروانية، والكارثة المؤثرة هي الحملة الأسبانية المصبوغة بصبغة مقاومة الإسلام، إذ خرجت عقب معركة خاضتها الأمة الأسبانية في قرون، والإحن تملأ صدور رجالها المليئة بالحملة ضد الإسلام. فتأثيرها على الناحية الإسلامية كان له أبلغ تأثير في تونس.

وتخلصت تونس من براثن تلك الحملة الناشبة فيها بواسطة الزحف التركي على حلق الوادي سنة ٩٨١، وعلى حصن الباستيون في تونس في السنة نفسها، وهي هزيلة من الرجال لأن الحملات التأديبية كانت قاسية تأتي على الأمة التونسية بدون استثناء وكم ذهب فيها من لا يحصى.

وتناولت تلك الحملة الجارفة في سيلها العارم التراث الفكري في مصادره في المكتبات علاوة على الرجال، فأتى التحريق والتمزيق على كمية ذات بال، ولا مبالغة إذا قلنا: إنها أتت على الأكثرية الساحقة من المكتبة التونسية وما استمدته من المكتبة الأندلسية.

الحاجة إلى التلقيح :

بإزاء هذا الفقر المدقع احتاجت تونس إلى تجديد في ثقافتها المتعارفة في تلك العصور فبعد استفادتها من رصيدها العلمي استمدت من المغرب الأقصى بواسطة أفراد قاموا مقام البعثات العلمية في التلقيح والمساهمة في التجديد.

واستمدت كذلك من مصر بواسطة همة رجال بعثتهم الغيرة وحركهم حب الزيادة من المعارف أن يقصدوا مصر ليضيفوا إلى الثقافة الإسلامية والعربية قوة وحيوية تكتسبان من التلقي في القاهرة، وكان لهم أثر محسوس

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فى الثقافة التونسية حيث أصبحت المدرسة المصرية يكتبها وأساليبها التدريسية تسود التعليم .

المدرسة المصرية :

اختفت طريقة المدونة بتهذيب البراذعى بعد أن كانت السائدة كما اختفت طريقة شروح جامع الأمهات التونسية .

وكان المتن الخليلى قد سبق شروحه ، فاعتنى به أهل المغرب وشرحوه ، وكان أولا يساير ما تقدمه من طرق ثم طغى تدريسه فأصبح المادة الوحيدة لكل فقيه ، والقانون المتبع فى القضاء . ثم التحقت به شروحه المصرية وبالأخص شرح الزرقانى .

وكذلك فى الكتب الابتدائية انصرفت العناية إلى الشروح المصرية على الرسالة وبالأخص شروح أبى الحسن الشاذلى ، وتغوفل عن الشروح الأخرى وهى شرح القلشانى والتونسى ، وابن ناجى القيروانى ، زروق الفاسى وفى العربية كانت كتب الشيخ خالد الأزهرى لها الامتياز والتقدم على غيرها من الكتب المتدارلة فشرح الأجرومية وشرح الأزهرية وكتابه التصريح كانت من أهم مصادر التدريس فعكف عليها الطلبة ، وبالأخص شرحه على الأجرومية ، حتى إن السنة الأولى فى التعليم الزيتونى كانوا يسمونها بسنة سيدى خالد .

وتأتى كتب ابن هشام محتلة مكانها فى الثقافة العربية التونسية ، فكانت كتب ابن هشام تدرس فى التعليم التونسى الماضى ، وتساير المتعلم فى التعليم من الابتدائى إلى العالى وفى مقدمة ذلك المغنى فشروحه للدمامينى ، والشمنى وتعليق الأمير .

وهكذا فى الكثير من المواد حتى علم العقائد الذى بقيت فيه المدرسة السنوسية التلمسانية محافظة على وجودها فى تونس متدرجة بالصغرى ، والوسطى ، والكبرى ، ولكن كانت الجوهرة اللقانية تدرس بجانب تلك الكتب كذلك ، وينضم إلى ذلك الحواشى التى كتبها الأزهريون على الكتب السنوسية .

واللافت للنظر أن المدرسة القيروانية الفقهية رغم تعميرها العمر الطويل ، وانتشار كتبها ، وامتداد تأثيرها توارت أمام المدرسة المصرية ، فأصبح المختصر الخليلى بما تفرع عنه من شروح ، ومختصرات ومنسوج على طريقته يحتل حلقات الدروس ويتسابق الطلبة إلى حفظه ، وتكرس الجهود الوافرة لفك مغلقه ، وتفهيم عباراته .

وانتشار هذه المدرسة كانت له أسباب ممتدة على أزمنة مختلفة ، ثم أن هذه الأسباب فى ذاتها تتنوع ، فمنها ما يرجع إلى كثرة التآليف المصرية ، وتوفر وجودها ، وحسن حظها ، وكل ذلك يجعل الاعتماد عليها اعتمادا على كتب صحيحة .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وهناك سبب آخر هو التلقي في الأزهر، والمؤلفات المدروسة فيه كادت تكون منحصرة في علمائه، وهم شيوخ لأولئك الوافدين على الأزهر، وبالطبع أن يألفوها ويحنوا إلى تدريسها، فأصبحت من جراء ذلك مادة التدريس.

ونريد أن نظهر من السبب الأخير حلقة منه في ثبت البديري (١١٤٠) الذي أجيز به علي الأوسي الصفاقسي التونسي، فهو وما أضيف إليها من إجازات وثيقة تاريخية حرية بأن تبرز، إذ نجد فيها صورة الارتباط الثقافي بين مصر وتونس وكيف أن التونسيين جددوا ثقافتهم في تلك الرحلات ولقحوا معارفهم التونسية بالمعارف المصرية في وجهتهم نحو القاهرة.

وهي تصور حلقة متأخرة من حلقات متعددة سبق إليها رجال كثير توزعوا على المدن التونسية، وأسسوا فيها مؤسسات أشعت منها العلوم الإسلامية والعربية فأدت تلك المؤسسات واجبها التثقيفي حسب مقتضيات ذلك العصر ومتطلباته.

الإشعاع:

انتشر الإشعاع الثقافي المصري في جهات من أمهات المدن التونسية بواسطة رحالين من أهل تلك الجهات.

ففي تونس كان الشيخ محمد الحجيج (١١٠٨) وهو أحد أعلامها تلقى بعض معارفه بالقاهرة فأخذ عن الخرشي وغيره، وتصدر للتدريس بتونس فاستفاد من دروسه الكثير، وكان يعتز بإجازة الخرشي له، فبينما يختم المختصر الخليلي يقرؤها على تلاميذه.

وكذلك محمد زيتونة (١١٣٨) الذي أفاد واستفاد في رحلته المصرية، وهو من مشاهير التونسيين بدروسهم الحافلة وله حاشية على بعض تفسير أبي السعود تبلغ مجلدات.

وفي مسامرات الظريف، فقرأ بمصر على الشيخ محمد الزرقاني والشيخ محمد النفراوي والشيخ إبراهيم الفيومي والشيخ منصور المنوفي، ورجع إلى الحاضرة بعد أن حصل العلوم وبيده إجازات من كافة مشايخه.

ومن المستفيدين من الرحلة إلى القاهرة محمد بن علي الغرياني (١١٩٥) الذي لاقى في رحلته الشيخ مرتضى صاحب القاموس واستجازه لأولاده.

وفي جربة الشيخ إبراهيم الجنى (١١٣٤) وهناك أسس مدرسة درس فيها طيلة عمره الطويل حيث بلغ خمساً وتسعين سنة وصرف جهوده ومواهبه لتعليم تلك الجهة المتعطشة للثقافة الدينية واهتم غاية الاهتمام بالمختصر الخليلي وترك مدرسته بعد وفاته لذويه

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

واستمرت على ذلك المنوال مدة مديدة ، وتخرج منها العدد الكثير، وتوزع المتخرجون من مصر فى الجهات الساحلية فأبو العباس المكنى (١١٢٢) حل بالمكنين وأسس بها مدرسة ومن بعده على بن خليفة (١١٧٢) فى مساكن ، ومحمد بن الحسن الهدة (١١٩٥) فى سوســـة ، وألف الأخير حواشى على الكتب المدروسة واشتهرت حاشيته على الخطاب على الورقات ، وطبعت مرات متعددة ، وأحمد الريفى السوسى ،

وكانت صفاقس صاحبة الحظ الأوفر من الوافدين من مصر فقد خرج من رجالها عدد كثير منهم إبراهيم بن أحمد الجمل (١١٠٧) والشيخ على النورى (١١١٨) وله شهرة عمت وطبقت النواحى وأحيا العـــلوم القرآنية ، وأسس بصفاقس زاوية للتدريس وانتشرت كتبه القرآنية وصار الاعتماد على كتابه ، غيث النفع فى القراءات السبع وله فهرست حافلة ذكر فيها شيوخه وعبد العزيز الفراق (١١٢١) وله مؤلفات أشهرها اختصار السيرة الحلبية . وأبو الحسن على اللوى وتلميذه محمود مقديش (١٢٢٤) وهو صاحب الحاشية الكبرى على أبى السعود وتحتفظ بنسخة تامة منها خزانة المرحوم محمد الصادق النيفر ولعلها الوحيدة ونزهة الأنظار فى عجائب التواريخ وهى مطبوعة وغير ذلك .

الوصى وإجازاته :

ومن بين أولئك الآمين للقاهرة حيث الوجهة الثقافية الشيخ على الأوى (١٢٠٤) وهو المجاز بتلك الإجازات التى تصور حلقة من حلقات الوجهة الثقافية نحو القاهرة المعزية .

وقد تلقى الأوى أولا تعليمه بصفاقس ثم ارتحل منها إلى القيروان ، ومنها إلى تونس وثانياً بالقاهرة التى أطال إقامته بها ، حتى بلغت خمس سنين

وفى القاهرة أخذ علم القراءات على الشيخ أحمد الرشيدى وأجازه سنة (١١٦٧) وذكر فى إجازته أنه حضر عنده متن الجزرية لابن الجزرى وشرحها شيخ الإسلام زكريا مرتين ، ومن الشاطبية حمزة وهشام على الحمز وشرحه للرادى ، ورسالة الرشيدى فى ذلك ، وضبط الخراز والتنبيه عليه ، ورسالة البقرى فى أصول القراءات ، كل ذلك بضبط وإتقان ، وأجازه محمد بن سالم الحفناوى فى السنة نفسها بثبت البديرى ، وأثبت إجازته على الثبت المذكور بخطه — وهى المنشورة صورتها ، وأضاف إلى إمضائه بعد ، ومما جاء فيها فقد لازمنى الشيخ على بن على الصفاقسى فيما يسره الله من العلوم ثم طلب منى الإجازة كما هو سنن السلف فأجزته بجميع ما تضمنه هذا الثبت ، وأجازه

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بإجازة تجد صورتها هنا الشيخ سالم النفراوى قائلا فاختبرناه فوجدناه على غاية فاستخرنا الله وأجزناه إجازة مطلقة .

وأجازه محمد البليدى بعقائد السنوسى وعلى بن أحمد الصعيدى فى الحديث والفقه ، وحسن المدابغى بتاريخ سنة (١١٦٧) بما سمعه عليه من صحيح البخارى ، وأحمد الدمنهورى بما قرأه عليه من كتب متعددة فى فنون متنوعة منها ما هو من تأليفه كشرح السمرقندى فى الاستعارات وشرح السلم ، وتاريخ الإجازة المتقدم فى الإجازات قبلها ، وحسن بن محمود المحلى الشافعى فى العام نفسه وسليمان العزيزى الشهير بالزيات .

أقام الأوسى بالقاهرة دارسا ، وآخذا عن الشيوخ الذين كان لهم التقدم فى فنون عدة كالقراءات والتفسير وما يتبعه ، وعلوم الشريعة : أصولها وفروعها ، وعلوم العربية بأنواعها ، والعلوم الأخرى منطقا وحسابا وهندسة ومساحة وكانت دراسته للعلوم الأخيرة على الشيخ أحمد الدمنهورى الذى قرأ عليه المنطق ، والأزياج وعلم الحكمة وعلم الحساب وتتبع الشيوخ النابهين ولازمهم ، وحين أراد الرحلة أجازوه إجازات خاصة فى ذلك المجموع الخاص وقدم صفاقس بمعارفه التى تلقاها فى مصر وهى علوم متنوعة وانصرف للتدريس معرضا عن الوظيفة القضائية وكان يعتنى بدروسه ، ولا يقرأ إلا بعد توفر المواد المتعلقة بالكتاب المدروس .

وقد وصف هذه العناية صاحب نزهة الأنظار أتى الأوسى بعلوم جمة فبثها ونفع الله به خلقا كثيراً وكان نصوحا لا يقرر إلا بتحقيق ولا يقرر مختصر خليل إلا بمادة واسعة كالشرح الكبير والصغير للشيخ الخرشى ، والشيخ الأجهورى ، والشيخ العمروسى والشيخ التتائى ، وغير ذلك من الشروح ، ومحدود ابن عرفة ، وشرحها للشيخ الرصاع وهكذا فى جميع العلوم لا يقرئها إلا بإحضار ما يمكن إحضاره من المواد .

وكان أتى من مصر بخزانة كتب واسعة استعان بها على بث العلوم وتحقيقها وأخذ عنه خلائق .

صورت لنا نزهة الأنظار ما كان عليه الراحلون لمصر من بذل مجهود واسع لإفاضة الحيوية والتحقيق على ما هو موجود فى تونس من معارف ذات قيمة فى تلك الآونة فكانوا بعثات فردية لامتزاج الثقافة ولتكميل ما يرون فيه نقصا .

وكانت إفادتهم واسعة النطاق بسبب أنهم لم يتجمعوا فى العاصمة التونسية ، بل انتشروا فى المراكز الحساسة ولم يكتف البعض منهم بالمساجد ، بل أسس مدارس خاصة حيث يبدو التعطش للمعرفة .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وبذلك أثمرت معارف هؤلاء الراحلين التي نقلوها من مصر ثمارا يانعا ، وتخـــرج على أيديهم البناة العديدون للنهضة العلمية بعد ذلك الفراغ الذي أحدثته النكبة ، فبتضافر جهود الرصيد من الرجال المتبقين في تونس بعد تلك النكبة أو الآخذين عنهم مع المولين وجههم شطر مصر ، وكذلك مع القادمين من المغرب الأقصى ازدهرت المعارف الإسلامية والعربية وعادت إليها نضارتها ، وعوضت تونس ما فقدته وأمكن لجامعتها الإسلامية أن تتابع خطاها ، واستطاعت تلك الجامعة أن تكون شجا في حلق الاستعمار الفرنسي حين أراد الاستحواذ على العقلية التونسية ، وحين وفر الأسباب للقضاء على العربية .

الكتاب المصري :

تدخل أوجه الارتباط الثقافي في جهات متعددة غير الرحلة ، وتتجلى في مادة الكتب التي منها في تونس مكاتب زاخرة ، وليس الأمر مقصورا على الكتاب المطبوع بل يشمل المخطوطات التي يزين الكثير منها المكاتب التونسية .

وكان عبورها بواسطة المتغربين مثل الأوسي المتحدث عنه فقد نقل معه خزانة زاخرة وكذلك كان المارون للحج لا يغفلون عن اقتناء النفائس من الكتاب المصري .

وقد تعاونت الرحلة إلى مصر ، والكتاب المصري على المساهمة منذ أجيال في تلوين الثقافة وتلوين الامتزاج .

الامتزاج :

بما أظهره هذا المجموع في خطوط العلماء للشيخ على الأوسي وشهادتهم له بأن له اليد الطولى في الذي زواله من فنون تنقاها على أشياخه بالقاهرة نعرف الجسر العابرة عليه الثقافة من بلد إلى آخر : وكيف كان يجاز النقلة حتى يتمكنوا من أداء الرسالة وكان المجاز بهذا المجموع من خير الناقلين للثقافة إلى بلادهم إذا أعرض الإعراض الكلي عن كل ما يحول بينه وبين نشر معارفه مضيفا إليها تلك الخزانة الواسعة لترغيب طلبته في العلم وإفساح المجال لهم ، وكان في طليعة طلبته محمود مقديش مؤرخ صفاقس وعالمها .

وهذا التمازج المكون في هذه الحقبة : وقبلها منذ قرون ، منذ أخـــذ سحنون عن ابن القاسم لا تزيده الأيام إلا جدة بعد أن تحطمت الحواجز الاستعمارية ، وأصبح العالم العربي طليقا وهو يبني مستقبله الجـــديد على إسلامية وعروبة .

محمد البشير الشنوفي

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

المجتمع الاشتراكي في ظل الإسلام

للأستاذ عبد الرحيم فوده

٤ — التكافل الاجتماعي

رأى عمر بن الخطاب رضى الله عنه شيخاً ضريراً يسأل على باب ، فلما علم أنه يهودى قال له : ما ألجأك إلى ما أرى . . ؟ قال : أسأل الجزية والحاجة والسن ، فأخذ — رضى الله عنه — بيده ، وذهب به إلى منزله فأعطاه ما يكفيه ساعتها ، وأرسل إلى خازن بيت المال يقول له : انظر هذا وضرباءه « نظراءه » فوالله ما أنصفناه إن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم ، إنما الصدقات للفقراء والمساكين . والفقراء هم المسلمون ، وهذا من المساكين من أهل الكتاب ، ووضع عنه الجزية وعن ضرباته .

بهذه القصة يفسر التكافل الاجتماعي الذى عرفه الغرب لأول مرة فى القرن السابع عشر ومعناه أن تتكفل الدولة أو المجتمع برعاية الفقراء وإعانة المرضى والشيوخ والعجزة ومن إليهم ، كالعمال الذين يصابون أثناء العمل ومعناه كذلك أن دائرته لا تكاد تتعدى مطالب العيش لمن لا يجدون فى أنفسهم القدرة على تحقيق المطالب الغذائية والكسائية والسكنية ، ولا شك أن الفارق بعيد والبون واسع بين عمل عمر رضى الله عنه فى القرن السابع الميلادى وبين عمل الغربيين فى القرن السابع عشر ، ولكنه يفسر معنى التكافل بالقدر الذى يعطينا صورة لحقيقته عند غير المسلمين ، أما عندنا — نحن المسلمين — فلا نكاد نجد دينا أو تشريعاً يتحقق فى ظله التكافل الاجتماعى بالصورة الكبيرة الواسعة الجامعة ، التى نجدها فى الإسلام ، وإذا كان تفصيل ذلك لا يستوفيه كتاب ولا يستقصيه استيعاب فحسبنا الإشارة إلى ملاح الصورة التى نطالعها فى قول النبي صلى الله عليه وسلم « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى » . أو الصورة التى نراها فى قوله عليه السلام : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » . فهاتان الصورتان تكشفان عن مدى ما يصل إليه التضامن والتعاون بين الأفراد فى المجتمع الإسلامى ؛ لأن الأولى تمثل المؤمنين على اختلافهم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بالجسد . يتكون من أجهزة مختلفة وأعضاء لا يكمل ولا يحمل إلا بها مؤتلفة . فكل عضو فيه يمثل جانبا من صورته لا تتم بدونه ويؤدي وظيفته فيه لا يؤديها غيره ، ومن ثم كان ضروريا وطبيعيا أن تسود جميع أعضائه وأجزائه مشاعر جامعة وأن تتعاون هذه الأعضاء والأجهزة والأجزاء على ما يحقق له الخير والحياة الطيبة ، فاذا اعتل عضو منه . وأحس ألم العلة سرى الإحساس بالداء إلى جميع الأعضاء فاشتركت في الشعور بالقلق والأرق ، وتجاوبت جميعها بشكوى العضو الجريح أو المصاب ، وكذلك المجتمع يتكون من الأفراد والأسر والهيئات ، ولكل جزء فيه وظيفة يؤديها ، وحرفة مهمة تسد حاجة للأمة ، ولهذا يجب أن يسوده التضامن والتعاون وأن تؤلف المرحمة بين مختلف أعضائه وأجزائه ، وأن يكون الشعور بالإخاء رابطته الجامعة حتى ينعم بالرخاء والحياة الطيبة ، لا يكدر صفوها حقد حاقد ولا يعكر جوها حسد حاسد ، ولا يشعر فيه ضعيف بالذلة أمام قوى ، ولا ينحرف فيه قوى بالظلم على ضعيف ، وإنما يحس الجميع أنهم إخوة تجمعهم راية واحدة ، أو أسرة تسمى أمة واحدة ، وذلك بعض ما يفهم من قوله تعالى : « إنما المؤمنون إخوة » وقوله جل شأنه : « إن هذه أمتكم أمة واحدة » .

أما الصورة الثانية فتمثل المؤمنين في تضامنهم وتماسكهم بالبنيان القوى يستمد قوته من تماسك بعضه ببعض ، وشد بعضه أزر بعض ، وكذلك المؤمنون كما يفهم من قول الله فيهم : « أشداء على الكفار رحماء بينهم » « أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين » « يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص » أما مظاهر التكافل الاجتماعي في الإسلام - فهي على كثرتها - يمكن أن ترد إلى الأصول الآتية :-

١ — الشعور الصادق بالأخوة الشاملة . كما يفهم من قول الله « إنما المؤمنون إخوة » . وقول النبي صلى الله عليه وسلم : (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ، بحسب كل امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه) .

٢ — التعاون على البر والتقوى كما يقول الله : « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان » ، ولا شك أن معنى البر سعة المعروف والخير ، ومعنى التقوى يسع كل ما يقى من الشر ، فالتعاون على جلب الصالح ودرء المفاسد ، واجب يأمر الله به ، وتمليه المصلحة العامة ، وتدعو إليه حاجة الأمة ، وقد أنكر الله على قوم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أنهم لم يقاتلوا « فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان » ولم يهزهم نداء الضعفاء ، الذين كانوا يشكون الظلم ويقولون : « ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها » ، وفرض الجهاد على جميع المسلمين إذا احتل العدو أرضهم ، أو عدا على بعضها ففى هذه الحال يتعين على كل مسلم ومسلمة أن ينهضوا لقتاله حتى يدفعوه بعيدا عن بلادهم ويمنعوا أنفسهم وإخوانهم أن يخضعوا لنفوذه ، أو يقعوا تحت سلطانه ؛ لأن هذا لا يتفق مع مبدأ الولاية الذى يشير إليه قوله تعالى : « إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا » .

والتعاون لدفع الظلم بكل صوره وألوانه واجب يشترك فيه الجميع لأن العقاب المترتب عليه يقع على الجميع كما يفهم من قوله تعالى : « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » . وقول النبى صلى الله عليه وسلم : (إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يده أوشك أن يعمهم الله تعالى بعقاب) .

٣ — والإحساس بالمسئولية ، قدر مشترك بين جميع أفراد المجتمع ومظهر واضح من مظاهر التكافل الاجتماعى ، كما يفهم من قول النبى صلى الله عليه وسلم : (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، فالإمام راع ومسئول عن رعيته . والرجل فى أهله راع ومسئول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها ، والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته ، فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته . . ومن ذلك نرى أن كل فرد فى الأمة مسئول عما يعهد إليه القيام به ، يستوى فى ذلك الحاكم والخادم والكبير والصغير ، والمجتمع ممثلا فى الدولة أو الحكومة مطالب بأن يأخذ على يد كل من يتهاون فى أداء الواجب أو يعبث بحقوق غيره ، مهما تكن مكانته أو منزلته بين قومه ، وإلا تعرض لهلاك أو بلاء عام كما يفهم من قوله عليه السلام : (إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها) .

٤ — أداء الزكاة ، فقد فرضها الله على كل مسلم متى كمل عنده النصاب المقدر المقرر ، وجعلها حقا معلوما « للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل » ولم يدع إسعاف الفقراء ومن إليهم من هؤلاء رهنا برحمة الأغنياء ، وإنما جعل لهم الزكاة حقا معلوما فى أموالهم . يؤخذ من الكرماء والبخلاء على السواء . لامنة ممنونة وجباء ، ومن ثم قاتل أبو بكر — رضى الله عنه — مانعيها . وقال فيها قولته المشهورة : (والله

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة . فإن الزكاة حق المال . والله لو منعونى عناقا لقاتلتهم عليها) ولاشك أن الزكاة إذا جبيت وصرفت فى الوجوه التى بينتها الآية الكريمة حققت معنى التكافل الاجتماعى ولبت حاجة الفقراء والمساكين . فإذا لم تكف كان حقا على الأغنياء أن يمدوهم بما يكفيهم فى المأكل والملبس والمسكن ، ولو أدى بهم ذلك إلى عيش الكفاف ، فإن لم يفعلوا كان على الإمام أو ولى الأمر أن يقهرهم ويجبرهم — ولو بالحرب — على بذل ما فضل عن حاجتهم من أموالهم ، وقد كان هذا هو اتجاه عمر رضى الله عنه حين قال : (لو استقبلت من الأمر ما استدبرت لأخذت فضول أموال الأغنياء فرددتها على الفقراء) بل إن هذا الاتجاه هو الذى يوحى به توجيه رسول الله . إذ قال : (من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له . ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له) ويفهم من قوله عليه الصلاة والسلام : (أيما أهل عرصة أصبح فيهم امرؤ جائعا فقد برئت منهم ذمة الله تبارك وتعالى) إن المجتمع مسئول عن كل فرد فيه . وإن الإثم يقع على جميع أفراده إذا أصبح واحد منهم جائعا لا يجد منهم ما يسد جوعه

وقد أشاد النبى صلى الله عليه وسلم بالأشعريين لأنهم كانوا كما قال : (إن الأشعريين إذا أرملوا فى الغزو أو قل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم فى ثوب واحد . ثم اقتسموه بينهم فى إناء واحد بالسوية ، فهم منى وأنا منهم) . ولا شك أن هذه صورة لا تفضلها أو تعدلها صورة أخرى فيما عرف الناس من ألوان التكافل الاجتماعى إذا استثنينا ما كان من الأنصار مع المهاجرين فى المدينة .

فقد كانوا كما يقول الله فيهم : « يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » .

هذه هى أهم الأصول التى يقوم عليها التكافل الاجتماعى ، بمعناه الواسع الكبير الذى عرف فى الإسلام . . وسنرى فيما سيأتى من فصول كيف صنع الإسلام بتشريعه وتربيته أعظم أمة عرفها التاريخ . وأمثل مجتمع شهده الوجود ؟

عبد الرحيم فودة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مجالس الوعظ في الإسلام

رحّالة يتحدّث عن واعظ كبير

للأستاذ محمد رجب البيومي

لا أدري لماذا لا يكتب تاريخ الوعظ الديني في الإسلام كتابة منصفة واعية تسجل اتجاهاته وتتبع أدواره على نحو ما يكتب عن تاريخ التشريع أو التفسير أو الحديث، مع وفرة المراجع في المكتبة الإسلامية عن الوعاظ والمرشدين؛ إذ أن أكثر هؤلاء كانوا فقهاء أو محدثين أو مفسرين وكتب الطبقات تفيض في أخبارهم على مد العصور بما يهيئ لمؤرخ الوعظ في الإسلام مادة جذابة مشوقة!! وأقول جذابة مشوقة لأن الكثير من هؤلاء الرجال مواقف سياسية باهرة تتصل كثيراً برجال الحكم وتنبئ عن غيرة المخلصين من العلماء حين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فيصادمون الطغيان المعتز بجبروته وعساكره وخيوله! وهم بذلك يتيحون لمؤرخهم الدءوب مدداً لا ينقضي من الحديث! هذا غير ما يضطر إلى الإفاضة فيه من توضيح طرائق الوعظ ومناهجه وما يحتاج إليه من تبحر في الشريعة وبراعة في المنطق وقدرة على استشفاف النفوس ودراسة ما يشتجر من التيارات!

وسنتحدث اليوم عن واعظ جهير شغل مكانة مرموقة في عصره واجتمع حوله من الأشياع والمريدين مالم يجتمع لأنبه الأساتذة في عصرنا الحديث، وقد كثرت الأخبار في ذلك كثرة تدعو إلى التصديق وتقطع الطريق على كل متشكك يلتمس مظان الريبة فيما يقرأ من الأنباء! وحسبنا أن نقرأ مؤلفات الرجل أو ما بقي لدينا منها لندرك مبلغ علمه وتنوع معارفه وكثرة أقانينه، وإن واعظا يترك المجلدات الحافلة في الفقه والتفسير والتاريخ والحديث والأدب واللغة لجدير أن تلتف حوله الأشياع! هذه المؤلفات الباقية بين أيدينا إلى اليوم هي الوثيقة الصادقة التي تحدد مكانة الرجل في عصره، وتشير إلى أسباب زعامته الروحية، وسيطرته الدينية على الجماهير!!

على أن أهم ما جعل هذا الواعظ الجهير يتبوأ مكان الصدر بين العلماء، وموضع الحظوة لدى الرؤساء، وزمام القادة من الجمهور ليس ما شغف به من دراسة علوم الشريعة واللسان على كثرة ما أبدع في تناولها وتصنيفها بل خبرته الفائقة بأحوال عصره، وثقافات مجتمعه، فقد رزق عقلا نهما يتوق إلى شتى المعارف الإنسانية ويستوعب

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فى شوق ما يقال عن الفلسفة والمنطق ، هذا إلى نفس مرحة طيبة تروى طرائف الأدب وتتتبع نوادر الشعراء والأدباء ، وإن عجيباً أن يكتب هذا الرجل مؤلفات ضخمة عن العشاق والظراف والمتماجنين وأخبار النساء والمغفلين والمجانين والحمقى والأذكياء والحدائق ، هذا غير مؤلفاته الموسوعية فى التشريع والتفسير والحديث وعلوم القرآن والوعظ ، وقد أفادته دراساته الأدبية سلاسة رقيقة فى أسلوبه كانت ذات تأثير خلاب فى وعظه ، وإذكنا نعلم أن أبا الفرج الجوزى (وهو من نتحدث عنه) قد نشأ فى القرن السادس ، وهو عصر المحسنات البديعية ، والصنعات اللفظية ثم نجده يختار فى وعظه وتأليفه معا ـ الأسلوب السلس الشائق غير ملتفت إلى هذا العبث الصناعى المسيطر على الأقلام . فإننا نعتبره صاحب مذهب فنى يربأ بأفكاره أن تقيد بالسلاسل الزائفة ، ولولا بصيرته الأدبية الشفافة ما أتيح له هذا التفوق الكبير !

ولم يسلم أبو الفرج الجوزى من مناوأة معاصريه ! فهو إمام داعية ذو رأى مسموع وتأثير نفاذ ، وكان من الطبيعى أن يسأل عما يضطرب فى عصره من أحداث وعما يموج به الفكر الإسلامى آنذاك من تيارات فيجيب إجابة المتمكن الضليع ، ثم يؤلف فيما يسأل عنه ، فتذيع مؤلفاته بين الخاصة والعامة ، وكان أشد الناس عداء للمتصوفة فهو ينكر ما يزعمونه من الخوارق ويلزمهم بالوقوف عند حدود الشرع ، ثم يخوض حربا طاحنة مع الجامدين من الفقهاء والمقلدين من المتحجرين ، وينقد التراث الفلسفى والمنطق ، ويناقش الآراء الكلامية فى ذات الله وصفاته ، ويرد على ما يقال من التجسيم والتشبيه ! كل ذلك يترك حوله غباراً ثائراً من معارضيه ، ولكنه مع ذلك يجذب إليه من الأنصار أناسا يتفانون فى تقديره ، ويتدافعون على مجالس وعظه حتى كان يقدر مجلسه الحاشد فى بعض الأحيان بمائة ألف ، وحتى قال عن نفسه :

ولقد تاب على يدى فى مجالس الذكر أكثر من مائتى ألف ، وأسلم على يدى أكثر من مائتى نفس ، وكم سالت عين متجبر بوعظى لم تكن لتسيل .

ولعل ما حببه للنفوس فوق علمه وأدبه لطافة مظهره ، فقد كان نظيفا متطيبا يلبس الجيد الراقى من اللباس ، ويظهر نعمة الله عليه ، فيما يتخذ من المأكل والمشرب والمسكن والمركب ، وكان لطيف الصوت ، حلو الشمائل رخيم النغمة ، يتنقل بسامعه من الجد إلى الفكاهة كثير الاستشهاد بالنوادر والأبيات معظما الحديث المحمدى ، وقد ذكر ابن خلكان

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

هنه أنه كان يحتفظ ببراية أقلامه التى يسطر بها حديث رسول الله وأوصى أن يسخن بها ماء غسله بعد موته ففعل بها ما أراد وتهافت الناس على بقيتها فكفنت أناسا كثيرين !

وإذا كان التقرب من الرؤساء - ملقاً ورياء ديدن بعض الذين يبتغون عرضا من الحياة الدنيا ، فإنه مما يشين العالم بوجه خاص والواعظ بوجه أخص ، وقد أدرك ذلك ابن الجوزى فاجتهد أن يكون بمنأى عن موردات ذوى الأمر والنهى ، فلم يعرف له اتصال ببعض الخلفاء والوزراء مع أنه كان يقيم ببغداد عاصمة الخلافة الإسلامية ، ومناط التطلع والاستهواء لدى الوصوليين ممن لا يدخرون وسعا فى الزلفى والشفاعة حتى يحوزوا رضا الحاكمين ثم يعودوا بالبدر والهبات إن قصرت أطماعهم على المادة وبالمناصب والألقاب إن تجاوزت المال إلى الجاه والاستعلاء ! وما يروى من أن ابن الجوزى كان يعقد بعض مجالس الوعظ فى ساحة قصر الخليفة فليس بسبب مما نحن فيه من ذم التقرب المغرض والوصولية المنتهزة لأن الإمام الداعية لم يستجب لرغبة الخليفة المستضىء فى ذلك إلا بعد أن اشترط على القصر أن يسمح لجميع العامة بالدخول حتى يكون الرئيس والمرءوس بموضع واحد من سماع الوعظ ومذاكرة العلوم ! وفعلا كان مجلسه فى دار الخلافة لا يختلف عن مجلس وعظه فى مكان آخر إلا ما يروى من أن والدة الخليفة وابنها كانا يستمعان الوعظ من وراء ستار ، ومهما يكن من شىء فقد فطن ابن الجوزى بالتجربة المريرة إلى أثر اتصال رجل الدين بالحاكم المستبد فقال عن نفسه :

كنت فى بداية الصبوة قد ألهمت طريق الزهاد بإدامة الصوم والصلاة وحببت إلى الخلوة فكنت أجد قلباً طيباً ، وكانت عين بصيرتى قوية حادة فانتهى الأمر بى إلى أن صار بعض ولاة الأمور يستحسن كلامى فأمالنى إليه فمال الطبع ففقدت الحلاوة ، ثم استمالنى آخر فكنت أتقى مخالطته ومطاعمه لخوف الشبهات ، وكانت حالتى قريبة ، ثم جاء التأويل فانبسطت فيما يباح فانعدم ما كنت أجد من استقارة وسكينة ، وصارت المخالطة توجب ظلمة فى القلب إلى أن عدم النور كله ، فاجتذبنى لطف مولاى بى إلى الخلوة على كراهة منى ، ورد قلبى على بعد نفور عنى ، وأرانى عيب ما كنت أوثره فأفقت من مرض غفلتى [1] ، وقد حرصت على أن أنقل عبارته لأنها ذات دلالة خاصة فيما يتصل بقلب الواعظ وخلوص

(١) ص ١٠ مقدمة كتاب ذم الهوى لمحققه الأستاذ مصطفى عبد الواحد .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

طويته فليس المرجو منه أن يعظ بالقرآن والحديث ولكن القدوة الصالحة هي مناط التأثير والانجذاب ، ولا قيمة للعلم دون امتثال .

أما مجلس وعظه على هيئته الطبيعية دون تزيد أو تخييل فقد حفظ لنا التاريخ صورة حية منه رسمها الرحالة الأندلسي ابن جبير في رحلته الشهيرة ، فجاءت صورة باهرة مثيرة قل أن تتاح لأحد ممن عرفناهم أو قرأنا عنهم من كبار المرشدين ، وابن جبير كما نعرفه في رحلته لم يكن يخالف الواقع إلى المبالغة ، وهو في حقيقته فقيه محدث متدين يحرص على تسجيل أخبار الصالحين والهداة ومجاهدي الحروب الصليبية من الأبطال ويفيض في الحديث عن المزارات والمناسك ومواسم العبادة من صوم وحج وزكاة ، ولو جردت رحلته مما يتعلق بمسائل الدين ومناسكه والحديث عن رجاله وعلمائه ما وجد شيء ذو بال ، بل إن رحلته من الأندلس إلى المشرق في لبابها الصريح كانت رحلة دينية تهدف إلى التوبة والتطهير وغفران الذنوب بزيارة بيت الله في مكة وروضة الرسول في المدينة ، فقد قيل إن سبب الرحلة الأولى هو « أن أبا سعيد بن عبد المؤمن صاحب غرناطة استدعاه ليكتب له كتابا وهو على شرابه ، فمد يده إليه بكأس فأظهر الانقباض وقال يا سيدي ما شربتها قط ، فقال والله لتشربن منها سبعا ، فلما رأى العزيمة شرب سبع أكؤس فملأ له السيد الكأس من دنانير سبع مرات وصب ذلك في حجره ، فحمله إلى منزله ، وأضمر أن يجعل كفارة شربه الحج بتلك الدنانير ثم رغب السيد وأعلمه أنه حلف بأيمان لا خروج له عنها أن يحج في تلك السنة فأسعفه وباع ملكا له تزود به وأنفق تلك الدنانير في سبيل البر » .

أخذ ابن جبير يجوب الآفاق حتى قدم بغداد ، ولا ندري لماذا لم تقع منه هذه المدينة الزاهرة موقع الارتياح ، « فقد ذهب أكثر رسمها ولم يبق إلا شهير اسمها فلا حسن فيها يستوقف البصر وأهلها يتصنعون بالتواضع رياء ، يزدرون الغرباء ، ويظهرون لمن دونهم الأنفة والإباء ، والغريب فيهم معدوم الإرفاق متضاعف الإنفاق ، فسوء معاشرة أبنائها يغلب على طبع هوائها ودمائها أستغفر الله إلا فقاءهم المحدثين ووعاظهم المذكرين » .

وكأني بابن جبير وقد استثنى الفقهاء والمحدثين إجلالا لابن الجوزي فقد تحدث عنه بما شاء الله أن يتحدث عن عالم ورع مهيب مفضال ! وقد وصف مجلس وعظه وصفاً غريباً نقف منه على ما كان يتبع في عصره لدى الوعظ من تقليد ! إذ أن المجلس الديني كان يبدأ عادة بتلاوة آيات من الذكر الحكيم يقرؤها في المجلس الواحد أكثر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من عشرين قارئا ، كل قارئ آيتان آيتان ! وجميع الآيات فى غرض واحد حتى إذا انتهى القراء وقف الواعظ فألقى خطبة فياضة تدور حول الآيات المتلوة ، فيأتى بها جميعها مفسرة موضحة ومؤيدة بما يدور فى فلكها من الحديث وقصص الهداة وعبر التاريخ ، على أن يلتزم فى خطبته الحرف الأخير من آخر آية كريمة قراها المرتلون فيكون مقطع الجملة وقافية العبارة دون تكلف أو افتعال ، فإذا فرغ من تفسيره تتبع الرقاع المختلفة تحمل أسئلة الجمهور فيجيب عنها واحداً واحداً ، لافرق بين سؤال فى موضوع الخطبة أو سؤال خارج عنه حول أى مشكلة تدور فى الأذهان ؛ وكنت أظن أن نظام الأسئلة عقب المحاضرات أمر مستحدث نعرفه الآن فقط ولكن حديث ابن جبير عن ابن الجوزى والقزوينى وغيرهما من المحاضرين يدل على أن الأمر فى ذلك يرجع إلى مدى بعيد ، وقد حضر الرحالة الطلعة ثلاث مشاهد من مجالس الوعظ لابن الجوزى ، فوصفها وصفا متقاربا بحيث يغنى وصف المجلس الواحد عن أخيه لافرق بينهما إلا فى موضوع الوعظ وفحواه ، أما طريقة القراء و نظام التلاوة وتهيئة المجالس فكل ذلك يسير على وضع رتيب وسننقل هنا وصفا بديعا لبعض مجالس ابن الجوزى ومستلزمات وعظه كما رسمها الرحالة الكبير ـ قال :

ثم شاهدنا صبيحة يوم السبت مجلس الشيخ الفقيه الإمام الأوحد جمال الدين أبى الفضائل ابن على الجوزى بإزاء داره على الشط بالجانب الشرقى ، وفى آخره على اتصال من قصور الخليفة وبمقربة من باب البصلية آخر أبواب الجانب الشرقى ، وهو يجلس به كل يوم سبت فشاهدنا مجلس رجل ليس من عمرو ولا زيد ، وفى جوف الفرا كل الصيد ، ومن أبهر آياته وأكبر معجزاته أنه يصعد المنبر ويبتدئ القراء بالقرآن وعددهم نيف على العشرين قارئا فينتزع الإثنان منهم أو الثلاثة آية من القراءة يتلونها على نسق بتطريب وتشويق ، فإذا فرغوا تلت طائفة أخرى على عددهم آية ثانية ، ولا يزالون يتناوبون آيات من سور مختلفات إلى أن يتكاملوا قراءة ، وقد أتوا بآيات متشابهات لا يكاد المتقد الخاطر يحصيها عدداً أو يسمها نسقا فإذا فرغوا أخذ هذا الإمام الغريب الشأن فى إيراد خطبته عجلا مبتدرا ، وأفرغ فى أصداف الأسماع من ألفاظه دررا ، وانتظم أوائل الآيات المقروءات فى أثناء خطبته فقرأ ، وأتى بها على نسق القراءة لها ، لا مقدما ولا مؤخراً ، ثم أكمل الخطبة على قافية آخر آية منها ، فلو أن أبدع من فى مجلسه تكلف تسميته ما قرأ القراء آية آية على الترتيب لعجز عن ذلك ، فكيف بمن ينتظمها

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مرتجلا ويورد الخطبة الغراء بها عجلا ، أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون » ، « إن هذا لهو الفضل المبين » .

لحدث ولا حرج عن البحر ، وهيهات ، ليس الخبر عنه كالخبر ، ثم إنه أتى بعد أن فرغ من خطبته بوقائق من الوعظ وآيات بينات من الذكر طارت لها القلوب اشتياقا وذابت بها الأنفس احتراقا إلى أن علا الضجيج وتردد بشهقاته النشيج ، وأعلن التائبون بالصياح وتساقطوا عليه تساقط الفراش على المصباح ، كل يلتقي بناصيته بيده فيجزها ويمسح على رأسه داعيا له ، ومنهم من يغشى عليه فيرفع في الأذرع إليه ، فشاهدنا هولا يملأ النفوس إنابة وندامة ، ويذكرها هول يوم القيامة ، فلو لم نركب ثبج البحر ونعتسف مفازات القفر إلا لمشاهدة مجلس من مجالس هذا الرجل لكانت الصفقة الرابحة والوجهة المفلحة الناجحة والحمد لله على أن من بلقاء من تشهد الجادات بفضله ، ويضيق الوجود عن مثله ، وفي أثناء مجلسه ذلك يبتدرون المسائل وتطير إليه الرقاع فيجاوب أسرع من طرفة عين وربما كان أكثر مجلسه الرائق من نتاج تلك المسائل ، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء لا إله سواه .

وظاهر من كلام ابن جبير أنه دهش لا تفاق الخطبة الوعظية مع الآيات القرآنية المتلوة ! فهو يقول « فلو أن أبدع من في مجلسه تكلف تسمية ما قرأ القراء آية آية على الترتيب لعجز عن ذلك ، فكيف بمن يقتظمها مرتجلا ويورد الخطبة الغراء بها عجلا » وربما تزول دهشة الرحالة حين يعلم أن هؤلاء القراء كما أفهم — يعرفون ما سيقرءون من ابن الجوزي قبل أن يلتئم الجمع ، فالرجل لا محالة يجمع مادة الدرس من كتاب الله في موضوع واحد تتفرق آياته في السور المختلفات ثم يخبر بها القراء ليقوموا بتلاوتها وللأصوات الحسنة تأثيرها النفاذ فهي تمهد السبيل لتلقي الوعظ ومتابعة التفسير ، فإذا نهض الإمام ابن الجوزي ليفسر النص بعد أن استمتع الحاضرون بتلاوته صادف موضع الرغبة والإقبال ! وهذا مما يزيد توفيقه ونفاذه ولن يقول قائل إن إعداد الآيات مما ينقص مقدرته على الارتجال ، فهو آية اعتداده بنفسه ، ودليل تمكنه من الربط البدهي والتعليل الحاضر والاستشهاد السريع وحق لمثله أن يقول فيه ابن جبير « فلو لم نركب ثبج البحر ونعتسف مفازات القفر إلا لمشاهدة مجلس من مجالس هذا الرجل لكانت الصفقة الرابحة مع أنه رأى في رحلته الدنيا وشاهد مئات الرجال .

محمد رجب البيومي
المدرس الأول بدار المعلمات بالفيوم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

المعلم الثاني وشعره

للأستاذ سعيد زايد

أجمع المؤرخون ابن أبي أصيبعة في «عيون الأنباء» وابن خلكان في «وفيات الأعيان» وابن النديم في «الفهرست» وصاعد في «طبقات الأمم» على أن اسم المعلم الثاني هو محمد، ولكنهم اختلفوا في نسبه واسم أبيه، فقال الأول إنه أبو نصر محمد بن محمد ابن أوزلغ بن طرخان، وقال الثاني إنه أبو نصر محمد بن طرخان بن أوزلغ، وقال الثالث إنه أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان، وقال الرابع إنه أبو نصر محمد بن محمد ابن نصر.

وقد اتفق أغلب من ترجموا للمعلم الثاني على أنه تركي الأصل، وخالفهم في ذلك ابن أبي أصيبعة الذي ذكر أن والده كان قائد جيش وهو فارسي المنتسب. ويعلق الأستاذ الأكبر المرحوم الشيخ مصطفى عبد الرازق على ذلك في كتابه «فيلسوف العرب والمعلم الثاني» على ذلك بقوله: «ولا سبيل إلى تحقيق نسبه من هذه الناحية لتقارب البلدين واشتراك الأعلام فيهما. وإذا صح أن أباه كان قائد جيش فهو لم يكن من كبار القواد الذين يشيد بذكرهم التاريخ. ولعل فيما امتاز به الفارابي من الشجاعة والصبر على احتمال متاعب الدرس ومشاق الأسفار وشظف العيش ما يشعر بأنه سليل أبطال».

ويذكر ابن النديم في «الفهرست» أن المعلم الثاني ولد في بلدة فاريات، من أرض خراسان ولم يعلل لماذا يدعى الفارابي لا الفاريابي. والقول الذي يكاد يجمع عليه كل من كتب عن الفارابي أنه من بلدة فاراب، وهي - كما يقول ياقوت في معجم البلدان: «ولاية وراء نهر سيحون في تخوم بلاد الترك، وهي أبعد من الشاش قريبة من بلاساغون ومقدارها في الطول والعرض أقل من يوم، إلا أن بها منعة وبأسا، وهي ناحية سبخة لها غياض، ولهم مزارع في غرب الوادي تأخذ من نهر الشاش».

لم يترجم المعلم الثاني لنفسه، كما صنع غيره من مفكري الإسلام، وكذا لم يفعل ذلك أحد من تلاميذه. وهذا كان من أكبر الأسباب التي دعت إلى عدم معرفة تاريخ

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مولده . ولكن هذا التاريخ يمكن استنتاجه من ذكر ابن خلكان فى « وفيات الأعيان » لتاريخ وفاته والعمر الذى بلغه ، فقد ذكر أنه توفى سنة ٣٢٩ هـ عن ثمانين عاما ، وبذا يمكننا أن نستنتج تاريخ مولده بأنه كان حوالى سنة ٢٥٩ هـ .

وعدم ترجمة المعلم الثانى لنفسه أثرت فى معرفتنا لرحلاته وأسفاره ، فقد كان من هواة الأسفار والتنقل ، ولكن المؤرخين لم يذكروا من هذه الرحلات إلا ما وقع منها بعد بلوغه الخمسين من عمره ، ولم يتتبعوا منها إلا ما كان بعد رحيله من بلده إلى بغداد ، أما الأسفار والرحلات التى تمت فى طفولته وشبابه فما زالت فى طى المجهول ، وقد يكشف عنها بحث علمى .

وعلى غرار أهل عصره نشأ المعلم الثانى على ثقافة لغوية دينية ، فقد أقبل على العلوم الإسلامية من فقه وحديث وتفسير ، وتعلم اللغة العربية والتركية والفارسية . وقد ذكر ابن خلكان رواية عجيبة هى أنه كان يلم بسبعين لسانا ، ولكن هذا الخبر يدخل فى باب الأساطير ، فإنه يبعد عن الظن أنه عرف لغة أخرى غير تلك اللغات التى ذكرناها . ويقول الدكتور إبراهيم مدكور فى بحث له عن « الفارابى » إنه لم يكن يعرف اللغة اليونانية ، ويتضح ذلك من تحليله لكلمة السفسطة فى كتابه إحصاء العلوم . وإلى جانب الدراسات اللغوية الدينية نال المعلم الثانى قسطا من الدراسات العقلية المحيطة به من رياضة وفلسفة ؛ ولقد ذكر ابن أبى أصيبعة أنه عنى بدراسة الطب عناية خاصة ، ولكن الدكتور إبراهيم مدكور - فى بحثه المذكور - لا يقر هذا القول .

ولقد كانت رحلات الفارابى بحثاً عن الدراسات العقلية ، فبعد رحيله من بلده إلى بغداد درس المنطق فيها على إمام المناطقة أبى بشر متى بن يونس ؛ ولم يكتف بهذا ، بل درسه أيضا - كما يذكر صاعد فى طبقات الأمم - على يوحنا بن حيلان المتوفى فى مدينة السلام فى أيام المقتدر ، وكان ذلك بعد رحيله من بغداد إلى حران ؛ وترجع تسميته بالمعلم الثانى لما انتهى إليه من منزلة ممتازة . وقد تتلمذ عليه يحيى بن عدى المنطقى المشهور .

قلنا إن الفارابى لم تعرف رحلاته إلا ما وقع منها بعد سن الخمسين ، أى ما وقع منها فى مرحلة النضج الكامل والتأثير فيمن يتصل به . فهو بعد أن رحل من بلده إلى بغداد ثم إلى حران - كما قلنا - رجع مرة ثانية ، كما يذكر ابن خلكان ، إلى بغداد ، فقرأ فيها علوم الفلسفة ، ووجد فيها كتب

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

المعلم الأول أرسطو فأقبل على دراستها فى نهم ، مستخرجا معانيها ، ولقد عاود قراءتها عدة مرات ، فلقد وجد على كتاب النفس لأرسطو عبارة بخطه هى : « إنى قرأت هذا الكتاب مائة مرة . ويقال إنه ذكر أنه قرأ كتاب « السماع الطبيعى » لأرسطو أيضا أربعين مرة ، وما زال محتاجا إلى معاودة قراءته .

ويذكر ابن خلكان أن المعلم الثانى ألف معظم كتبه فى بغداد . وهذا خبر صادق فيما يبدو ، ذلك أنه قضى فى بغداد ما يقرب من عشرين عاما كلها فى فترة نضوجه العلمى .

وبعد أن قضى المعلم الثانى هذه الفترة فى بغداد ، توجه إلى حلب ، وعاش فى كنف سيف الدولة بن حمدان ، والتقى فى بلاطه بعلماء الإسلام من كل جنس وثقافة ، لغويين وأدباء وفلاسفة .

قضى الفارابى حياته كلها فى شظف من العيش ، وكان يكسب قوته بعمل يديه ، فهو لم يكن بالرجل الذى تغريه مظاهر الدنيا والجاه ، حتى إنه كان يعمل ناطورا إبان الفترة التى ذهب فيها إلى دمشق . شىء واحد كان بارزا فى حياته هو انقطاعه للتعليم والتأليف وحبه الأسفار ، فقد سافر غير مرة - فى الفترة التى قضاها فى حلب - إلى مصر وإلى دمشق ، هذا بالإضافة إلى انتقاله من مسقط رأسه إلى بغداد ومنها إلى حران ثم رجوعه إلى بغداد ، كما ذكرنا سابقا .

وقد توفى المعلم الثانى سنة ٣٣٩ هـ ، وكرمه سيف الدولة بن حمدان بأن صلى على جثمانه مع بعض خواصه ، ودفن بظاهر دمشق خارج الباب الصغير . ولقد كانت وفاة الفيلسوف وفاة طبيعية ، كما ذكر جل المؤرخين ، ولقد خالفهم البيهقى فى كتابه « تاريخ الحكماء » فذكر أن بعض اللصوص قتلوه فى أثناء رحلته من دمشق إلى عسقلان . ولكن أستاذنا المرحوم الشيخ مصطفى عبد الرازق بنى هذه الرواية وبدحضها فى كتابه « فيلسوف العرب والمعلم الثانى » فيقول : « لو صحت حكاية قتل الفارابى لأشار إليها من ترجموا له ممن كان زمنهم قريبا من زمنه كأبى الحسن على المسعودى المتوفى سنة ٣٤٦ هـ ، سنة ٩٥٧ م . على أنا لاحظنا فى ترجمة البيهقى للفارابى خلطا تاريخيا يزعزع الثقة بها ، وهذه الرواية المنقولة عن قتل الفارابى تشبه أن تكون تحريفا لما رواه المؤرخون عن مقتل أبى الطيب المتنبى الشاعر المشهور فى عودته من بلاد فارس إلى الشام سنة ٣٥٤ هـ » .

ولقد روى ابن خلكان وابن أبى أصيبعة الأول فى « وفيات الأعيان » والثانى فى « عيون

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الأنباء فى طبقات الأطباء ، أن هناك بعض أشعار تنسب إلى المعلم الثانى ، هى :

أخى خل حيز ذى باطل
وكن للحقائق فى حيز

فما الدار دار مقام لنا
وما المرء فى الأرض بالمعجز

ينافس هذا لهذا على
أقل من الكلم الموجز

وهل نحن إلا خطوط وقعن
على نقطة وقع مستوفز

محيط السموات أولى بنا
فاذا التنافس فى مركز

ولكن ابن خلكان نفسه يشك فى نسبتها إلى الفارابى ، ويقول فى ذلك :

« ورأيت هذه الأبيات فى الخريدة منسوبة إلى الشيخ محمد بن عبد الملك الفارقى البغدادى الدار » .

وذكر ابن أبى أصيبعة . كذلك ، بعض أبيات شعرية ، ضمن دعاء أورده على لسان الفارابى ، هى :

ياعلة الأشياء جمعا والذى
كانت به عن فيضه المتفجر

رب السموات الطباق ومركز
فى وسطهن من الثرى والأبحر

إنى دعوتك مستجيرا مذنبا
فاغفر خطيئة مذنب ومقصر

هذب بفيض منك رب الكل من
كدر الطبيعة والعناصر عنصرى

وروى أيضا هذه الأبيات :

لما رأيت الزمان نكسا
وليس فى الصحبة انتفاع

كل رئيس به ملال
وكل رأس به صداع

لزمت بيتى وصنت عرضا
به من العزة اقتناع

أشرب بما اقتنيت راحا
لها على راحتى شعاع

لى من قواريرها ندامى
ومن قراقيرها سماع

وأحتنى من حديث قوم
قد أقفرت منهم البقاع

وقد ذكر أستاذنا المرحوم الشيخ مصطفى عبد الرازق فى كتابه سالف الذكر بعض أبيات شعرية للفارابى من مجموعة تسمى الفلسفة القديمة مطبوعة سنة ١٩١٠ بالمطبعة السلفية ، هى :

بزجاجتين قطعت عمرى
وعليهما عولت أمرى

(البقية على الصفحة التالية)

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مولانا أزاد والخلافة

للأستاذ عبد المنعم النمر

كان المسلمون بصفة عامة ينظرون إلى الخلافة كرمز دينى له قداسته فى قلوبهم وعاشوا على مر القرون منذ كانت الخلافة الراشدة حتى الخلافة العثمانية يعيشون فى ظل خلافة أيا كانت هذه الخلافة ... ويدينون لها بالولاء والطاعة . حتى كان الملوك الأقوياء فى مصر أو غيرها يرون ألا بد من قيام نظام الخلافة بجانبهم ليستمدوا منه قوة النفوذ على الشعب المسلم ... ويسعوا مع قوتهم ونفوذهم إلى أن يأخذوا موافقة الخليفة ضعيف السلطة على تنصيبهم ملوكا لتكون لهم الصبغة الشرعية فى حكم المسلمين بالرغم من أن هؤلاء الخلفاء أحيانا لم تكن لهم أية سلطة زمنية وكانوا يعيشون فى حماية هؤلاء الملوك الأقوياء ...

ولا شك أن سعى هؤلاء الملوك الأقوياء إلى استرضاء الخلفاء وإعلان حكمهم للشعب

(بقية المنشور على الصفحة التالية)

فزجاجة ملئت بحبر
وزجاجة ملئت بخمر
فبذى أدون حكمتى
وبذى أزيل هموم صدرى

هذا هو ما وصل إلينا من شعر المعلم الثانى ، وفى الحق : أن ما وصل إلينا من كتبه لا يذكر فيها شىء عن شعر له أو أنه قال الشعر أبدا ، وكل الاعتماد فى هذا الموضوع على كتب المؤرخين ، ولذا فإنه لا يعطينا فكرة واضحة ولا يحسم الأمر بإعطاء برهان قاطع هما إذا كان هذا الشعر من نظمه حقا أم نسب له فقط ، ذلك أن ابن خلكان نفسه بعد أن روى بعض الأبيات شك فى نسبتها إليه ولقد شك أستاذنا المرحوم مصطفى عبد الرازق فى كتابه المذكور فى ذلك الأمر قائلا : « نحن نشك فى صحة معظم هذا الشعر أن يكون للفارابى ، لما فى أسلوبه من تكلف ينبو عنه أسلوب فيلسوفنا وطبعه ولما فى معانيه من تبرم بالحياة واستهتار بالشراب .

وقد يكون للفارابى شعر يتفق مع ما كان عليه من منزلة علمية وخلقية ، وعدا عليه الزمان فيما عدا على بعض آثاره الفلسفية . ولكنا قبل الكشف عن هذه الآثار والعثور على نصوص صحيحة لا نستطيع أن نجزم بأنه كان شاعراً . ومن يدرى لعل البحث العلمى يكشف عن هذا الموضوع فى يوم من الأيام .

سعيد زايد

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مولانا أزاد والخلافة

للأستاذ عبد المنعم النمر

كان المسلمون بصفة عامة ينظرون إلى الخلافة كرمز دينى له قداسته فى قلوبهم وعاشوا على مر القرون منذ كانت الخلافة الراشدة حتى الخلافة العثمانية يعيشون فى ظل خلافة أيا كانت هذه الخلافة ... ويدينون لها بالولاء والطاعة . حتى كان الملوك الأقوياء فى مصر أو غيرها يرون ألا بد من قيام نظام الخلافة بجانبهم ليستمدوا منه قوة النفوذ على الشعب المسلم ... ويسعوا مع قوتهم ونفوذهم إلى أن يأخذوا موافقة الخليفة ضعيف السلطة على تنصيبهم ملوكا لتكون لهم الصبغة الشرعية فى حكم المسلمين بالرغم من أن هؤلاء الخلفاء أحيانا لم تكن لهم أية سلطة زمنية وكانوا يعيشون فى حماية هؤلاء الملوك الأقوياء ...

ولا شك أن سعى هؤلاء الملوك الأقوياء إلى استرضاء الخلفاء وإعلان حكمهم للشعب

(بقية المنشور على الصفحة التالية)

فزجاجة ملئت بحبر
وزجاجة ملئت بخمر
فبذى أدون حكمتى
وبذى أزيل هموم صدرى

هذا هو ما وصل إلينا من شعر المعلم الثانى ، وفى الحق : أن ما وصل إلينا من كتبه لا يذكر فيها شىء عن شعر له أو أنه قال الشعر أبدا ، وكل الاعتماد فى هذا الموضوع على كتب المؤرخين ، ولذا فإنه لا يعطينا فكرة واضحة ولا يحسم الأمر بإعطاء برهان قاطع هما إذا كان هذا الشعر من نظمه حقا أم نسب له فقط ، ذلك أن ابن خلكان نفسه بعد أن روى بعض الأبيات شك فى نسبتها إليه ولقد شك أستاذنا المرحوم مصطفى عبد الرازق فى كتابه المذكور فى ذلك الأمر قائلا : « نحن نشك فى صحة معظم هذا الشعر أن يكون للفارابى ، لما فى أسلوبه من تكلف ينبو عنه أسلوب فيلسوفنا وطبعه ولما فى معانيه من تبرم بالحياة واستهتار بالشراب .

وقد يكون للفارابى شعر يتفق مع ما كان عليه من منزلة علمية وخلقية ، وعدا عليه الزمان فيما عدا على بعض آثاره الفلسفية . ولكنا قبل الكشف عن هذه الآثار والعثور على نصوص صحيحة لا نستطيع أن نجزم بأنه كان شاعراً . ومن يدرى لعل البحث العلمى يكشف عن هذا الموضوع فى يوم من الأيام .

سعيد زايد

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

باسم الخليفة كان راجعا لما لهؤلاء الخلفاء على ضعفهم من سلطة روحية على المسلمين .

وكانت السلطة الروحية لهؤلاء الخلفاء تمتد إلى قلب كل مسلم فى أية جهة كانت .. ولهذا كان للخلافة العثمانية نفوذ روحى على المسلمين سواء أكانوا يعيشون فى دولة الخلافة أم يعيشون فى ظل دولة أخرى ...

ولعل أبرز مثل على هذا فى عصرنا الحديث ما رأيناه من تعلق المسلمين فى الهند بالخليفة العثمانى ودفاعهم عن هذه الخلافة بكل ما فى وسعهم ... ذلك لأنهم كانوا ينظرون إليها على أنها مركز التجمع للمسلمين وأنها التى يمكنها بهذا صد التيار الغربى الزاحف عليهم وإنقاذ مجد الإسلام وتراثه من عبث الغرب به . فوق أنهم كانوا يتطلعون إليها لحماية لهم بعد أن فقدوا ملكهم على أرض الهند .

وكانوا فى عاطفتهم نحوها وتعلقهم بها أشد حماسا من المسلمين العرب الذين كانت تحكمهم؛ ذلك لأن العرب قاسوا من حكم الأتراك الظالم الجائر الفاسد المتعصب ما أضعف عاطفتهم نحوها ، وجعلهم يسعون أحيانا للتخلص منها على عكس الهنود الذين لم يمسهم هذا الحكم التركى بظلم ، فبقيت عاطفتهم نحوها سليمة فوق أنهم كانوا يعتبرون تألب الغرب عليها حركة صليبية حديثة ولذا رأيناهم يهبون لمساعدتها فى حربها مع دول البلقان ، وفى حربها مع إيطاليا فى طرابلس، ويبعثون إليها بالمساعدة تلو المساعدة . ثم رأيناهم يفزعون أشد الفزع عند دخول انجلترا الحرب ضدها ويعلنون أنهم يقفون فى صفها ، ويظهرون العداء من أجلها للدولة الحاكمة لهم وهى انجلترا ، مما اضطرها إلى أن تصانعهم ، وتلتمس لنفسها المعاذير فى دخولها الحرب ضد دولة الخلافة ، ثم تتعهد لهم بألا تمسها بسوء إذا خرجت من الحرب منهزمة .

وعندما انهزمت وبدأت انجلترا تنكث بعهودها ثاروا جميعا عليها وعمت الهند كلها ثورة جارفة سقط فيها مئات الضحايا ، وقامت حركة الخلافة بتنظيم جهود المسلمين من أجل المحافظة على دولة الخلافة حتى أعلن غاندى باسم الهندوس تضامنه مع المسلمين ضد انجلترا من أجل نقضها لوعودها ...

وكان المسلمون فى الهند - على ما أعتقد - هم وحدهم - دون بقية مسلمى العالم - الذين ناصروا الخلافة ودافعوا عنها وضحوا من أجلها .. ولا يزال الكثير منهم يعتقدون حتى الآن أن السبب فى نكبة المسلمين وتمكن الغرب من السيطرة عليهم واستعمارهم ماديا وفكريا إنما هو تخليهم عن الخليفة وتفريطهم فى الدفاع عن دولتهم التى كانت تجمعهم وتوحد شملهم ، إذ لو أن المسلمين

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

نسوا أو تناسوا مؤقتا ما كان لدولة الخلافة من مظالم ووقفوا بجانبها ضد الغرب لأمكن لهم الاحتفاظ بوحدتهم الإسلامية الجامعة ولما استطاع المستعمر أن يثبت قدمه فى بلادهم ولما أمكن لليهود انتزاع فلسطين من أهلها وطردهم منها وكان يمكن للمسلمين بعد ذلك أن يصفوا حسابهم مع دولة الخلافة ويأخذوا حقوقهم منها .

سمعت كثيرا من زعماء المسلمين فى الهند يدلون بهذه الآراء ويبدون شديد الأسف مع كثير من المرارة لما أصاب المسلمين بسبب تفككهم وتخليهم عن دولة الخلافة . . حتى فى آخر حديث لى مع المجاهد المسلم شيخ الإسلام فى الهند مولانا حسين أحمد مدنى قبيل وفاته سنة ١٩٥٧ م ذكر لى هذا الرأى وهو مؤمن به أشد الإيمان . . وقال لو أن مصر وغيرها من العرب ساندوا دولة الخلافة لما حل الاستعمار الغربى ببلادهم ولما عانوا منه ما يعانون الآن ...

ذلك إجمال لموقف المسلمين فى الهند بصفة عامة من الخلافة العثمانية .

وإذا قلنا إن ذلك كان هو موقف المسلمين فى الهند فلا شك أنه كان تفاعلا مع آراء الزعماء والقادة المسلمين أو استجابة لتوجيهاتهم .

ولقد كان مولانا أزاد أحد هؤلاء الزعماء والقادة الذين أبلوا بلاء حسنا فى خدمة الخلافة العثمانية ومساندتها ودعوة المسلمين بقلمه ولسانه إلى شد أزرها والوقوف بجانبها وإعلان الثورة على الانجليز المستعمرين من أجلها مما حملهم على اضطهاده وإغلاق مجلاته ومصادرة مطابعه وسجنه عدة مرات ... كان مسلما عميق الإيمان بدينه شديد الإحساس بالروابط الدينية التى تربطه بإخوانه المسلمين فى كل مكان . كثير العناية والاهتمام بمشاكلهم منذ كان شابا . . حتى دفعه كل هذا إلى إصدار مجلاته . الهلال ثم البلاغ لتعبر عن رأيه ويبلغ بواسطتها دعوته .

وكان لا يكتفى بمتابعة الحركات والأفكار الإسلامية حول الخلافة فى بلاده فقط بل كان يتابعها كذلك فى البلاد الإسلامية الأخرى ويكتب إلى القائمين بها مؤيداً أو ناقداً .

ولقد أتيح لى الاطلاع على بعض رسائله التى كان يبعث بها من الهند إلى السيد رشيد رضا(١) فى مصر حول هذا الموضوع فلمست فيها شدة اهتمامه بمسألة الخلافة وحدبه عليها.

ولا أريد هنا أن ألخص هذه الرسائل بل أحب أن أقدم رسالتين منها . بنصهما كوثائق هامة تؤرخ لمولانا أزاد وتبين مدى اهتمامه وحساسيته بكل أمر يتصل بموضوع الخلافة

---

(١) عثر عليها فضيلة الأخ أحمد الدمرداش وهو يعد بحثاً عن السيد رشيد رضا وقدمها لى مشكوراً .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فهو فى خطابه الأول الآتى يعبر عن مدى انزعاجه لما ذكرته إحدى الصحف الهندية من رأى السيد رشيد رضا يتصل بدولة الخلافة ، وليس من الأمور الهينة المعتادة أن يسمع واحد فى الهند رأيا لآخر فى مصر فيزعج له ويكلف نفسه الكتابة إليه ويطلب الجواب منه بما يهدئ روعه ويزيل الدهشة عنه إلا إذا كانت لديه حساسية وعناية خاصة بهذا الموضوع ويلاحظ أن مولانا أزاد كان فى أوائل العقد الثالث من عمره حين كتب هذه الرسائل ، وكان يصدر فى ذلك الوقت مجلته الهلال ولا شك أنهما تبادلا رسائل كثيرة كما يفهم ذلك من أسلوب هاتين الرسالتين وهذه هى إحدى الرسالتين وهى صادرة من كلكتا بالهند فى المحرم سنة ١٣٣١هـ (ديسمبر سنة ١٩١٢م) : -

الفاضل الجليل والشيخ النبيل :

سلام عليكم طبتم ودمتم فوق ما رمتم . وبعد : فإنه غير عازب عنكم ما لحضرتكم من المكانة فى فؤادى ، وما ذلك إلا لأنى أرى أنكم تخدمون الإسلام والمسلمين خدمة لا تشوبها صوالح الشخصية والجنسية ولأجل ذلك كلما سمعت كلمة سوء فيكم أجدنى مدفوعا إلى ردها فى نحر قائلها ، ولقد كتبت بعض الجرائد الهندية بأن لكم يداً فى الحركة اللامركزية الحديثة (يريد انفصال بعض البلاد العربية عن حكومة الخلافة) .

وما لبث هذا النبأ ألا أن ذاع فى طول الهند وعرضه وطفق الناس يتكلمون فى هذا الباب بين مصدق وآخر مكذب ، وثالث مرتاب . . أما أنا فمن الحيارى ، لا أدرى ماذا أقول ؛ لأنى كلما أتذكر نعيكم على محمد على باشا أنه وإن نفع مصر من وجوه شتى إلا أنه فارق المركز (يريد الخلافة) وأضر بمصر والدولة العثمانية كلتيهما .

لا أرى لهذا النبأ نصيباً من الصحة ، لأن اللامركزية مما صنع محمد على باشا وكلما أصرف النظر عن هذا النعى وأقرأ ما نشرته الجريدة لا أجد سبيلا لإنكاره .

إنكم نصبتم نفسكم للإصلاح ، ومعلوم أن الإصلاح فى أى شأن من شئون الأمة لا يرجى فوزه إلا بالنماذج ، وإن النماذج لا تجدى نفعاً ما لم تكن الأمة حسنة الظن بها ، وقد قال تعالى : « وتعاونوا على البر والتقوى » ، ومن معاونة البر درء الريب عن البار فنكتب إليكم الأسئلة الآتية راجين منكم جواباً شافياً لكى ننشرها فى الهند ونبرئ ساحتكم :

الأسئلة

١ - هل حضرتكم من أصحاب اللامركزية ؟.

٢ - أليس معنى اللامركزية تمزيق أشلاء

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الدولة العثمانية وتضعيف المجموع بتفريق أجزائه ؟ .

٣ - أليس هذا هو الذى نعيتموه على محمد على باشا ؟ .

٤ - أليس هذا يصدق الذين كانوا يرمونكم بفكرة تأسيس الخلافة العربية وإحداث الشقاق فى العناصر العثمانية ؟ .

٥ - أليس من البديهى أن العناصر العثمانية إذا تشتتت وتفرقت يبتلعها الأجانب وإذن لم تبق لدولة الإسلام باقية ؟ . والسلام

المخلص

أبو الكلام الدهلوى

ولعلك لاحظت أنه وقع فى آخر رسالته باسم « أبو الكلام الدهلوى » وقد جرت عادة أهل الهند على ألا تكون للأسرة اسم لقب عام يجمع أفرادها بل كل واحد فى الأسرة ينسب نفسه إلى البلد الذى نشأ فيه أو إلى المدرسة التى تعلم فيها أو إلى أستاذه الذى تأثر به وأحبه ومولانا أزاد تراه ينسب نفسه إلى دهلى مع أنه لم يولد فيها بل ولد فى مكة ثم انتقل أبوه إلى كلكتا بعد عامين من ولادته وهناك تلقى علومه وخاض غمار الحياة ومنها أصدر مجلة الهلال . فمن أين إذن جاءته هذه النسبة ! .

أعتقد أنه اختار أن ينسب نفسه لمدرسة المصلح الكبير إمام المجددين شاه ولى الله الدهلوى المتوفى عام ١٧٦٢ م والذى اعتاد العلماء والنابهون فى الهند أن ينسبوا أنفسهم إليه إيذانا بتأثرهم بأفكاره ، وسيرهم على منواله .

ولعلك لاحظت أنه عبر باللامركزية ، وأراد تقسيم بلاد الخلافة العثمانية إلى دويلات ولذلك نعى على دعاة اللامركزية دعوتهم وقال إنها تؤدى إلى تمزيق أشلاء الدولة العثمانية وتضعيف المجموع بتفتيت وتفريق أجزائه ، حتى يسهل على الأجانب بعد ذلك أن يبتلعوا البلاد ، ولا تبقى حينئذ لدول الإسلام باقية . .

وهذا هو الذى أزعجه حين نشرت إحدى الصحف الهندية : أن السيد رشيد رضا يدعو إليه ، وأخذ يلقى إليه السؤال تلو السؤال ، وكأنه بهذا يقطع الطريق على السيد رشيد رضا ويحاجه لو صح أنه يدعو إلى اللامركزية .

ويظهر أن هذا الخطاب بما جاء فيه من أمور تتعلق بالخلافة قد أثار السيد رشيد رضا ودفعه إلى أن يرد عليه فى الحال حين وصوله كما وجدت ذلك مكتوباً عليه بالقلم الرصاص فى أعلاه إذ كتب يقول : (أجبت عليه فى الحال ١٩/١/١٣٣١ هـ) .

عبد المنعم النمر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من معاني القرآن

« إنا أعطيناك الكوثر ، فصل لربك وانحر ، إن شانئك هو الأبتر » قرآن كريم

الكوثر : معناه الخير العظيم ، والعدد الكثير .

ونحره نحراً : ذبحه ، ومعنى النحر كذلك الانتصاب فى الصلاة إذ يقال : نحر الرجل فى الصلاة انتصب ونهد صدره أو وضع يمينه على شماله ، أو انتصب بنحره إزاء القبلة كما جاء فى القاموس : والنحر أعلى الصدر .

وشنأه شنأ وشنآنا أبغضه وتجنبه فهو شانئ بمعنى مبغض .

الأبتر من الناس من لا ولد له ، ومن لا خير فيه . والحقير الذليل ، ومن الحيوان المقطوع الذنب ، وكل معانى المشتقات من « البتر » تدل على معنى القطع .

المعنى

يؤكد الله لنبيه وخاتم أنبيائه ورسله أنه أعطاه الخير الكثير ، والذكر الحسن ، ورفع قدره بما أعطاه إلى مستوى لا يرقى إليه غيره ، فقال سبحانه : إنا أعطيناك الكثير كالنبوة والحكمة والفتح المبين . والقرآن العظيم ، فاشكر الله بالصلاة له ، وأقم الصلاة بالانتصاب فيها والاتجاه بها نحو بيته الحرام . وانحر الذبائح تقرباً إليه وتعبيراً عن الشعور بواجب الشكر له جل شأنه ، إن من كرهك وأبغضك . وانتقص قدرك وزعم أنك مقطوع الذكر والأثر . لأنه لم يعش لك مولود ذكر ، هو المقطوع الذكر المنسى الخبر ، أما أنت فذكرك خالد مرفوع ، وخيرك باق متصل ، وأشياعك وأتباعك يتزايدون . ويدخلون أفواجا فى الدين الذى بعثك الله به : « ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار » ، وقد كان هذا العطاء الكثير تحقيقاً لوعده تعالى : « ولسوف يعطيك ربك فترضى » وله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى الآخرة ما يفهم من قوله تعالى : « وللآخرة خير لك من الأولى » .

صلى الله عليه ونفعنا بالصلاة عليه .

عبد الرحيم فوده

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية

للأستاذ محمد محمد أبو شهبة

— ٧ —

المساواة التامة في الشريعة الإسلامية :

إن التشريعات الإسلامية قائمة على المساواة بين الناس جميعا ، فلا قيود ولا استثناءات وإنما هي مساواة مطلقة بين الأفراد ، ومساواة تامة بين الجماعات ، ومساواة تامة بين الأجناس والشعوب ، ومساواة بين الحكام والمحكومين ، والرؤساء والمرءوسين فلا فضل لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي ، ولا لأبيض على أسود ، ولا لأحمر على أصفر ، ولا لسامي على آري ، ولا لآري على سامي ، وقد صدع القرآن الكريم بهذا المبدأ السامي في قوله سبحانه : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير »(١) .

وقد أكد الرسول صلوات الله وسلامه عليه هذا المبدأ وشرحه بقوله وفعله وسيرته ولا سيما في المجامع العامة ، والمحافل الحافلة ، ففي يوم فتح مكة نادى بهذا المبدأ على رءوس الأشهاد روى الترمذي في « سننه » والبيهقي في « شعب الإيمان » وغيرهما عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم طاف يوم الفتح على راحلته يستلم الأركان بمحجنه فلما خرج لم يجد مناخا فنزل على أيدي الرجال فخطبهم فحمد الله وأثنى عليه وقال : « الحمد لله الذي أذهب عُبية(١) الجاهلية ، وتكبرها . الناس رجلان : بر تقي كريم على الله ، وفاجر شقي هين على الله ، الناس كلهم بنو آدم ، وآدم من تراب قال الله تعالى : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ... » إلى قوله « خبير » ثم قال : أقول قولي هذا ، وأستغفر الله لي ولكم » ونادى الرسول بهذا الأصل الأصيل في الإسلام في أكبر موسم ومشهد شهدته الجزيرة العربية في حياة الرسول وذلك في حجة الوداع أخرج البيهقي وابن مردويه عن جابر بن عبد الله قال : « خطبنا رسول

(١) الحجرات ١٣ .

(١) عبية بضم العين وكسرها وكسر الباء المشددة الكبر والفخر « قاموس » .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الله صلى الله عليه وسلم فى وسط أيام التشريق خطبة الوداع فقال : يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد لا فضل لعربى على عجمى ، ولا لعجمى على عربى ، ولا لأسود على أحمر ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ألا هل بلغت ؟ قالوا : نعم يارسول الله قال : فليبلغ الشاهد الغائب » .

فالناس جميعاً فى الشريعة الإسلامية على اختلاف أجناسهم وشعوبهم ، وألوانهم وألسنتهم سواء : سواء فى الحقوق ، سواء فى الواجبات ، سواء فى المسئوليات .

وقد وضع الإسلام الأساس الفلسفى الدقيق المبسط الذى لا يستعصى على فهم أى إنسان لهذا المبدأ الكريم فما دام الناس جميعاً يرجعون إلى أب واحد ، وأم واحدة فعلام التمايز والتفاخر ، وعلام التشاحن والتناحر ؟

وإذا كان الإسلام أقام التفاضل بين الناس على أساس التقوى فما ذلك إلا لأن التقوى جماع الخير والفضائل الإنسانية ، وأساس الاستقامة الدينية والدنيوية والتقوى فى أساسها معنى نفسى يصدر عنه الخير للفرد والجماعة ، ويحول بين الإنسان وبين عمل الشر ، أو احتقار أحد ، أو انتقاصه حقه وقد أشار إلى هذا القرآن الكريم فى قوله سبحانه : « لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم » ، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « التقوى ههنا ويشير إلى صدره » ثلاث مرات ، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام : دمه وعرضه وماله ، إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ، ولا إلى صوركم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم » فالشريعة الإسلامية حينما أقامت التفاضل على التقوى فإنما أقامته على أساس معنوى خلقى ، وعلى أساس النفع للفرد والجماعة ولم تقمه على أساس مادى أو جنسى أو لونى .

ومن محاسن الشريعة الإسلامية أنها لا تفرق بين رئيس الدولة - خليفة كان أو ملكا أو رئيس جمهورية - والرعايا فى الخضوع لأحكام الشريعة ، وسريانها عليهم ، وفى المسئولية عن جرائمهم ومن أجل ذلك كان رؤساء الدول فى الشريعة لا قداسة لهم تعصمهم من الخطأ ، ولا يمتازون عن غيرهم فى المسئولية ، وإذا ارتكب أحدهم جريمة عوقب عليها كما يعاقب أى فرد .

والرسول صلى الله عليه وسلم وهو النبى ورئيس الدولة لم يدع لنفسه قداسة أو امتيازاً على الرعية فى عدم سريان أحكام

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الشريعة عليه، والإعفاء من المسئولية وكثيرا ما كان يردد قوله تعالى : « إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد » ، « سبحان ربى هل كنت إلا بشراً رسولا » ، « إنما أنا لكم نذير مبين » ، وفى الحديث الذى رواه البخارى ومسلم أنه قال : « إنما أنا بشر ، وإنكم تختصمون إلى ، ولعل بعضكم يكون ألحن بحجته من الآخر فأقضى له بنحو ما أسمع فمن قضيت له بحق أخيه فإنما أقطع له قطعة من النار » ، وكان أول من يلتزم حدود الشريعة وتكاليفها ، إذا كانت له بعض الخصوصيات فى بعض التشريعات فهى قليلة جدا وقد دعت إليها الحكمة والمصلحة العامة لا الهوى أو المصلحة الشخصية وقد أكد النبى صلى الله عليه وسلم خضوعه للشريعة وأحكامها بسيرته وعمله ، روى ابن إسحاق فى كتاب « السيرة » أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعدل الصفوف يوم بدر بقضيب فى يده فمر بسواد ابن غزية الأنصارى وهو خارج من الصف فطعنه بالقضيب وقال : « استقم ياسواد » فقال سواد يا رسول الله : أوجعتنى ، وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقدنى - يعنى مكنى من الاقتصاص منك - فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه فقال : « استقد يا سواد » ، فاعتنقه سواد فقبل بطنه فقال له النبى : ما حملك على هذا يا سواد ؟ قال : يا رسول الله حضر ما ترى - يعنى موطن الشهادة - فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدى جلدك فدعا له النبى بخير (١) .

وذكر القاضى عياض فى (الشفا) أن يهوديا جاء يتقاضاه دينا له عليه لم يحل أجله ، فأغلظ له فى القول ، فهم به عمر بن الخطاب وانتهره ، فمنعه الرسول وقال له : (أنا وهو كنا إلى غير هذا منك أحوج يا عمر ، تأمرنى بحسن الأداء ، وتأمره بحسن التقاضى ، ثم قال : لقد بقى من أجله ثلاث وأمر عمر أن يقضيه ماله ويزيده عشرين صاعا لأنه روعه ، وقد أثرت هذه المعاملة السامية فى نفس اليهودى فأسلم راغبا مختارا !!!

وجاءوا إليه برجل فوقف الرجل يرتعد بين يديه ، فقال له : هون عليك فإنى لست بملك وإنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد من قريش .

وفى أثناء مرض موته صلى الله عليه وسلم خرج بين الفضل بن العباس وعلى حتى جلس على المنبر ثم قال : (أيها الناس من كنت جلدت له ظهراً فهذا ظهرى فليستقد منه ، ومن كنت شتمت له عرضا فهذا عرضى

---

(١) البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٧١ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فنيستقد منه ، ومن أخذت له مالا فهذا مالى فليأخذ منه ولا يخشى الشحناء من قبلى فإنها ليست من شأنى ، ألا وإن أحبكم إلى من أخذ منى حقا إن كان له ، أو حللنى - أى تنازل له عنى - فلقيت ربى وأنا طيب النفس)[1].

وهكذا آذن الناس جميعا أن لا سلطان إلا سلطان الشريعة وأن العدل والحق فوق كل شىء وأن منزلته من ربه ، وفى قلوب أتباعه لا تحل له أن ينال من أحد فى نفسه أو عرضه أو ماله ، ولا تمنعه أن يقص الناس منه إذا وجد ما يدعو إلى القصاص ، وهذا غاية ما تأمله البشرية الفاضلة من الرؤساء والحكام والقادة .

وإذا كان الرسول المشرع قد قرر مبدأ المساواة فى المسئولية بينه وبين الرعية فقد قررها على ولده ، وأهله ، روى البخارى ومسلم فى صحيحيهما عن عائشة رضى الله عنها : أن قريشا أهمهم شأن المرأة المخزومية التى سرقت فقالوا : من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالوا : ومن يجترىء عليه إلا أسامة بن زيد حب[2] رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه أسامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتشفع فى حد من حدود الله تعالى ؟ !! » ثم قام فاختطب ثم قال : « إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد . وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » . ثم أمر بتلك المرأة فقطعت يدها .

وبهذا سوى النبى صلى الله عليه وسلم بين الشريف والوضيع ، والغنى والفقير ، وابنته وغيرها من نساء الأمة فى تحمل المسئولية ، وإقامة الحد عند وجود موجبه ، والأمة إذا دخلها التمييز بين الناس فى الأحكام فقد تسارع إليها الفناء والهلاك ، وكان إذا أمر بشىء بدأ بأهله وإذا نهى عن شىء بدأ بأهله حتى لا يكون فى عمل أهله وسلوكهم ما يكون حجة لمحتج أو عذرا لمعتذر ، وفى حجة الوداع خطب خطبته المشهورة وكان مما قال فيها : « إن دماء الجاهلية موضوعة[1] وإن أول دم أضع من دمائنا ، دم ابن ربيعة بن الحارث ابن عبد المطلب - من أبناء عمومته - كان مسترضعا فى بنى سعد فقتلته هذيل ، وربا الجاهلية موضوع - باطل - وأول ربا أضعه ربا العباس بن عبد المطلب ، فإنه موضوع كله » .

---

(١) التشريع الجنائى الإسلامى ج ١ ص ٣١٨ .

(٢) الحب بكسر الحاء المحبوب وهو ابن مولاه زيد .

(١) باطلة وللراء إبطال عادة الأخذ بالثأر .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وبهذه السياسة الرشيدة فى المساواة بين الناس قاطبة فى المعاملة قطع النبى صلى الله عليه وسلم قالة السوء وأخرس ألسنة المنافقين والمعترضين .

ومن هذه الوقائع وغيرها وضع المشرع صلوات الله وسلامه عليه أساس المساواة فى المسئولية وفى المجازاة بين الحكام والمحكومين والراعى والرعية وبين أبنائهم وأهليهم والناس عامة ، وكان فى هذا أسوة حسنة لمن جاء بعده من الخلفاء والأمراء والولاة .

وهذا هو ما كان فقد تولى الخلافة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم الصديق أبو بكر رضى الله تعالى عنه - فنهج منهجه وسار على طريقته وطبق مبدأ المساواة على نفسه وجعل الرعية حق إقامة عوجه أو الاقتصاص منه إن جار وزاغ عن الصراط المستقيم .

وإليك ما قاله فى أول خطبة خطبها بعد البيعة العامة وهى بمثابة الدستور الذى سيسير عليه فى حكم الرعية ، قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

« أما بعد ، فإنى وليت أمركم ولست بخيركم ولكنه نزل القرآن وسن النبى صلى الله عليه وسلم السنن وعلمنا فعلمنا ، فاعلموا أيها الناس أن أكيس الكيس التقى ، وأعجز العجز الفجور وإن أقواكم عندى الضعيف حتى آخذ له بحقه ، وإن أضعفكم عندى القوى حتى آخذ منه الحق . أيها الناس إنما أنا متبع ولست بمبتدع ، فإذا أحسنت فأعينونى وإن أنا زغت فقومونى أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم (١) .

وهكذا نرى أنه سجل على نفسه أنه عرضة للخطأ والصواب ، والاستقامة وعدمها ، وأنه كأحد الرعية فى تحمل المسئولية والمجازاة والاقتصاص منه إن جار . وكذلك أقاد للناس من أهله ، وأقاد للرعية من الولاة ولم يفرط فى ذلك قيد شعرة ، ثم جاء الفاروق عمر رضى الله تعالى عنه فطبق مبدأ المساواة على نفسه وولده وأهله وولاته بل بالغ فى ذلك وشدد .

وقد طال الحديث فإلى المقال الآتى إن شاء الله .

د . محمد محمد أبو شهبة

---

(١) أشهر مشاهير الإسلام ج ١ ص ١١٩ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الاحتفال بالمولد النبوى
فى مصر الإسلامية

للأستاذ شفيق أحمد عبد القادر

ولد الرسول صلى الله عليه وسلم فى ١٢ ربيع الأول كما يجمع المؤرخون ولكن محمود باشا الفلكى بعد بحث وتحقيق رأى أن مولد الرسول يوافق يوم الاثنين ٩ ربيع الأول الموافق ١٢ أبريل سنة ٥٧١ م.

وقد اهتم حكام العالم الإسلامى منذ أقدم العصور بالاحتفال بمولده. ولا ريب أن ذلك الاحتفال هو احتفال فى ذاته بمولد الرسالة المحمدية ومشرق الفجر الجديد الذى مالبث نوره أن عم العالم الإسلامى بأسره.

الاحتفال بالمولد النبوى فى العصر الفاطمى

اهتم الفاطميون اهتماما كبيراً بالمولد النبوى ولا عجب فإن الفاطميين يرون أنهم من نسل فاطمة الزهراء ابنة الرسول صلى الله عليه وسلم فهم من أهل بيته وذوى قرباه. وبدخول الفاطميين مصر بدأ الاحتفال بالمولد النبوى يتخذ صبغة رسمية.

وكان احتفال الفاطميين يسير على النحو التالى:

ففى مستهل شهر ربيع الأول كان الخليفة الفاطمى يصدر أوامره بتوزيع الصدقات من مال الزكاة.

ويذكر المقريزى أنه إذا كان اليوم الثانى عشر من ربيع الأول بدأت الاستعدادات بالاحتفال بالمولد النبوى. فيعمل فى دار الفطرة مقادير كبيرة من السكر اليابس حلواء يابسة وتعباً فى الصوانى ثم تفرق على أرباب الرسوم وأرباب الرتب وغيرهم من الموظفين مثل قاضى القضاة وداعى الدعاة والقراء بالحضرة (الحاشية) والخطباء وأئمة الجوامع فى القاهرة والمشاهد بالقرافة.

وفى الاحتفال بهذا العيد سنة ٥١٦ هـ / ١١٢٢ م عملت أربعون صنية من أصناف الحلوى دخل فى صنعها السكر والعسل واللوز والدقيق. وصدر الأمر بأن يعمل خمسمائة رطل حلوى تفرق على الأئمة والقراء والفقراء.

وفى عام ٥١٧ هـ / ١١٢٣ م وزع على المساكين بالجامعين الأزهر والجامع العتيق (جامع عمرو بن العاص) والقرافة خمسة قناطير من الحلوى كما وزعت دار الفطرة على الأعيان والمستخدمين مقادير معلومة.

الخليفة الفاطمى يستقبل المهنئين بالمولد النبوى

فإذا ما فرقت الحلوى السالف ذكرها

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ويبدأ توزيعها من أول النهار إلى الظهر وصليت صلاة الظهر ركب المهنئون من القضاة وغيرهم من أرباب الدولة مخترقين شارع بين القصرين إلى قصر الخلافة . وقد كنس الطريق ورشت بالماء وفرش ما تحت منظرة (شرفة) الخليفة بالرمل الأصفر . وترجل الجميع عن دوابهم قبل الوصول إليها بخطوات . ويجتمعون تحت المنظرة ليتشرفوا برؤية الخليفة . وبعد ساعة زمنية تفتح إحدى الطاقات (النوافذ) ويطل منها الخليفة ولا يظهر منه إلا وجهه وما عليه من منديل . ثم يظهر أحد خواص الخليفة مخرجا رأسه من طاقة (نافذة) أخرى ويده اليمنى فى كمه ويشير بها قائلا : « أمير المؤمنين يرد عليكم السلام » ثم يستفتح القراء بالقراءة فإذا انتهت تقدم خطيب جامع الحاكم فخطب خطبة لا تفترق عن الخطب المألوفة فى بدايتها إلى أن يصل إلى ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فيذكر الحاضرين بأن هذا هو يوم مولده ويذكر لهم ما من الله على ملة الإسلام من رسالته ثم يختم خطبته بالدعاء للخليفة ويتلوه خطيب الجامع الأزهر ثم خطيب الجامع الأقمر . فإذا انتهت خطابة الخطباء أخرج الحاجب رأسه ويده فى كمه من طاقته ورد على الجماعة السلام ثم تغلق الطاقتان (النافذتان) فينصرف الناس .

موقع منظرة الخليفة :

ذكر لنا المقريزى فى خططه موقع هذه المنظرة التى كانت تعلو باب الذهب وهو أحد أبواب القصر الكبير الشرقى وحدد لنا موقعها بعد هدمها على يد الظاهر بيبرس الذى أنشأ مكان باب الذهب محراب مدرسته الظاهرية . وعلى هذا فموقع باب الذهب والمنظرة التى تعلوه هو الآن عند مدخل شارع بيت القاضى من جهة الحاسين . وكان يقابل المكان الذى به المنظرة القصر الغربى ممثلا فى قاعة ست الملك التى عرفت فيما بعد بدار مؤنسة خاتون ثم بيمارستان قلاوون وكان باب الذهب والمنظرة التى تعلوه يواجه المكان الذى يشغله الآن مدخل مجموعة قلاوون .

صورة المولد النبوى :

يرى الدكتور راشد البراوى أن هذه العادة التى استنها الخلفاء الفاطميون من صنع الحلوى فى المواسم والأعياد الدينية سرت بين صفوف الشعب وكانت هذه التقاليد عاملا قويا فى انتشار صناعة السكر وعمل الحلوى والفطائر والكعك حتى إنه كان للحلوى أسواق كبيرة بالقاهرة والفسطاط .

ويؤكد لنا المقريزى هذه الحقيقة فيذكر أن سوق الحلاويين فى عهده كان من أبهج

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الأسواق بالقاهرة وكان يصنع فى هذا السوق من السكر أشكال خيول وسباع وقطاط وغيرها تسمى «العلاليق» ترفع بخيوط على الحوانيت ، منها ما يزن عشرة أرطال إلى ربع رطل ، تشترى للأطفال ، فلا يبقى جليل ولا حقير حتى يبتاع منها لأهله وأولاده ، وتمتلئ أسواق مصر وأريافها من هذا الصنف .

وهكذا نستطيع أن نرد هذه العادة الشعبية وصناعتها إلى عهد الدولة الفاطمية وظلت صناعها باقية لم تندثر حتى اليوم ممثلة فى مولد النبى صلى الله عليه وسلم والموالد الأخرى فى شتى أنحاء الجمهورية .

الاحتفال بمولد النبى فى عهد الدولة الأيوبية

وسقطت الدولة الفاطمية وأسس صلاح الدين الدولة الأيوبية فى سنة ٥٧٠هـ بعد موت نور الدين محمود ١١٧٤م ولم يذكر المؤرخون فى مصر احتفال الأيوبيين بالمولد النبوى الشريف : ولعل مرد ذلك إلى أن الدولة الأيوبية رأت أن تحد من مظاهر الاحتفالات الفاطمية ، تلك المظاهر التى قد تؤدى إلى إيقاظ الشعور الدينى الذى طالما اعتمد عليه الفاطميون فى نشر دعواهم فى الخلافة وبخاصة أن بقايا الأسرة الفاطمية كانوا معتقلين بقلعة الجبل بعد أن نقلوا من القصور الفاطمية ، أما عن إلغاء الاحتفال بالمولد النبوى فأمر بعيد الاحتمال ، هذا بالإضافة إلى أن عهد صلاح الدين ومن جاء بعده كان عهد نضال وسجال وحروب وكانت الدولة الأيوبية فى مصر توجه كل طاقتها لخطر الصليبى الجاسم فى سورية والذى أخذ يهدد مصر من حين لآخر مما جعل الأيوبيين ينصرفون مؤقتا عن الاحتفالات الدينية التى كانت تحوطها مظاهر العناية والاهتمام فى عهد الدولة الفاطمية

وليس أدل على أن الأيوبيين لم يفكروا فى إلغاء المولد النبوى من احتفال الملك المعظم مظفر الدين صاحب أربل بالمولد النبوى احتفالا رائعا . وكان يشمل برنامج الاحتفال عرض الجند وسماطا عاما وسماطا بخانقاه أربل . هذا بجانب القباب الخشبية المنصوبة وبها تنشد الأغانى وتلقى الأشعار وبجانب العاب الحواة والملاهى ... نجد وعظ الوعاظ وتلاوة القراء . هذا بجانب عرض مشاهد طيف الخيال (خيال الظل) ولعل مشاهده كانت تصور صورا إسلامية صادقة لميلاد النبى وجهاده أشبه ما تكون بالتمثيليات القصيرة .

الاحتفال بمولد النبى فى عهد الدولة المملوكية :

وفى عهد المماليك كان الاحتفال بالمولد النبوى يقام فى قلعة الجبل مركز الحكم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

المملوكى فكان يجتمع القراء والمنشدون والمدعون فتقام الولائم والسرادقات وتضاء الأنوار وقد بلغ ما أنفقه الظاهر برقوق على الاحتفال بالمولد النبوى فى سنة ٧٨٥ هـ ١٣٨٣ م عشرة آلاف مثقال من الذهب ما بين خلع ونفقات الطعام والشراب وأجور المغنين والمنشدين وغيرهم .

سرادق (خيمة) المولد النبوى :

وقد اهتم السلطان الأشرف قايتباى بالمولد النبوى فأعد سرادقا كبيراً (خيمة) بلغت نفقات صنعها أكثر من ستة وثلاثين ألف دينار كان السرادق تقام فى الحوش السلطانى بالقلعة .

وقد وصف لنا المؤرخ ابن إياس خيمة الأشرف قايتباى عند كلامه عن احتفال السلطان قنصوه الغورى بالمولد النبوى سنة ٩٢٢ هـ / ١٥١٦ م . فقال (... وكانت هذه الخيمة كهيئة قاعة فيها لوادين (إيوانات) ثلاثة وفى وسطها قبة على أربعة أعمدة ... وهى من قماش ملون . وهذه الخيمة كان لاينصبها إلا ثلثمائة رجل من النواتية (رجال الأسطول ـ البحارة) .

وقد وصف ابن إياس احتفال الغورى فى سنة ٩٢٢ هـ وصفا مسهبا ختمه بقوله : « وكان مولداً مشهوداً أبهج مما تقدم من الموالد الماضية » .

الاحتفال بالمولد النبوى فى العصر العثمانى:

فقدت مصر استقلالها بهزيمة الغورى فى موقعة مرج دابق سنة ٩٢٢ هـ / ١٥١٦ م وما لبث السلطان سليم العثمانى أن استولى على مصر التى أضحت إيالة عثمانية .

ولم يحتفل السلطان سليم بالمولد أولا بل كان همه متجها إلى القضاء على مقاومة طومان باى ومن معه من المماليك ، وذكر ابن إياس مصير خيمة قايتباى فقال :

« وأشيع أن ابن عثمان (السلطان سليم) لما طلع إلى القلعة وعرضت عليه الحواصل التى بها رأى خيمة المولد فباعها للغاربة بأربعمائة دينار » .

ونحن نشك فى صدق هذه الرواية . ونرى أنه من المحتمل أن السلطان سليم قد نقلها إلى استامبول فيما نقله من كنوز وأسلاب المماليك وغيرها من النفائس التى استولى عليها .

ولما استقرت الأحوال احتفل السلطان سليم بالمولد النبوى سنة ٩٢٣ هـ ولكن احتفاله كان دون العادة ولم يشعر به الناس .

ورحل السلطان سليم إلى بلاده بعد أن تولى خاير بك الولاية (ولاية مصر) . فاحتفل بالمولد سنة ٩٢٤ ، ٩٢٥ ، ٩٢٦ ، ٩٢٧ هـ ولكنه كان احتفالا قاصرا : سماط ضئيل وخلع قليلة تمنح للقراء .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الأزبكية مكان الاحتفال بالمولد:

وما لبث مكان الاحتفال بالمولد أن تحول من الحوش السلطانى إلى ضفاف بركة الأزبكية حيث منزل الشيخ البكرى شيخ مشايخ الصوفية . واتخذ الاحتفال بالمولد طابعاً شعبياً عاماً وكانت الوفود من الأهالى تتقاطر إلى مكانه من شتى جهات القطر فتقام الحفلات وتولم الولائم ويتبارى لاعبو خيال الظل والبهلوانية . الخ بل وأحياناً كان يحضر الليلة الختامية للمولد الوالى العثمانى كما حدث سنة ١٢٠٢ هـ / ١٧٨٧ م . وكذلك كان يحضر الاحتفال كبار البكوات من المماليك كما حدث من حضور مراد بك .

الاحتفال بالمولد النبوى فى عهد الحملة الفرنسية:

استولى بونابرت على مصر فى صفر من سنة ١٢١٣ هـ — ١٧٩٨ م وبدأ يتحبب إلى الأهالى فأنشأ الديوان من أعيان المصريين ليشاركوه فى حكم البلاد . ولما قرب موعد الاحتفال بالمولد النبوى سأل نابليون عنه ولماذا لم يعملوه كعادتهم ؟ وقد اعتذر إليه الشيخ خليل البكرى بتعطيل الأعمال وتوقف الأحوال ! . فلم يقبل عذره ومنحه ١٠٠ ريال فرنسى معاونة وأمر بتعليق تعاليق وحبال وقناديل واجتمع الفرنسيون يوم المولد وقاموا باستعراض قواتهم . وقد أرسل نابليون الطبلخاناه إلى بيت الشيخ البكرى واستمروا يضربونها بطول النهار والليل بالبركة (بركة الأزبكية) تحت داره ، وهكذا صدحت موسيقى الاحتلال الفرنسى فى المولد النبوى ، وفى الليل أطلقوا الصواريخ ، وقد تقلد الشيخ البكرى نقابة الأشراف وكان موضع احتفاء وتكريم نابليون .

ولما سافر نابليون من مصر وعهد بالقيادة العامة إلى الجنرال كليبر ، وحل موعد الاحتفال يوم الثلاثاء ١١ من ربيع الأول سنة ١٢١٤ هـ / ١٧٩٩ م عمل المولد بالأزبكية وقد حل كليبر ضيفاً على الشيخ خليل البكرى وتناول العشاء ومعه عدد من قواده وأطلقت المدافع والصواريخ ليلا ونادوا فى ذلك اليوم بالزينة وفتح الأسواق والدكاكين ليلا وإسراج القناديل .. إلخ .

وفى سنة ١٢١٥ هـ / ١٨٠٠ م وبعد مقتل سليمان الحلبى الذى ضرب كليبر ضربة قاضية فأرداه ، ولبدء مينو المفاوضات للجلاء عن أرض مصر لم يعن أحد من الفرنسيين بحضور المولد النبوى فى هذه السنة .

وفى يوم الأربعاء ١٠ من ربيع الأول سنة ١٢١٦ هـ / ١٨٠١ م نودى بالاحتفال بالمولد النبوى وزينت القاهرة وبخاصة بعد دخول الوزير العثمانى يوسف باشا لإخراج

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الفرنسيين عصر ذلك اليوم واحتفل الناس بالمولد فى تكية السكلشى على غير العادة من الاحتفال بجهة بركة الأزبكية .

كذلك احتفل الناس بالمولد فى عدة جهات .

وفى ربيع الأول سنة ١٣١٧هـ - ١٨٠٢م عادت المياه إلى مجاريها وعمل المولد بالأزبكية كما كانت العادة المتبعة وبدأ الاحتفال من يوم الخميس الموافق ٨ ربيع الأول إذ قام الناس بالزينة منذ ذلك اليوم .

الاحتفال بمولد النبى فى عهد محمد على وأسرته

وصف كلوت الاحتفال بالمولد النبوى كما وصفه الانجليزى إدوارد وليم لين وصفاً مسهباً وقد تركز الوصف على ثلاثة أشياء : —

١ — حلقات الذكر التى كان يقيمها الدراويش .

٢ — الدوسة وهى أن يطأ حصان شيخ مشايخ الطرق الصوفية ظهور الناس الذين يفترشون الطريق أمام موكبه لتحل عليهم البركة .

٣ — الحواة والمشعوذين .

ولما هدم بيت السادة البكرية بالأزبكية وبنوا دارهم بالخرنفش أضحى مقر حفلات وولائم المولد النبوى يدعى إليها الأعيان وكان مكان الاحتفال العام بميدان الرصدخانة (بالعباسية) وكان هذا منذ عهد إسماعيل . وما يزال المولد حتى الآن يقام بالعباسية أو بمعنى آخر الأرض الفضاء المجاورة للعباسية .

الاحتفال بمولد النبى بعد قيام الجمهورية المصرية :

حررت ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ مصر من الأسرة الدخيلة أسرة محمد على ومن الاستعمار البريطانى وبدأت الحكومة المصرية الصميمة تعمل من أجل الشعب فى عهد اشتراكى اتسم بالعمل الجدى ولهذا نجد أن مولد النبى يحتفل به احتفالا رائعاً بما يناسب مقام الرسول الكريم وقد اهتمت الحكومة اليوم بالموالد بصفة عامة ومولد الرسول بصفة خاصة ، وأصبح المولد أشبه شىء بسوق منظم تعرض فيه شتى السلع وأقصى عنه الدجالون والمشعوذون وغيرهم ممن كانوا وصمة عار فى جبين مصر وسمعتها فى الخارج ، وحلت محلها ألعاب شعبية متطورة منظمة كمسرح العرائس .. إلخ .

ولا عجب فإن وزارة الثقافة والإرشاد القومى ترعى الفنون والآداب وتأخذ بيد الفنانين حتى تحافظ على طابع الفنون الشعبية الموروثة .

شفيق أحمد عبد القادر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بمناسبة الحملة الدولية ضد الجوع :

ترقية الإنتاج

للأستاذ فتحي عثمان

كرامة الإنسان هي عقيدة الإسلام وعظمة الكون أيضاً من عقيدة الإسلام والعمل ... العمل الدائب الجاهد ، في هذا الكون العظيم الرائع ، هو عبادة الإسلام !!

إن الله قد كتب على نفسه أن يمد مخلوقاته بأسباب الحياة المعقولة :

« وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ، ويعلم مستقرها ومستودعها ، كل في كتاب مبين » .

« وبارك فيها ، وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام ، سواء للسائلين » .

« إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين » .

وقد أوفى الله بما في كتابه ، « ومن أوفى بعهده من الله » ...

ولكن كيف ؟

إنه أودع موارد الرزق في الكون ، وأسباب الكسب في الإنسان ...

أنه أعطى الإنسان طاقة تفجر ما فطر في الكون من طاقات ...

« ولقد مكناكم في الأرض ، وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون » .

« والأرض مددناها ، وألقينا فيها رواسي ، وأنبتنا فيها من كل شيء موزون . وجعلنا لكم فيها معايش ، ومن لستم له برازقين . وإن من شيء إلا عندنا خزائنه ، وما ننزله إلا بقدر معلوم . وأرسلنا الرياح لواقح ، فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه ، وما أنتم له بخازنين » .

« الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ، ولتبتغوا من فضله ، ولعلكم تشكرون » .

« وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه ، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون » .

« ألم تر أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض ، وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ... » .

فالإيمان لا يقعد بالمرء عن طلب الرزق ، والتوكل على الله لا يعني أن السماء تمطر ذهباً أو فضة ، أو تسقط المن والسلوى . .

إن الإيمان يزيد المؤمن بالله عملا في كون الله ... ابتغاء من فضل الله .

فطلب الرزق عبادة ، وعمارة الأرض عبادة .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والقرآن يفتح عقول المؤمنين على الكون الكبير، ليقرءوا كتابه، ويتدبروا أسراره، ويستلهموا حكمته فى الزراعة والرى.

« وفى الأرض قطع متجاورات، وجنات من أعناب وزرع ونخيل، صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل، إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون ».

« أمن خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء، فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ماكان لكم أن تنبتوا شجرها؟ أإله مع الله؟ بل هم قوم يعدلون. أمن جعل الأرض قراراً، وجعل خلالها أنهاراً، وجعل لها رواسى، وجعل بين البحرين حاجزاً، أإله مع الله؟ بل أكثرهم لا يعلمون ».

« أو لم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم، أفلا يبصرون ».

« فلينظر الإنسان إلى طعامه. أنا صببنا الماء صبا. ثم شققنا الأرض شقا. فأنبتنا فيها حبا. وعنبا وقضبا. وزيتونا ونخلا، وحدائق غلبا. وفاكهة وأبا. متاعا لكم ولأنعامكم ».

والإسلام حريص على زراعة اليابس واستصلاح التربه، حتى إن شريعته جعلت من أسباب الملكية: وضع اليد على الشىء المباح الذى لا مالك له، ويندرج تحته إحياء الأرض الموات، كما يندرج تحته حيازة كل مال لا مالك له شرعا وقت حيازته كحيوان الصيد والكلأ والأشجار فى الغابات وما تحتويه البحار والأنهار والأراضى غير المملوكة من كل ذى قيمة وليس له مالك معين، ولم تحزه يد إنسان من قبل.

فقد ورد فى حديث رسول الإسلام قوله: « من أحيا أرضا ميتة فهى له » — رواه أحمد والبخارى.

ويشترط أبو حنيفة أن يكون الإحياء بإذن الدولة منعاً للفوضى والمنازعات، ولا يشترط ذلك صاحباه أبو يوسف ومحمد.

ورسول الإسلام لا يقر احتجاز الأرض بغير استثمار: « عادى الأرض لله وللرسول ثم لكم، وليس لمتحجر حق بعد ثلاث سنين »!

بل يدفع الإسلام عجلة الإنتاج بكل قوة إلى آخر لحظة من الزمان ...

ففى حديث رسول الإسلام: « إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة، فاستطاع ألا تقوم حتى يغرسها، فليغرسها ... فله بذلك أجر ... »!!

وهكذا يأمر الدين بغرس فسيلة النخل التى لا تثمر إلا بعد سنين، ولو دوت نذر القيامة!!

والحق أن لرسول الإسلام حدبا على

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أمور الزرع ، حتى تحدث أحاديثه فى هذا المجال، فأفرد المحدثون أقساما خاصة لأحاديث الرسول فى الزراعة والحرث ...

ونحن نجد منها على سبيل المثال : « ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو إنسان إلا كان له به صدقة ... » .

على أن الرسول حريص أن يفهم المؤمنون أن الوحى لا شأن له بفنون الزراعة ، وأن النبوة لا تلقنهم ما هم أقدر على تحصيله ، ومن هنا قال رسول الإسلام فى شأن إحدى العمليات الزراعية التى كانت تجرى للنخيل : « أنتم أعلم بأمور دنياكم » !!

وعلى كل مؤمن أن يواجه الكون بكل طاقاته : بإيمانه وعقله وجهده ...

يقول ابن تيمية : « إن الناس لابد لهم من طعام يأكلونه ، وثياب يلبسونها ، ومساكن يسكنونها ، فإذا لم يجلب لهم من الثياب ما يكفيهم احتاجوا إلى من ينسج لهم الثياب ، ولا بد لهم من طعام إما مجلوب من غير بلدهم وإما من زرع بلدهم وهذا هو الغالب ، وكذلك لا بد لهم من مساكن يسكنونها فيحتاجون إلى البناء . فلهذا قال غير واحد من الفقهاء من أصحاب الشافعى وأحمد بن حنبل وغيرهم كأبى حامد الغزالى وأبى الفرج بن الجوزى وغيرهما ، إن هذه الصناعات فرض على الكفاية ، فإنه لا تتم مصلحة الناس إلا بها . إن هذه الأعمال التى هى فرض على الكفاية متى لم يقم بها أحد صارت فرض عين على من يقدر على أدائها . فإذا كان الناس محتاجين إلى فلاحة قوم أو نساجتهم أو بنائهم صار هذا العمل واجبا يجبرهم ولى الأمر عليه إذا امتنعوا عنه بعوض المثل » .

وفتح أبواب العمل والإنتاج على مصاريعها هو سبيل الإفادة من نعم الله . من الطاقات الإنسانية والكونية ، وبهذا يتوقى المجتمع تحذيرات ماكس ليرنر Max Leirner حيث يقول : إن توجيه الاهتمام إلى التسويق أكثر من الإنتاج ، والتضخيم الطائش لبناء العلاقات الائتمانية من خصائص المرحلة الأخيرة من الرأسمالية ، وقد ارتبطنا باتجاه نحو المضاربة ... » !! هكذا يطلق الدين كل طاقات الإنسان إلى العمل والإنتاج ...

طاقة العمل فى ذاته البشرية :

فلا بد من أن تطلق هذه الطاقة وتستغل فى مجالها النافع ورسول الإسلام يقول : « ما أكل أحد طعاما قط خير من أن يأكل من عمل يده » ، وهو يوصى المؤمن بأن يستعيذ من العجز والكسل ، ومن كل معوقات العمل مادية ونفسية : « اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن ، وأعوذ بك من العجز والكسل ، وأعوذ بك من الجبن

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والبخل ، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال » .

طاقة الإنسان العقلية :

قد قادها القرآن فى سياحة هادية خلال ملك الله العريض منذ أول آياته نزولا :

« اقرأ باسم ربك الذى خلق . اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم » .

« ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء ، فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ، ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها ، وغرابيب سود ، ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك ، إنما يخشى الله من عباده العلماء » !

ورأس المال الفكرى الذى يتجمع نتيجة الجهد الإنسانى المبذول

لا يرضى الإسلام بحبسه عن التداول :

« والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم » .

« إن الإسلام يبغض ارتداد الثروات وتراكمها فى الخزائن Wealth roflects ، وينشد إشعاع الثروات الغامر على أوسع مدى إنه يعمل على مكافحة الكنز وتنشيط الإنفاق :

« قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية » .

« إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور . ليوفيهم أجورهم ، ويزيدهم من فضله ، إنه غفور شكور » .

وكلها طاقات يباركها الإسلام :

الذى يجعل المؤمن أثبت قدما ، وأصلب عوداً وأطول نفساً فى جهاده المقدس ... لا يلتصق بالأرض ولا يشمخ فى السماء ، لا يطغيه الفرح ولا تضعفه المصيبة ، إن أصابته السراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته الضراء صبر فكان خيراً له ! !

والدين يفرض على الدولة أن ترعى هذه الطاقات :

فيتعهد الإنسان بالتعليم والتدريب والتوجيه بما يرفع كفايته الفنية والإنتاجية ، فطلب العلم فى الإسلام فريضة ، وهو حق للفرد وواجب عليه ، والدولة تلتزم تهيئة كل سبيل إليه ، ويلتقى ابن حزم مسئولية التعليم الإلزامى على الدولة فى نص صريح « وفرض على الإمام أن يأخذ الناس بذلك ، وأن يرتب أقواما لتعليم الجهال » .

كما أن على الدولة أن تفتح مجالات العمل للقادرين عليه وتضمن لهم أجراً مجزياً يفى بوحدات الطاقة المبذولة وتضمن ألا تتجاوز ساعات العمل حدود الطاقة الإنسانية ، ولقد جعل الرسول ممن يخاصمهم يوم القيامة :

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

« رجل استأجر أجيراً فاستوفى منه فلم يعطه أجره » .

والدولة ترعى المتعطل عن العمل حتى يجد السبيل إليه ، وترعى العاجز عن العمل لمرض أو عاهة أو شيخوخة ، وقد أبرز خالد بن الوليد هذا الأصل الجليل فى عهده للأقطار المفتوحة « وجعلت لهم أيما شيخ ضعف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات أوكان غنياً فافتقر ، وصار أهل دينه يتصدقون عليه طرحت جزيته ، وعيل من بيت مال المسلمين هو وعياله » .

كذلك تتكفل الدولة بالخدمات الصحية الوقائية والعلاجية ، وهكذا تضمن سلامة الإنسان وكفاءة طاقاته إلى أقصى حد ممكن فقد كان رسول الإسلام يهيئ للمرضى مكانا فيه يتداوون بالغذاء والعلاج حتى يتم برؤهم .

كذلك ترعى الدولة الطاقة الإنتاجية ، فتنظم استغلال موارد الثروة على أفضل وجه ممكن ولها أن تلجأ فى ذلك إلى تأميم بعض وسائل الإنتاج ، وفى حديث رسول الإسلام « الناس شركاء فى ثلاثة : الماء والكلا والنار » .

وهكذا انتظم الدين الخطوط الرئيسية لتوجيه طاقات الإنسان والكون لخير الحياة .

وعلى الإنسان أن ينتفع من نعم الله المادية والروحية ، ويحسن كسب الرزق وتداوله وتوزيعه .

وإن عهد الله برزق عباده لا يتخلف حين يموت فرد أو مجتمع من الجوع وهناك فرد أو مجتمع آخر تتخمه البطنة ...

ولله فى خلقه موارد الرزق وتسخير نعمه للناس ظاهرة وباطنة لا يحابى ولا يتحيز وإنما قدر الأرزاق والأقوات « سواء للسائلين » « كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً » .

وشريعة الله قد وجهت إلى الإنتاج وعدلت فى التوزيع « كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم » .

فإذا حدث قصور أو إخلال فلا ذنب للدين فى عقيدته ، أو أحكامه .

وإنما الناس أنفسهم يظلمون !!

فتحى عثمان

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الاستعباد والحرية
بين المدنية الحديثة وشريعة الإسلام
للأستاذ عبد الجليل شلبي

إلى المسلم الغيور السيد / سعيد فارس بجنوب إفريقيا .
أرجو أن تجد فى هذا المقال الموجز بعض ما تجيب به الذين يحاجونك فى الإسلام ويزعمون أنه دين الرق بينما يمتدحون أمريكا بأنها أنجبت إبراهام لنكولن محرر العبيد ... وسيصلك من مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر بحث واف ممتع . كما سيعمل على وصول هذه المجلة إليكم بانتظام . والله تعالى يمدكم بعونه ؟

إنه ليس من المغالاة فى شىء أن نذكر أن البشرية فى تاريخها الطويل وفى أطوار حضارتها المختلفة لم تعرف كالدين الإسلامى قانوناً قاوم الاسترقاق وعمل على توفر الحرية لكل فرد من أفراد مجتمعه - كما أنها لا تعرف - كالمجتمع الإسلامى - مجتمعاً حضاريا ساده التسامح وحيث بين أفراده فوارق الجنس واللون وتساوى الناس فيه أمام القانون الرسمى والعرف العام - وعلى العكس من ذلك لم يسلب الناس حرياتهم ويستذل كرامتهم - فى عصور النور والعلم - كما فعل الأوربيون المسيحيون والأمريكان المستعمرون - ولم تسد فوارق العنصر وتميز لون على لون وجنس على آخر كما حدث وكما هو حادث الآن فى أمريكا التى تسمى إبراهام لنكولن محرر العبيد .

لقد جاء الإسلام والاسترقاق شائع بين جميع الشعوب المعاصرة له كما أنه كان نظاما قديما درجت عليه الحضارات القديمة وانتقل كما هو إلى العصر الوسيط - وأنت تجده مألوفا عند المصريين واليونان والرومان والآشوريين والبابليين وعند غيرهم من ذوى الحضارات الأخرى - حتى الديانات السابقة على الإسلام تجدها تقر الرق وتجعله أمراً مشروعا - فالديانة اليهودية - وقد زيفت نصوص التوراة من عهد بعيد - جعلت الناس طوائف وميزت بين أسودهم وأبيضهم -

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ولم تكن المسيحية أحسن منها حالا - فإنها - وهي رسالة الرحمة والمحبة - لم تشأ أن تفتح للمسترقين أي باب للحرية أو حتى توصي بهم سادتهم المالكين ولكنها على العكس من ذلك أمرت العبيد أن يحسبوا حساب سادتهم وأنهم يستحقون كل إكرام[1].

ولكي نقدر موقف الإسلام من تحرير الرقيق يجب أن ننظر إلى أسباب الرق التي شاعت بين الناس إذ ذاك والمعاملة التي يعامل بها الأرقاء والقانون الذي تواضع الناس عليه إزاءهم لنرى عمل الإسلام لتحرير الرقيق ومدى رفقه بهم.

يرجع أهم أسباب الرق إلى الحروب. فقد كان الأسرى يوزعون على المحاربين ضمن الغنائم ولكن الحرب كانت تقوم لسبب ولغير سبب وربما كانت الغنائم أهم أسبابها، والإنسان في هذه الحالة - ولا ريب - كحيوان الغابة يفتك القوي منه بالضعيف استجابة لنوازع الغريزة التي لم تنلها تربية ولا تهذيب - وكانت القوانين التي تسن لا ترمي إلى العدالة - وإنما تضع مبررات لما يفعله الأقوياء والموسرون بالفقراء والمستضعفين - لهذا أقرت أسبابا أخرى للرق لا تتفق ومبادئ الإنسانية فضلا عن المدنية والحضارة -

فالفقير الذي يعجز عن كسب قوته يصير عبداً لمن يطعمه ويوجد له عملا، والمدين الذي يعجز عن سداد دينه يصبح عبداً لدائنه والسارق يصير عبداً لصاحب المال المسروق والهارب من السجن والمتخلف عن الجندية ومن يعاشر أمة غيره كل أولئك يفقدون حريتهم ويصبحون عبيداً بحكم القانون.

وكان للأرقاء نظامهم الخاص وحياتهم الخاصة - فضلا عن تسخيرهم للخدمة وحرمانهم من طيب الطعام وما يلائم من اللباس، فقد يُجبَّ اللاتي منهم لخدمة البيوت حتى يأمنهم السادة على نسائهم - وليس للرقيق حق التظلم والشكوى مهما ناله من مهانة وتعذيب.

جاء الإسلام والعالم كله يجري على هذا النظام فلم يقف منه موقف الغافل ولم يكتم عن الناس مساويه - بل جعل مقاومة الاسترقاق مادة من منهج كفاحه وبابا من أبواب فقهه وفرعا من فروع عبادته - أوصى للعبيد بما يعيد إليهم إنسانيتهم ويحفظ عليهم كرامتهم حتى ليخيل إليك أنهم لا يحملون من الرق إلا اسمه فهم إخوان للسادة في المنزلة وشركاء في المال «إخوانكم خولكم جعلهم الله لكم شركاء فيما تحت أيديكم فمن كان

---

(١) إنجيل بولس إصحاح ٦.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم فوق طاقتهم فإن كلفتموهم فأعينوهم » (١) وحتى الاسم النابى والنداء الجارح لا يقبله الإسلام « لا يقل أحدكم عبدى وأمتى فكلكم عبيد الله وكل نسائكم إماء الله ولكن ليقل فتاى وفتاتى » (١) ومن كلف عبده أو أرهقه بما لا يطيق أعتقه عليه الحاكم رغما وولاؤه للمسلمين .

بجانب هذا يفتح الإسلام للحرية وإعتاق الأرقاء أبوابا متعددة ، فتحرير الرقيق من القرب العظيمة التى يتقرب بها إلى الله ومن مكفرات الذنوب ، وهو مصرف من مصارف الزكاة فبدلا من دفع الزكاة لبيت المال يعتق بها عبدا أو أمة . وحرية شخص مسلم تعادل أو تفضل فى نظر الإسلام دخلا يزيد مالية الدولة ، وهو كفارة لعدد من الذنوب كفارة للظهار وكفارة لحنث اليمين وكفارة للإفطار فى رمضان وكفارة للقتل الخطأ ، وهذه كلها أبواب للحرية من شأنها أن تقلل عدد الأرقاء وقد تأتى عليهم نهائيا ، وهى تبين - من غير شك - مدى تطلع الإسلام للحرية وكراهيته للاسترقاق ولو وازنت بين نظام الرقيق فى الإسلام ونظامه عند الآخرين لتبين لك نوع آخر من حرصه على الحرية . فالرقيق فى الديانات والحضارات الأخرى يظل رقيقا إلى الأبد وأبناؤه من بعده أرقاء كذلك . أما الإسلام فإنه يجعله نظاما موقوتا - فالأمة التى تلد من سيدها تصبح أم ولد لا يجوز بيعها والرقيق النشيط يمكن أن يكاتب سيده على قدر من المال يدفعه لسيده من كسبه ويصير بعده حرا وقد شجع الإسلام بهذا الأرقاء على استخلاص أنفسهم بل ودعا المسلمين إلى مساعدتهم فى القرآن « والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علتم فيهم خيرا وآتوهم من مال الله الذى آتاكم » فأين من هذا سلب حرية المدين واسترقاقه بسبب فقره ؟

وأما بالنسبة لأسباب الاسترقاق - وقد رأينا كيف كانت كثيرة ، فإن الإسلام لا يتقبل منها إلا سببا واحدا ، وهو سبب الحرب . يتقبله كضرورة حربية ولمدى معين ، والإسلام لا يخوض الحرب إلا لأسباب شريفة كالدفاع عن النفس والدفاع عن العقيدة ونشر الدين الإسلامى دين السلام والإخاء والمساواة . فهو لا يخوض الحرب طمعا فى الغنيمة وشهوة فى السيادة ، ولهذا كثيرا ما رحبت به البلاد المفتوحة ليخلصها من ظلم الحاكمين ، وليس من الحتم أن يكون كل أسير فى الحروب الإسلامية رقيقا - فقد يفتدى الأسير نفسه بمال أو عمل ، وقد

(١) حديث شريف

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

يظهر من حسن النية وسلامة العقيدة ما يجعله أهلا للعفو عنه من غير شيء ، فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ، وقد كرم النبي صلى الله عليه وسلم الأسرى بما لم يكن يحلم به أحد - تزوج صفية بنت حُيَي ابن أخطب من ألد أعدائه اليهود وجعلها في بيته عائلة لبنت أبي بكر وبنت عمر كما تزوج جويرية بنت الحرث وأبوها أيضا من أعدائه الألداء ، وبزواجه صلى الله عليه وسلم من جويرية هذه أعتق المسلمون أسرى قومها - فانظر مدى رفق الإسلام بأسراه وعفة المسلمين عن الغنائم لا جرم أنها حرب للبدأ والعقيدة لا للغنيمة وكثرة الاسترقاق .

ولقد كثرت حروب المسلمين واتسعت رقعة ملكهم وكثر الأرقاء تبعا لذلك ولكنهم كانوا دائما إخوانا للمسلمين يقفون معهم في حقوق الإنسانية على قدم المساواة ، وكان الشخص منهم ينال منزلة في مجتمعه بقدر ما تؤهله مميزاته العقلية ومواهبه الخاصة - فقد يكون الواحد منهم قائدا أو وزيرا لا يضره أنه لم يكن عربيا أو كان مسترقا - وقد تكون الأمة زوجا لحاكم أو أما لخليفة وهؤلاء بنو العباس امتد عهدهم إلى ما يزيد على أربعة قرون وكان خلفاؤهم ما عدا الأمين ابن الرشيد - أبناء إماء .

وبتوقف الفتوح الإسلامية توقف الرق ثم انقرض أو كاد - انقرض الرق الذي يسميه الإسلام رقا ، ولكن بقيت القرصنة الأوربية التي تنهب الصبيان من الشواطىء لبيعهم باسم الأرقاء ولو حكم الإسلام في هذا لقطع أعناق القراصنة وحرر أرقاءهم - فهم قطاع طريق ومنتهكو حرمات ، ولكن الإسلام لم يكن له دخل في هذا والمسئول عنه هم الأوربيون .

وفي عصر النهضة انقرض نظام الرق ومضت عليه مئات الأعوام حتى كانت كل من أمريكا اللاتينية الناشئة وأوروبا المسيحية المتمدنة هي التي عملت على إحيائه من جديد كان ذلك في فجر القرن السابع عشر وكان الأوربيون آخذين في استعمار أمريكا الوسطى بعد أن أجلوا عنها سكانها بالنار والحديد — وواجهتهم مشكلة الأيدي العاملة فالأوربي المترف النبيل لا يناسبه العمل في تلك الأراضي البكر تحت أشعة الشمس اللافحة وبين الأحراش وداخل المناجم واتجهت أفكارهم إلى إحياء تجارة الرقيق ونظام العبودية . تولى كبر هذه الفكرة ثري جشع يدعى « لازاس كازاس » فما لبثت فكرته أن صادفت هوى من نفوس الآخرين وسرعان ما كانت موضع التنفيذ . أبحرت السفن المسلحة بالأسلحة الحديثة إلى إفريقيا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

السوداء قارة العبيد كما سموها . ولقد كان هذا إثما مزدوجا . فإن الأوربيين أفنوا الهنود الحمر بطرق عنيفة قاسية لا رحمة فيها ولا إنسانية — حاربوهم بالأسلحة الحديثة وقتلوهم تقتيلا عنيفاً أشعلوا النار فى مساكنهم وأحيانا فى الغابة كلها فأفنوا ما فيها من نبات وإنسان وحيوان لا فرق بين إنسان وحشرة إلا أنهم كانوا يخافون السباع والوحوش ولكن لا يرحمون الإنسان . وفى إفريقيا فعلوا مثل هذا ـ كان الجيش المسلح يهبط على القبيلة العزلاء فيقتل من يقتل ويستاق من يصلح للخدمة ويترك للموت من لا يصلح — وربما أشعلوا النار أيضا فى أسوار الهشيم التى تحيط بالقرية فإذا فر أهلها فزعين من النار تلقتهم الجنود المسلحة وحينئذ يساقون فى طابور طويل والسياط تنال من جلودهم حتى يصلوا إلى السفن المعدة لنقلهم وقامت أسواق ذات تجارة رائجة للعبيد فى أمريكا وأوربا وفى عرض البحار وأغرى الربح من تجارة العبيد عدداً كبيراً من البرجوازيين فى أوربا فأصبحوا من كبار الرأسماليين .

أما فى أمريكا فدخلوا ضمن الممتلكات فى المزارع وكانت المزرعة تقوم بما فيها من زروع وماشية وعبيد سخرهم الأمريكيون فى أشق الأعمال فى المناجم والمزارع والغابات ولم ينالوا على جهودهم أى حظ من الراحة والترفيه . بل على أعراقهم ودمائهم عاش الأوربى الأبيض منعما سعيداً لا يشعر بشىء من قلق النفس أو وخز الضمير ، وقد صورت الكاتبة الأمريكية « هاريت بتشر ستو » فى كتابها المشهور « كوخ العم توم » لونا من حياة العبيد فى أمريكا ووصفت ما ينالهم هناك من قسوة وتعذيب ولم يكن وصفها هذا من قبيل الخيال بل لعله بعض الواقع الملموس .

وقد نشرت قصتها كتابا فى سنة ١٨٥٠ م وكانت قبل ذلك تكتبها مقالات فى بعض الصحف ، وكان إبراهام لنكولن معاصرا للسيدة هاريت ، ولم تكن هى ولا هو أول من رثى فى أمريكا لحال العبيد وطالب لهم بالحرية ، بل سبقهم لهذه الدعوة أفراد من أمثال فرانكلين وأمرسون وغيرهما ، ولقد كانت الحالة التعسة التى يعانيها هؤلاء المساكين الأبرياء خليقة أن تفجر الرحمة فى قلوب عدد أكثر لو أنها كانت فى مجتمع غير مجتمع الأمريكيين .

هذا طرف من قصة الرق فى أمريكا وجانب من نظام الرق فى الإسلام ، فى أحد الجانبين رحمة حتى على الأعداء ، وفى الآخر قسوة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وتعذيب للمسالمين الأبرياء ، هناك تحرير للمسترقين وهنا استعباد للأحرار ، ومع ذلك لا يستحي المتبجح الآثم أن يلصق عاره بالأبرياء الأطهار .

وإذا كان لنكولن وأمثاله ممن تتمدح بهم أمريكا ، فينبغي أن تذكر أنهم سجلوا عليها عارا لا يمحى وخزيا يندى له جبينها على مر السنين إنهم شهداء منها عليها ، شهداء على ما جنت على الإنسانية وأجحفت بحق الآدميين ولقد استطاع الإسلام في مدى قصير أن يدخل في الأمة الإسلامية عددا ضخما من الموالي أحبوا الإسلام ودرسوا علومه وكان لهم أثر قيم في الفكر الإسلامي خاصة والفكر العلمي عامة ، وعرف هؤلاء الأجانب لنبي الإسلام حقه وقدروا سموه بالإنسانية ، وأثر سيرته وخلقه والقرآن الذي جاء به في تقدم البشرية وترقيتها ، أما أمريكا فقد عجزت حتى الآن عن فتح أبواب جامعاتها للسود والبيض على السواء ، بل عجزت عن المساواة بين البيض والسود في مرافق الحياة العامة ، فلا يزال السود محرومين من كل ما ينبغي أن ينالوه المواطن الصالح ، وهم مواطنون صالحون لا يزالون يشعرون بالذلة والإهانة بين البيض وذنبهم الوحيد أنهم ملونون .

فأين هذا من عمل الإسلام وأخلاق نبي الإسلام ، ولقد عير مسلم آخر فقال له يا ابن السوداء فغضب عليه النبي وقال إنك امرؤ فيك جاهلية ولم يسع هذا إلا أن يضع خده على الأرض ، ويطلب من ابن السوداء أن يقتص منه ، ولقد مات عمر بن الخطاب وهو يقول : لو كان سالم مولى حذيفة حيا لوليته أمر المسلمين ، ولو كان صهيب الرومي حيا لوليته أمر المسلمين ، فانظر إلى أي حد يرفع الإسلام الموالي ، وإلى أي حد تنال أمريكا من حرية الأحرار ؟ .

أرجو أن يكون في هذا بعض ما يقنع محدثك الكريم ، والله تعالى يحق الحق ويبطل الباطل ولو كره الكافرون ؟

عبد الجليل شلبي
عضو المكتب الفني لمجمع البحوث الإسلامية

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

رسالة الإسلام
فى عالم اليوم

للأستاذ محمد عبد المنعم خفاجى

---

١ — الإسلام ديننا الخالد العظيم ، ورسالة السماء إلى محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم والشريعة التى نزل بها كتاب كريم ، هو القرآن ، دستورها وناموسها الأكبر .

وهو الدين الذى نزل هدى ورحمة للعالمين وأحدث تطبيقه لأول مرة فى مكة ثم المدينة ثم جزيرة العرب نفسها على يد الرسول الأطهر ثورة لم تشهدها الإنسانية من قبل ولا من بعد وإصلاحا لم يكن يحلم به بشر ولا زلنا حتى اليوم لا نستطيع أن نصل إلى مداه الكبير ، ثم استمر فى مده العظيم فطبقة الخلفاء الراشدون فى البلاد التى دخلت فى ظلال الإسلام ، وانضوى تحت لوائه الملايين فى الشمال والجنوب والشرق والغرب فرحين مهللين مكبرين مستبشرين بعهد من الحرية والإخاء والتعاون والمساواة والعدالة والرفاهية لبنى البشر جميعا وعاملين على تأثيل حضارة ومدنية جديدة لم تشهدها البشرية من قبل ، ... دين جارى التطور فى كل زمان ومكان وجابه الطغيان وانتصر عليه فى كل بيئة وعصر ... ولم تقف أمامه مشكلة من المشكلات ولم يزعم منصف فى أى جيل أن منطق الإسلام لا يجارى العقل والحياة ولم يستطع أصحاب الدعوات الجديدة أن يزعموا أن دعواتهم على ما هيء لها أحيانا من دعاية وقوة ومساندة النفوذ أو الجاه أو المال قد نالت بعض ما ناله الإسلام فى سنوات معدودات من ثقة الجماهير وإيمانها به وإقبالها على اعتناقه والدخول فيه دين لا زالت أصوله ودعواته حلم البشرية بعد ما وصلت إليه من تطور وتقدم وحضارة . ولا زالت أصوله الفكرية والروحية تحملى إلى العالم الأمن والسلام والرخاء . وهو بعد جديد فى كل وقت . عظيم فى كل حين . جليل فى كل عين . رفيع فى كل عقل .

دين وضع أصولا خالدة لإصلاح جميع مجالات الحياة ونواحى النشاط الإنسانى . وسبق « الديكارتيين » إلى تقديم الشك أمام كل بحث وترك التقليد . وإلى الإيمان بما يؤدى إليه الدليل . كما سبق « بيكون »

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

إلى المذهب العلمي . وسبق فلاسفة الاجتماع إلى وضع أصوله . ولم يجعل للمعرفة الإنسانية حدا من حيث وضع بعض المفكرين الغربيين حدا يمكن أن يصل إليه الإنسان من معارف . وأقام مبادئه على سمو الغاية الأدبية فحسب دون النظر إلى التعليلات الاقتصادية والمادية للأشياء ووحد بين الأجناس والعناصر والألوان ... ودعا إلى أخوة بشرية عامة لا تفاضل فيها لأحد على أحد إلا بالتقوى والعمل الصالح . . . وجمع الكثير من الأمم والشعوب تحت ظلاله مما عجز عن تحقيقه كل الفواد والدول . هذا مع العدالة فى الحكم . . ومع الإيمان بالحرية والشورى والإخاء والمساواة وتطبيقها ومع العمل على نشر الأمن والرفاهية والوئام والسلام بين بنى البشر جميعاً .

٢ ــ لم يقف الإسلام وأصوله ومبادئه الكريمة حائراً أمام أية مشكلة من مشكلات الحياة فى كل عصر وكل بيئة بل وجد الحلول العادلة لكل ماجد ومايجد على سطح الأرض من جديد .

كانت رسالته دائماً التبشير بقيم إنسانية رفيعة ، لم يقل أبداً وفى أحرج الأزمان والمحن إن الغاية تبرر الوسيلة . لم يزعم الإسلام أنه وصى على البشر وصاية تحكم واستعلاء ، وأنه مستعمر فى الأرض لمصلحة الفاتحين بل دعا دائماً إلى الإيمان بأصوله كحل أساسى لجميع مشكلات المضطهدين والمستعمرين والذين وقف بهم التأخر عن متابعة سير الحياة ... نادى بالحرية لكل الناس ولكل الشعوب دعا إلى أن تتولى كل أمة أمور نفسها فى ظلال مبادئه ودعواته وأصوله قارم كل من وقف فى سبيل دعوته لأن من يفعل ذلك فهو يقف فى وجه الحياة نفسها ليؤخر سير الزمن .

حل جميع العصبيات وأبطلها وكل المشكلات وأزلها وجميع العقد النفسية والروحية عند جميع الناس ووضع مكانها حب الخير والتعاون والرحمة وحب الوئام والسلام والبر والشفقة .. وهذب العواطف والمشاعر الإنسانية وطهرها وسماها وجعل الحياة أمام الناس وجعلها تعاوناً ومشاركة وتبادلا للمنافع والخيرات ومد فى آفاق الأمل بما دعا إليه من الثقة برحمة الله وفضله وفرجه ، قابل الإسلام آلاف الدعوات والمبادئ والأفكار الجديدة ومع ذلك لم تستطع إحداها أن تجاريه فى حيويته وبساطته ومثاليته وعظمة مبادئه وأصوله وواجه آلاف الطغاة ومع ذلك لم يستطع واحد منهم أن يقف سيره المحتوم أو يعطل رسالته المنيرة أو ينتصر على مبادئ الإسلام الجليلة العظيمة .

وحملت شعوب الإسلام دائما إلى العالم وإلى الحياة فى كل العصور والأجيال وبفضل

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

دينهم العظيم رسالة التقدم والحضارة ورسالة الحرية والعدالة ورسالة المحبة والسلام والإخاء والشورى والتعاون بين الناس جميعا .

ودخل الناس فى دين الله أفواجا فى كل عصر وجيل وفى كل زمان ومكان .

قد تقول إن المسلمين فى العصور الأخيرة قد أخذ منهم الغرب زمام قيادة العالم وحاربهم فى دينهم وأموالهم وأعراضهم حربا شديدة واعترتهم فترة من النوم والجمود والجهل .. ولكن ذلك كله لم يكن السبب فيه دينهم بل السبب انصرافهم عن تعاليمه ومجاراتهم للغرب وحضارته فى كل شىء وخصومه بعضهم لبعض.

ولأسباب أخرى لا تخفى على أحد اليوم والشىء الوحيد الذى يمكن أن يعيد القوة والسيادة إلى أمم الإسلام هو عودتهم إلى دينهم ورجوعهم إلى حضارتهم وتاريخهم وتراثهم وإقبالهم على تربية أبنائهم تربية إسلامية صحيحة .

٣ — والآن ما هى رسالة الإسلام فى عالم اليوم ! ؟

تتلخص أصول الإسلام فى العقيدة الإسلامية وفى المبادئ الأساسية للمجتمع الإسلامى وفى نظام العبادة للمسلم وفى الأسس التى يبنى عليها كيان الأمة الإسلامية .. وفى أفكار الإسلام الأساسية فى خدمة الحياة نفسها ..

أما من حيث العقيدة فهى عقيدة إنسانية تؤمن بالله ورسالة محمد ورسل الله جميعا لا تفرق بين أحد منهم .. ومن حيث نظام العبادة للفرد المسلم فهو يتلخص فى الطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج .. إلى وجوب اعتناقه للفضائل الإنسانية الأخرى من صدق ووفاء ورحمة وشفقة وإيثار وبر وأمانة إلخ ...

ومن حيث مبادئ المجتمع الأساسية فى الإسلام فهى تقوم على :

١ — الشعور بالمسئولية .
٢ — التعاون التام .
٣ — العدالة الكاملة والتزامها .
٤ — المساواة بين جميع أفراد المجتمع فى الحقوق والواجبات .
٥ — الحرية لكل الناس والطبقات .
٦ — نشر الرخاء بين جميع الناس .
٧ — توفير العمل وجعله حقا لكل أحد .
٨ — كفالة الدولة لجميع مرافق الحياة وإيصالها لكل الناس بالمجان ما دام ذلك ممكنا .
٩ — مساعدة الدولة لكل محتاج بقدر ما يسد حاجته دون ما تأخير .
١٠ — السهر على خدمة المجتمع وخدمة الأمن بكل وسيلة .
١١ — محاربة كل ألوان الفساد الاجتماعى والرذائل الاجتماعية والخلقية

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والقضاء عليها إلى غير ذلك من مبادئ ليس هنا مكان شرحها .

ومن حيث الأسس التى يبنى عليها كيان الأمة الإسلامية فتتلخص فى الشورى — السلام بين طبقات الأمة — العدالة الاجتماعية والتكافل الاجتماعى — القضاء على الامتيازات الفردية والاجتماعية إلا ما يرجع إلى العمل وخدمة الأمة — نشر التعليم وجعله حقا لكل فرد إلى آخره .

أما أفكار الإسلام فى خدمة الحياة فهى ترجع إلى مبادئه فى تحرير الأرقاء والمستعبدين والمستضعفين وفى نشر السلام ، وفى تبادل التجارة بين أمم الأرض ، وفى نشر الثقافة والحضارة ومساعدة الأمم المتخلفة ، وفى الانتصار لكل ضعيف ومظلوم ، وفى العمل على تقدم الحياة وإثرائها بكل جديد نافع ومبتكر صالح . إلخ .

ورسالة الإسلام فى عالم اليوم تستمد من جوهره وحقيقة مبادئه العامة وفى الإمكان إجمالها فيما يأتى :

١ — نشر الروحية فى عالم اليوم الذى تغلبت عليه المادية وحكمة فلسفاتها الجائرة.

٢ — الدعوة إلى الأخوة الإنسانية فى عالم اليوم الملىء بالأحقاد وبالأسباب التى تهدد السلام العالمى فى كل لحظة .

٣ — الدعوة إلى تحرير العناصر والشعوب المستعبدة لأن ذلك من جوهر الإسلام وطبيعته.

٤ — العمل من أجل ثقافة جديدة مثالية.

٥ — نشر أعمال المفكرين المسلمين ومبادئ الإسلام وبطولات أبطاله وقواده ومواقف قادته بكل لغة لتكون تراثا للناس يستهدون بها ويسترشدون بسموها .

٦ — الكشف عن أصول الحضارة الإسلامية وأعمالها فى خدمة العالم ونشر ملخصات عنها بكل لغة .

٧ — إنشاء معاهد ثقافية وإسلامية فى جميع أنحاء العالم لنشر الثقافة العربية الإسلامية

٨ — كتابة التاريخ الإسلامى فى موسوعة عربية بأسلوب جديد يتفق مع تطور الحياة والفكر العالمى المعاصر .

٩ — نشر مفاخر الإسلام فى خدمة الشعوب التى استظلت بظلاله وفى النهوض بها وكل ما أسداه إليها الحكم الإسلامى من نهضة وتقدم وحضارة ورقى .

١٠ — الدعوة إلى مبادئ الإسلام الأساسية فى الحرية والشورى والمساواة والتكافل الاجتماعى والإخاء والعدالة وغير ذلك . هذا قل من كثر مما يجب عمله ومما يستطيع الإسلام خدمة الحياة والحضارة والعالم فى مجاله وما ذلك على الله ولا على الإسلام وشعوبه بعزيز .

محمد عبد المنعم خفاجى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

رأي في بعض القواعد النحوية :

١ - صيغ أخرى للمبالغة

للأستاذ أحمد مختار عمر

يتحدث النحويون عن صيغ المبالغة المشهورة فيحصرونها في خمس صيغ هي فَعّال وفَعول وفَعيل ومِفعال وفَعِل . ومع ذلك نجدهم يختلفون في شأن هذه الصيغ ومدى صحة القياس عليها ؛ فمنهم من ذهب إلى أن الصيغ فَعّال ومِفعال وفَعول هي الكثيرة ، ومنهم من ذهب إلى أن صيغة فَعّال خاصة هي القياسية المطردة ، وذهب بعضهم إلى أن الصيغ الخمسة قياسية من الفعل المتعدي فقط ، وبعض آخر إلى أنها قياسية من المتعدي واللازم .

وقد اعتبر سيبويه هذه الصيغ الخمسة أصلا في المبالغة دون أن يقول بقياسيتها ، ثم عاد فاعتبر صيغة فعيل قليلة وما عداها أصلا ، وخالف نفسه بعد ذلك فقال إن صيغة فعِل أقل من فعيل بكثير .

ومع هذا الخلاف الشديد اتفقوا على أن ما عدا هذه الصيغ الخمسة قليل في الاستعمال مقصور على السماع .

ولكننا نجد في كتب اللغة خلاف ذلك . ونرى في كلام اللغويين ما يفيد وجود صيغ أخرى تستعمل بكثرة للدلالة على معنى المبالغة . وهذه الصيغ هي :

١ — فِعّيل ٢ — فُعَلة

٣ — فُعْلة ٤ — فُعّال

وبين هذه الصيغ صيغة فريدة تدل على المبالغة في المفعول (لا الفاعل كسائر الصيغ) وهي صيغة فُعْلة التي لا يوجد في سائر الصيغ ما يحل محلها أو يغني عنها .

وقد لاحظ اللغويون - من قديم - ما في هذه الصيغ من مبالغة فذكروا ذلك صراحة أو ضمنا . ومنهم من أشار إلى كثرتها أو اطراد بعضها . كما أننا نجد منهم من يذكر أمثلة الصيغة لا يذكرها غيره .

وسنتناول الآن كل صيغة على حدة لنرى أقوال اللغويين فيها وأقدم ما استطعت أن أجمعه من أمثلة لكل منها :

١ — فِعّيل :

قال ابن قتيبة : « ما كان على فعيل فهو مكسور الأول ... وهو لمن دام منه الفعل » وبعد أن ذكر أمثلة لذلك تلاها بقوله : « ومثل ذلك كثير . ولا يقال لمن فعل الشيء

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مرة أو مرتين حتى يكثر منه أو يكون له عادة » .

وكذلك نص ابن السكيت على أن صيغة فعيل تدل على المبالغة ؛ فالسكير الكثير السكر والفسيق الكثير الفسق . إلى آخر ما مثل به .

كما لاحظ الفارابى « أبو إبراهيم إسحق ابن إبراهيم المتوفى سنة ٣٥٠ هـ وصاحب ديوان الأدب » معنى المبالغة فى هذه الصيغة فكان يقرنها بما يفيد المبالغة . ومن ذلك قوله : الشريب المولع بالشرب ، الزميت أشد من الزميت ، الخمير الدائم الشرب للخمر ، رجل شرير أى صاحب شر جدا ...

أما الأمثلة التى أمكننى أن أجمعها من كتب اللغة لهذه الصيغة فهى :

شريب ، خريت ، زميت ، سكيت ، صميت ، هميت ، حديث ، خبيث ، عبيث ، خريج ، مريح ، مسيح ، عنيد ، غريد ، مريد ، جبير ، ختير ، خمير ، سكير ، سمير ، شخير ، شرير ، شمير ، ظفير ، غدير ، فجير ، نخير ، فكير ، قسيس ، فطيس ، عقيص ، عريض ، صريع ، ثقيف ، حريف ، خريق ، صديق ، طليق ، عشيق ، فسيق ، مسيك ، خليل ، هزبل ، ظليم ، غليم .

ولهذه الصيغة أهمية خاصة ، لأنها كثيرة الدوران على ألسنة العوام فى مصر (ولكن بفتح أولها) الدلالة على معنى المبالغة ، وطغيانها على ما عداها من الصيغ ، فهم يقولون : أكيل ، وحبيب ، وجميع ، ورسيم ، وعويم ، وكسيب ، ولعيب ... وغير ذلك .

ومن أجل هذا لا نستبعد أن تكون هذه الصيغة أقدم فى الدلالة على معنى المبالغة من صيغة فَعَّال التى يعترف بها النحويون ، وأنها تطورت فى اللغة الفصحى إلى فِعِّيل أو فَعَّال طبقا لقانون الانسجام الصوتى ، وظلت محتفظة بفتح أولها فى بعض اللهجات ، ثم انحدرت إلينا مع بعض القبائل العربية التى نزحت إلى مصر .

ومن الغريب أن يبلغ عدد ماجمعته من أمثلة لهذه الصيغة خمسة وأربعين مثالا - ولا أزعم أنه كل ما جاء منها - ثم نجد ابن دريد ينص على أنها سماعية ، ويحذر من القياس عليها . فهو يقول فى جمهرته بعد أن عد مايقرب من ثلاثين مثالا : « اعلم أنه ليس لمولد أن يبنى فِعِّيلا : لا ما بنته العرب وتكلمت به . ولو أجيز ذلك لقلب أكثر الكلام (١١) فلا تلتفت إلى ما جاء على فعيل مما لم تسمعه إلا أن يجىء به شعر فصيح .

* * *

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

٢ ، ٣ — فُعَلة وفُعْلة :

قال ابن قتيبة : « وكل حرف على فُعَلة وهو وصف فهو للفاعل نحو هذرة ونكحة وطلقة وسخرة إذا كان مهذاراً ، نكاحا ، مطلاقا ، ساخراً من الناس ، فإن سكنت العين من فعلة وهو وصف فهو للمفعول به . تقول رجل لعْنة أى يلعنه الناس ، فإن كان هو يلعن الناس قلت لُعَنة . ورجل سُبَة أى يسبه الناس ، فإن كان هو يسب الناس قلت سُبَبَة . وكذلك هُزْأة وهزَأة وسخْرة وسخَرة وضحْكة وضحَكة وخدْعة وخدَعة » . وقال مرة أخرى : « وفُعْلة من صفات المفعول وفُعَلة من صفات الفاعل » ، ثم ذكر أمثلة لذلك .

وقال ابن السكيت : « واعلم أنه ما جاء على فُعَلة بضم الفاء وفتح العين من النعوت فهو فى تأويل فاعل ، وما جاء على فُعْلة ساكنة العين فهو فى معنى مفعول به » .

وعقد الثعالبي باباً بعنوان « فصل فى الفرق بين ضدين بحرف أو حركة » قال فيه : « وذلك من سنن العرب . وما كان فرقه بحركة كما يقال : رجل لعَنة إذا كان كثير اللعن ، ولعْنة إذا كان يُلعن . وكذلك ضحَكة وضحْكة » .

بل نص ابن منظور على أن هذين البناءين يطردان فى معنى المبالغة ، وقرر أكثر من مرة فقال :

١ — نكَحة كثير النكاح ، وفعَلة من أبنية المبالغة لمن يكثر منه الشئ .

٢ — رجل بُوَلة كثير البول ، يطرد على هذا باب .

٣ — اللعْبة الأحمق الذى يسخر به ، ويطرد عليه باب .

٤ — صرعة كثير الصراع لأقرانه وصرعة يصرع كثيراً ، يطرد على هذين باب .

٥ — رجل لومة يلومه الناس ولومة يلوم الناس ... يطرد عليه باب .

٦ — اللعنة الكثير اللعن للناس ، واللعنة الذى لا يزال يلعن لشرارته ، والأول فاعل ، والثانى مفعول ... ويطرد عليهما باب .

أما الألفاظ التى أمكننى أن أجمعها لصيغة فُعَلة فهى :

نكَأة ، فجَأة ، زكَأة ، هزَأة ، خضبة ، صبَبة ، شربة ، طلبة ، عيبة ، قوبة ، كذبة ، لعبة ، نجبة ، خرجة ، لججة ، ولجة ، نكحة ، حمدة ، قعدة ، بذرة ، دغرة ، سخرة ، سهرة ، عقدة ، عقدة ، قذرة ، قشرة ، هذرة ، لمزة ، همزة ، جلسة ، كوصة ، رفضة ، قبضة ، لقطة ، خدعة ، خضعة ، صرعة ، ضجعة ، طلعة ، لسعة ، بجعة ، هجعة ، هقعة ، هلعة ، ولعة ، نتفة ، طرقة ، طلقة ، عرة ، ضحكة ، أمسكة ، كلة ، برلة ، حولة ، خذلة ، سؤلة ، هذلة ، غسلة ، وكلة ، برمة ، جشمة ، حطمة ، لومة ، نومة ، أمنة ، علنة ، لحنة ، لعنة .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وأما ما استطعت أن أجمعه لصيغة فُعْلة فهو :

نهبة ، سبة ، هزأة ، لعنة ، سخرة ، ضحكة ، همزة ، لمزة ، خدعة ، ضورة ، لعبة ، صرعة ، لومة ، لحنة ، همدة .

٤ ـ فُعَّال :

قال ابن قتيبة : « قال أبو عبيدة : فإذا أرادوا المبالغة شددوا فقالوا : كرام وكبار وظراف وعجاب ، فالكرام أشد كرما من الكُرَام » .

وقال ابن السكيت : « ورجل ... طويل وطوال ، فإذا أفرط فى الطول قيل : طُوَّال » . ونقل عن الكسائى قوله : « سمعت كبير وكبار ، فإذا أفرط قالوا : كُبَّار » .

وقال كراع : « رجل طويل وطوال ، فإذا أسرف فى الطول قيل : طُوَّال » .

ونص الزركشى على أن من صيغ المبالغة الواردة فى القرآن الكريم صيغة فُعَّال ، ومثل لها بقوله تعالى : « ومكروا مكراً كبار » . ثم نقل عن أبى العلاء المعرى أنه قال فى كتابه اللامع العزيزى : فعيل إذا أريد به المبالغة نقل به إلى فعَّال ، وإذا أريد به الزيادة شددوا فقالوا : فُعَّال ، من ذلك عجيب وعجَّاب وعجَّاب ، وقرأ أبو عبدالرحمن السلمى : إن هذا الشىء عجاب بالتشديد . وقالوا : طويل وطُوَال وطوَّال .

أما الألفاظ التى أمكننى أن أجمعها لهذه الصيغة فهى :

عجاب ، كبار ، ظراف ، جمال ، كرام ، حسان ، طياب ، طوال ، ملاح ، جسام ، صباح .

وأعتقد أننا بعد هذا ، يمكننا ونحن مطمئنون أن نضيف هذه الصيغ الأربعة إلى الصيغ الخمسة التى ذكرها النحويون ، وننقلها من دائرة السماعى إلى دائرة القياسى . وأقدم هذا الاقتراح إلى المجمع اللغوى ليصدر قراراً به .

أم المراجع :

كتاب سيبويه ، أدب الكاتب لابن قتيبة ، إصلاح المنطق لابن السكيت ، الغريب المصنف لأبى عبيد ، الجمهرة لابن دريد ، المنتخب والمجرد لكراع ، ديوان الأدب للفارابى ، لسان العرب ، أساس البلاغة ، المزهر للسيوطى ، القول المجمل فى الرد على المهمل السيوطى ، فقه اللغة الثعالبى ، البرهان للزركشى المخصص لابن سيدة ، روح المعانى للألوسى .

٢ ـ اسم المصدر

قسم النحويون الأسماء التى تدل على الحدث إلى قسمين : سموا أحدهما بالمصدر والآخر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

باسم المصدر . ولكنهم لم يقدموا لنا الضابط الذى نستطيع به أن نميز بين النوعين ، ولم يحصروا لنا الأوزان التى تخص اسم المصدر كما حصروا أوزان المصدر ، ولم يفرقوا بين النوعين تفريقا حاسما ، وهم قد ذكروا لنا أن من أوزان المصادر « فَعَلان » لما كان معناه الحركة والاضطراب والذهاب والمجىء ومع ذلك اعتبروا « اللهبان » اسما للالتهاب ولم يعتبروه مصدرا ، وذكروا أن فعل قد سمع بقلة مصدرا لفعل يفعُل ، ومع ذلك اعتبروا « العنج » اسما من عنجت البعير أعنجُهُ ولم يعتبروه مصدرا ... وغير ذلك .

ولعدم وجود ضابط حاسم نجد من اللغويين من يعتبر الكلمة مصدرا على حين يعتبرها آخرون اسم مصدر ؛ فكلمة الشرب - بتثليث الشين - يعتبرها الجوهرى مصدرا للفعل شرب ، ويعتبر أبو عبيدة الشرب - بالفتح - هو المصدر ، وماعداه اسم مصدر واللغويون يعتبرون العوج - بفتح العين والواو - مصدر قولك عوج الشىء والاسم العوج - بكسر العين - فى حين أن ابن السكيت يقول : كل ما كان ينتصب كالحائط والعود قيل فيه عوج - بفتح العين - وما كان فى أرض أو دين يقال عوج - بكسر العين .

وهذا وغيره يجعلنا نعيد النظر فى هذه الكلمات التى عدوها من أسماء المصادر ، وندرسها على أساس جديد .

ونحن إذا نظرنا فى هذه الكلمات نجدها على أربعة أنواع :

١ — كلمات مأخوذة من الثلاثى المجرد وسمع فعل ثلاثى مجرد بمعناها ، ولكن هذه الكلمات ليست على الأوزان المطردة أو الكثيرة لهذا الفعل . ومن أمثلتها قولهم .

القبح الاسم من القباحة ، اللطف الاسم من اللطافة ، الرشق الاسم من رشق يرشق رشقا .

٢ — كلمات مأخوذة من الثلاثى المجرد جاءت بمعنى أفعال من مزيد الثلاثى دون أن يرد ثلاثى مجرد بمعناها . ومن أمثلتها قولهم : الجدل الاسم من الجدال ، الغزل الاسم من المغازلة ، العجب الاسم من الإعجاب .

٣ — كلمات مأخوذة من مزيد الثلاثى جاءت بمعنى أفعال من مزيد الثلاثى كذلك ولكن من باب آخر كقولهم :

الضرام الاسم من الاضطرام ، الخيار الاسم من الاختيار .

٤ — كلمات مأخوذة من مزيد الثلاثى جاءت بمعنى أفعال من مجرد الثلاثى دون أن يرد لها فعل من بابها كقولهم :

العضاض الاسم من العض ، الزفاف الاسم من زفت العروس .

وفى كل هذه الكلمات نلاحظ أن عدم ورود فعل لها من بابها كان هو السبب فى اعتبارها من أسماء المصادر .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وفى رأينا أن هذه الكلمات يجب اعتبارها مصادر لأفعال من أبوابها وتكون هى دليلنا على الفعل حين الاشتقاق فيما لم يسمع له فعل ولذلك على النحو الآتى :

١ — فى النوع الأول يعتبر اللفظ مصدرا للفعل المسموع . ويكون من باب تعدد المصادر للفعل الواحد ، وهذا كثير فى كلامهم وقد أثبت ابن القطاع للفعل « شنئ » أربعة عشر مصدرا ثم قال « وأما المصدران والثلاثة والأربعة والخمسة فتجىء كثيرا » .

٢ وفى النوع الثانى نعتبر هذه الكلمات مصدر الفعل ثلاثى مجرد لم يسمع ، وتكون هى الحجة لمن أراد أخذ سائر التصرفات منها . وتطبيق هذا النوع يتضح فى قول اللغويين : « الشفقة الاسم من الإشفاق . . ولا يقال شفقت » . فعلى اعتبارها مصدرا نقول شفقت ولا حرج .

٣ — أما النوعان الثالث والرابع فنعتبر كلماتهما مصادر لأفعال من أبوابها لم تسمع ، وتكون حجة لمن أراد أخذ سائر التصرفات منهـــا .

وبذلك نخلص أنفسنا من هذا النوع من الكلمات الذى أوقع النحاة فى الحـــيرة والخلاف ، وجعل اللغويين يختلفون فى شأنه اختلافا شديدا . بالإضافة إلى أننا حاولنا أن نجد فرقا حقيقيا بين المصدر واسم المصدر فلم نجد . حاول بعضهم أن يلتمس هذا الفرق ، ولكنه ضل وتخبط :

(ا) فذهب بعضهم إلى أن المصدر يدل على الحدث واسم المصدر لا يدل على الحدث وإنما يدل على لفظ المصدر .

(ب) وذهب بعضهم إلى أن مدلوله الحدث كالمصدر ولكن دلالته عليه بطريق النيابة عن المصدر .

ولكن . . ما ثمرة ذلك ؟ وما أثره من جهة المعنى أو الاستعمال ؟ لا شىء .

(ج) وذهب بعضهم إلى أن الفرق بينهما أن المصدر يعمل . واسم المصدر لا يعمل وهذا خلاف ما عليه جمهور النحاة من أن كلا منهما يعمل . وفى ألفية ابن مالك : ولاسم مصدر عمل .

فما دام كل منهما يعمل ، وما داما يأتيان بمعنى واحد ، وما داما يدلان على الحدث ، فلماذا التفريق بينهما ؟

وقد أحسن ابن مالك صنعا فى بعض مؤلفاته حين اعترف بعدم وجود فارق بين النوعين . وقد كان المنطق يقتضيه حينئذ أن يمنع التعدد مادامت الحقيقة واحدة ، ولكنه جرى فى غبار النحاة وحذا حذوهم .

أحمد مختار عمر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فلسطين فى شعر شوقى

للأستاذ كامل السوافيرى

١ — ما زلت أذكر وبردة الصبا تلفنى ، وحجرات الدراسة فى مدرسة السوافير الابتدائية تضمنى كيف كنا نكلف ونحن صغار بحفظ أبيات للشاعر أحمد شوقى دون أن نفهم معانيها ومن تلك الأبيات قوله :

وطنى لو شغلت بالخلد عنه
نازعتنى إليه فى الخلد نفسى
شهد الله لم يغب عن جفونى
شخصه ساعة ولم يخل حسى

وتجاوزت مرحلة الطفولة وواصلت دراستى الثانوية والعالية فى رحاب الأزهر وقاعات دار العلوم وازداد حبى لشوقى وتقديرى لشعره وعشت معه فى شوقياته الخالدة ومسرحياته الرائعة فاستهوانى قصيده وهزنى شعره وهو يرسل ألحانه إلى دنيا الإسلام والعروبة فيشجى ويطرب ويروى الدهر قصائده وتردد الملايين تغريده وإنشاده مأخوذة بروعة فنه .

٢ — وقد عرفت فلسطين العربية المجاهدة لشوقى مكانته فأحلته فى السويداء من قلوب أبنائها ، وتخيرت له القصائد والمقطعات واتخذت منها نصوصاً أدبية يكلف الطلبة والطالبات بحفظها ودراستها فى المرحلتين الابتدائية والثانوية على الرغم من مدير معارف حكومة فلسطين الانجليزى ورقابته على منهج اللغة العربية ، ومحاربته للنصوص الشعرية والنثرية التى توقد جذوة الوطنية وتشعل الروح القومية وكثيراً ما كانت هذه الحرب تفرض استبعاد كل نص لا يرضى حكومة الانتداب ولم تقف الحرب عند هذا الحد بل تجاوزته إلى محاربة اللغة العربية كلغة قومية ومحاربة أبنائها الأكفاء الذين تخصصوا فى دراستها على حين أنها جعلت للغة الانجليزية ست حصص فى الأسبوع وخصصت لها زمناً يتساوى مع زمن اللغة العربية ويزيد عنه أحياناً على الرغم من تلك الصعاب اختار أساتذة اللغة العربية فى المدارس الأميرية فى فلسطين قصائد من شعر شوقى فى الكتب المقررة على طلبة المرحلتين الابتدائية والثانوية فى النصوص والمطالعة والأدب والبلاغة والعروض والقوافى ولكن خطر هذه النماذج كان أكبر وأوفى فى المدارس الحرة التى لم تتقيد بمنهج الحكومة .

ولم يقف أثر شوقى عند تقرير شعره فى المدارس والمعاهد بل تجاوزه إلى عكوف العشرات على حفظ العديد من قرائد الشوقيات

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ينشدون أبياتها ويرددون روائعها فى ندوات الأدب وموائد الشعر ، وحلقات السمر التى كانت تنتظم كل مساء فى بيت المقدس ونابلس ويافا وغزة وغيرها من المدن بين عشاق الأدب وهواة الفن .

٣ — وترى فلسطين أن شوقى لم يكن شاعر القصر ولا شاعر مصر ولكنه شاعر العرب صور آمالهم وآلامهم وغنى أفراحهم وأشاد بالروابط الوثيقة التى تؤلف بين قلوبهم .

كان شعرى الغناء فى فرح الشرق
وكان البكاء فى أحزانه
قد قضى الله أن يؤلفنا الجرح
وأن نلتقى على أشجانه
كلما أن بالعراق جريح
لمس الشرق جنبه فى عمانه

وكلمة الشرق قصد بها يومئذ الوطن العربى لأن مفهوم العروبة لم يكن قد تبلور فى الأذهان تبلوره اليوم . ويؤيد ذلك أن كثيراً من الشعراء الذين عاصروا شوقى والذين جاءوا بعده استعملوا كلمة الشرق وأرادوا منها العرب وحسبنا دليلا على ذلك قول الشاعر على الجارم :

صحا الشرق وانجاب الكرى عن عيونه
وليس لمن رام الكواكب مضجع

ولشعر شوقى أثر بالغ فى إشعال حماسة أبناء فلسطين وهم يحاربون الاستعمار البريطانى والصهيونية العالمية خلال ثلاثين سنة يبذلون المهج ويرخصون الدماء دفاعا عن الوطن وثمناً للحرية متمثلين قوله :

ومن يسقى ويشرب بالمنايا
إذا الأحرار لم يسقوا ويسقوا
وللأوطان فى دم كل حر
يد سلفت ودين مستحق
وللحرية الحمراء باب
بكل يد مضرجة يدق

٤ — وكان بين شوقى وبين أديب العربية إسعاف النشاشيبى إخاء وثيق وصداقة قوية وقد وعد شوقى صديقه إسعاف بأن يزور فلسطين ويقص علينا نبأ تلك الزيارة شاعر فلسطين المرحوم إبراهيم طوقان فيقول :

قابلت أديب العربية إسعاف النشاشيبى فى ١٤ أغسطس سنة ١٩٢٨ وهو اليوم الذى حدده أمير الشعراء أحمد شوقى ليزور فيه فلسطين ، وينزل ضيفا فى « الحوزلق » قصر صديقه إسعاف فى بيت المقدس ، وقد قال لى إسعاف فى هذا اليوم : بلبلنى شوقى والله ، بلبلنى يا أخى إذ لم تتم الزيارة فى الموعد المحدد ولم يعلم إسعاف مقر شوقى يومئذ لأن الصحف تناقلت أنباء متناقضة عن حله وترحاله فمن قائل إنه مازال فى ربوع الشام ومصايف لبنان ومن قائل : إنه عاد إلى مصر وأخيرا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

طلعت صحف مصر بنبأ عودته إلى وطنه ، وكان إسعاف قد طلب منى إعداد قصيدة لإلقائها فى الاحتفال العظيم الذى اعتزم إقامته لصديقه أمير الشعراء فنظمت القصيدة التالية

ونكتفى بهذه الأبيات من قصيدة شاعر فلسطين فى شوقى المثبتة فى ديوان إبراهيم طوقان والدالة على مكانة شوقى فى قلوب أبناء فلسطين

أهلا برب المهرجان
أهـلا بنابغة الزمان
ملك القلوب المستقل
بعرشها والصولجان
أهلا بشوقى شاعر الفصحى
ومعجزة البيان

وفى هذه الأبيات يخلع الشاعر على شوقى أجمل الصور فيجعله رب المهرجان ونابغة الزمان وملك القلوب المستقل بعرشها وشاعر الفصحى ومعجزة البيان ويمضى شاعر فلسطين فى إعجابه وحفاوته بشوقى فيصوره بأنه فرقد الشعراء ، وأن علم الخلود يرفرف عليه وأن الروح الأمين ينفخ فى قلبه مايفيض على لسانه ، ويمد روحه بالنفحات حين يطوف بالجنان فتغدو أبكارها لدى الشاعر أبكار المعانى .

يا فرقد الشعراء كم
من فرقد لعلاك دان
علما الخلود منشران
على سريرك يخفقان
جبريل ينفخ فى فؤادك
مايفيض على اللسان
وأمد بالنفحات روحك
حين طوف بالجنان
فاذا بأبكار الجنان
لديك أبكار المعانى

وهذه الأبيات تعبر فى صدق عن حب شاعر فلسطين وإعجابه وتقديره لشوقى وعن حب أهل فلسطين لأمير الشعراء وعاطفة الشاعر الجياشة استدعت أجمل الصور وأرق الألفاظ وأعذبها ، وزاد من تأثيرها وقوتها الإيقاع الموسيقى الراقص واختيار أبياتها من مجزوء الكامل هذا إلى جانب قصائد متعددة لشعراء فلسطين عارضوا فيها بعض قصائد أمير الشعراء ، ومزجوها بروح الفكاهة والدعابة والمرح ، ولا نرى مايدعو لإيرادها

٥ — وحين استعرضت الشوقيات لأجد فيها قصيدة استلهمت فلسطين منذ ابتدأت محنتها فى الثانى من نوفمبر سنة ١٩١٧ وهو اليوم الذى صدر فيه وعد بلفور إلى العام الذى كف فيه الشاعر عن تغريده وهو عام ١٩٣٢ خاب أملى وعزانى الأسى لأنى وجدت قصائد فى دمشق ونكبتها وزحلة ولبنان

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والأندلس والبسفور وطوكيو وباريس ولم أجد قصيدة عن فلسطين أو بيت المقدس وكل ما وجدته أنى وجدت بيتاً فى قصيدة التى ألقاها فى دار الأوبرا فى حفلة افتتاح مؤتمر تكريمه الذى انعقد فيها فى صفحة ٢٤٠ من الجزء الثانى من الشوقيات ذكر فيه فلسطين وهو :

يا عكاظا تألف الشرق فيه
من فلسطينه إلى بغداده

ووجدت أبياتا من قصيدتين أخريين الأولى فى رثاء محمد على الزعيم الهندى فى الصفحة الثانية عشر من الجزء الثالث وفيها يتحدث عن القدس التى دفن فيها الزعيم الهندى المرثى وعن فلسطين :

ميت على أرض الهدى وسمائه
الحق حائطه وأس بنائه
الفتح من أعلامه ، والطهر من
أوصافه والقدس من أسمائه
تحنو مناكبه على شعب الهدى
وتظل سدته على سيمائه
منذا ينازعنا مقالد بابه
وجلال سدته وطهر فنائه
ومحمد صلى على جنباته
واستقبل السمحات فى أرجائه
يا قدس هيء من رياضك ربوة
لنزيل تربك واحتفل بلقائه

وفى آخر القصيدة يثنى الشاعر على فلسطين وأهلها فيقول عنها :

بلد بنوه الأكرمون قصورهم
وقبورهم وقف على نزلائه
قد عشت تنصره وتمنح أهله
عونا فكيف تكون من غرباته

والثانية فى رثاء الملك حسين فى الصفحة الستين بعد المائة من الجزء الثالث أيضا ورد فيها ذكر فلسطين حين تحدث عن أبناء الملك الراحل فقال :

أمن الناس فى ذراهم وطابت
عرب الأرض تحتهم والأعاجم
وبنوا دولة وراء فلسطين
كباب الهدى فتاة العزائم

ومتحدثا عن القدس التى دفن فيها الفقيد قائلا :

وادفنوه فى القدس بين سليمان
وداود والملوك الأكارم
إنما القدس منزل الوحى مغنى
كل حبر من الأوائل عالم
كنفت بالغيوب فالأرض
أسرار مدى الدهر والسماء طلاسم
وتحلت من البراق بطفراء
ومن حافر البراق بخاتم

وقد ألقى هذه القصيدة نيابة عن الشاعر صديقه إسعاف النشاشيبى فى حفل التأبين

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الذى أقامه النادى الرياضى الإسلامى بيافا للفقيد سنة ١٩٣١ قبـــل وفاة الشاعر بعام واحد .

— ٦ —

ولما تحطمت قيثارة الشاعر وكف عن التغريد سنة ١٩٣٢ أظلت فلسطين سحابة قاتمة من الحزن ورانت عليها ظلال الأسى وتجلى ذلك فى حفلات التأبين التى أقيمت الشاعر بعد مرور أربعين يوما على وفاته فى بيت المقدس ونابلس وحيفا وغيرها من مدن فلسطين وتحدث فيها الخطباء والشعراء وعن نكبة العرب لفقد شاعرهم وخسارتهم بموته وخسارة اللغة العربية بشاعرها نابغة الزمان ومعجزة البيان وحسبى أن أسوق فقرات من الكلمة التى ألقاها إسعاف النشاشيبى فى تأبين الشاعر ...

ومنها يقول :

إنما الدنيا شجون تلتقى
وحزين يتأسى بحزين
ضحك الدنيا احتشاد للبكا
وأغانيها معدات الأنين
أيتها النفس أجملى جزعا
ان الذى تحذرين قد وقعا

شاعر العرب قضى يا فتاة العرب فالبسى ثوب الحـــداد وابرزى بين الملا حاسرة واندبيه ، زحزحى هـذا النقاب لنرى وجه الحزين أعرضى عن خضر عودته فعيون القوم غرقى فى الدموع .

شيعى دمعك هـذا قانئا بنحيب ونشيج وعويل وابذلى الدمع رخيصا إن من تبكين غال . واحشدى كل بنات العرب للبكاء واندبيه نائحات سافرات وذرى الترب يبيسا يرتوى من عبرات ، اذكريه اندبيه أبنيه بحسران خالدة .

هـــذا هو أثر شوقى البالغ فى فلسطين وشعره فيها ولعلنا فى هذه الكلمة قد ألقينا عليه أضواء ساطعة وجلوناه للقراء . رحم الله شوقى شاعر العرب وبلبل العروبة وشاعر الإسلام وسلام عليه فى الخالدين .

كامل السوانيرى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

العقوبة فى الإسلام :

حَدّ السُّكْر

للأستاذ محمد فاوى عمر

فى بحث للدكتور عبد الرازق السنهورى فى فقه الدين الإسلامى مقارناً مع الفقه الغربى يقول : وهذه هى الشريعة الإسلامية لو وطئت أكنافها وعبدت سبلها لكان لنا فى هذا التراث الجليل ما ينفخ روح الاستقلال فى فقهنا وفى قضائنا وفى تشريعنا ، ثم لأشرفنا نطالع العالم بهذا النور الجديد فنضىء به جانباً من جوانب الثقافة العالية فى القانون .

ويقول فى موضع آخر : لن نحاول أن نصطنع التقريب بين الفقه الإسلامى والفقه الغربى على أسس موهومة أو خاطئة فإن الفقه الإسلامى نظام قانونى عظيم له صنعة يستقل بها ويتميز عن سائر النظم القانونية فى صياغته . وتقتضى الدقة والأمانة العلمية علينا أن نحتفظ لهذا الفقه الجليل بمقوماته وطابعه ونحن فى هذا أشد حرصا من بعض الفقهاء المحدثين فيما يؤنس فيهم من ميل إلى تقريب الفقه الإسلامى من الفقه الغربى .

ولا يعنينا أن يكون الفقه الإسلامى قريباً من الفقه الغربى . فإن هذا لا يكسب الفقه الإسلامى قوة بل لعله يبتعد به عن جانب الجدة والابتداع وهو جانب الفقه الإسلامى منه حظ عظيم .

وقد عرف علماء القانون الغربيون ذلك وأقروا بصلاحية الفقه الإسلامى ليكون أساساً للتشريع حيث نجد من قرارات مؤتمر القانون المقارن الذى عقد فى لاهاى فى أغسطس سنة ١٩٣٨ :

١ ــ اعتبار الشريعة الإسلامية مصدراً من مصادر التشريع .

٢ ــ اعتبارها حية صالحة للتطور .

٣ ــ اعتبارها قائمة بذاتها غير مأخوذة من غيرها .

ومن مصادر التشريع فى الفقه الإسلامى الكتاب والسنة والإجماع والقياس .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والعقوبة فى الفقه الإسلامى موانع قبل الفعل زواجر بعده . وهى جوابر أى أن تنفيذها على الجانى فى الدنيا يقيه عذاب الآخرة . ومن ثم فمن استطاع أن يهرب من العقاب الدنيوى فهو لا محالة ملاق جزاءه يوم القيامة .

وأخيراً فإن العقوبات الشرعية قد شرعت رحمة من الله تعالى بعباده فهى صادرة عن رحمة الخلق وإرادة الإحسان إليهم .

والإسلام لا ينكر على الفرد حريته وكرامته الشخصية بل يمنحه حرية التصرف فى شئونه وأمواله . بعد أن يؤدى الواجب عليه نحو خالقه ونحو نفسه ونحو غيره . فقد قال تعالى « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا » .

وقد وقف الدين الإسلامى موقفاً حازما من شرب الخمر ولكنه تدرج فى التشريع لهذا الأمر . إذ كان العرب قبل الإسلام يكثرون من شربها ويتغنون بها فى أشعارهم ويتفننون فى صنعها . وكانت عادة متأصلة لديهم . فلم يكن من الميسور تحريمها عليهم دفعة واحدة . ولذلك سلك الإسلام مسلك التدرج فى التشريع حتى لا يشق على الناس الأمر . .

فقد قال الله تعالى فى سورة النحل : « ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسناً إن فى ذلك لآية لقوم يعقلون » .

فبدأ بالتفريق بين الرزق الحسن وغير الحسن .

ثم قال تعالى : « يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما ... »

وقد بينت هذه الآية الكريمة مضار الخمر صراحة . ولم يأمر الله سبحانه وتعالى بتحريمها . وكان الناس يشربونها بعد نزول هذه الآية ويقولون : نشربها للمنفعة لا للإثم .

وبعد ذلك نزل قوله تعالى فى سورة النساء : « يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون .

وبهذا نهى سبحانه وتعالى عن شرب الخمر قبل الصلاة .

وقد روى عن الترمذى عن على بن أبى طالب قال : صنع لنا عبد الرحمن بن عوف طعاما فدعانا وسقانا من الخمر ، فأخذت الخمر منا ، وحضرت الصلاة فقدموني فقرأت : « قل يأيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ونحن نعبد ما تعبدون » . قال : فأنزل الله تعالى : « يا أيها

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون » .

وبعد نزول هـذه الآية الكريمة قال عمر ابن الخطاب اللهم أنزل علينا بياناً شافياً فنزلت آيات النهى المطلق عن شرب الخمر . إذ قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون .

فقال عمر بعد ذلك انتهينا انتهينا . ثم طاف منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ألا إن الخمر قد حرمت .

وباستعراض الآيات الكريمة يتضح أن شرب الخمر كان مباحا ، وأن السكر كان هو المحرم . ثم حرم الشرب نفسه بعد ذلك .

وإنه وإن كان قد ثبت بصريح نص القرآن تحريم الخمر . فإنه لم يرد فى ذلك النص عقوبة لمخالفته . فترك بذلك بابا واسعا للاجتهاد ، وإن كان فى ذلك تخفيف على الناس .

وقد روى البخارى ومسلم والترمذى وأبو داود عن أنس بن مالك رضى الله عنه : أن النبى صلى الله عليه وسلم ضرب فى الخمر بالجريد والنعال وجلد أبو بكر أربعين جلدة .

وروى البخارى عن السائب بن يزيد قال : كنا نؤتى بالشارب على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وإمرة أبى بكر وصدر من خلافة عمر ، فنقوم إليه بأيدينا ونعالنا وأرديتنا ، حتى كان آخر إمرة عمر فجلد أربعين حتى إذا عتوا أو فسقوا جلد ثمانين .

وعن أبى داود عن قبيصة بن ذويب رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : من شرب الخمر فاجلدوه ، فإن عاد فاجلدوه فإن عاد فاجلدوه ، فإن عاد فاقتلوه فى الثالثة أو الرابعة ـ فأتى برجل قد شرب فجلده ، ثم أتى به فجلده ثم أتى به فجلده ، ورفع القتل وكانت ـ خصته .

وقال ابن عباس : شرب رجل فسكر فلقى يميل فى الفج فانطلق به إلى النبى صلى الله عليه وسلم فلما حاذى بدار العباس انفلت ، فدخل على العباس فالتزمه . فذكروا ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم . فضحك وقال : أفعلها ؟ ولم يأمر فيه بشىء .

وروى عن عمير بن سعيد النخعى قال : سمعت على بن أبى طالب يقول : ما كنت لأقيم على أحد حدا فيموت فأجد فى نفسى منه شيئا إلا صاحب الخمر . فإنه لو مات

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وديته وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسنه .

وفى موطأ مالك أن عمر بن الخطاب استشار فى الخمر يشربها الرجل . فقال له على بن أبى طالب : نرى أن نجلده ثمانين جلدة : فإنه إذا شرب سكر وإذا سكر هذى . وإذا هذى افترى .

من كل هذا يتضح أن عقوبة شرب الخمر لم يرد بها نص فى القرآن الكريم - ولم تكن مقدرة أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا الخلفاء من بعده بمقدار معين لا من ناحية الكم ولا من ناحية الكيف .

ومعنى هذا أن أى عقوبة يفرضها ولى الأمر على شارب الخمر ويرى أنها بحسب مقتضيات ظروف البيئة الاجتماعية فهى عقوبة شرعية .

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (حد يقام فى الأرض خير لأهلها من مطر أربعين ليلة).

وإنه وإن كان شارب الخمر يعاقب بإقامة الحد عليه فإنه يجوز تعزيره بالتبكيت بعد إقامة العقاب البدنى عليه . فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بتبكيت شارب الخمر بعد ضربه . ومن ذلك قول المسلمين للشارب بعد إقامة الحد عليه : ما اتقيت الله ؟ ما خشيت الله ؟ ما استحييت من رسول الله .

هذا والحد فى الإسلام ينبغى ألا يقام فى المساجد ولا فى أرض العدو . حدث الأعمش عن علقمة قال : غزونا أرض الروم ومعنا حذيفة وعلينا رجل من قريش فشرب الخمر فأردنا أن نحده . فقال حذيفة : تحدون أميركم وقد دنوتم من عدوكم فيطمعون فيكم ؟.

وكان عمر بن الخطاب يأمر أمراء الجيوش والسرايا ألا يجلدوا حتى يطلعوا من الدرب غافلين . وكره أن تحمل الحدود حمية الشيطان على اللحوق بالكفار .

وفى تحديد معنى الخمر يقول عليه الصلاة والسلام : كل شراب أسكر فهو حرام . كما قال أيضا كل مسكر خمر وكل خمر حرام .

وعن أبى موسى قال : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا ومعاذا إلى اليمن . فقلت : يا رسول الله افتنا فى شرابين كنا نصنعهما باليمن . البتع وهو من العسل ينبذ حتى يشتد والمزر وهو من الذرة والشعير حتى يشتد . قال : كل مسكر حرام ؟

نقيب : محمد فاروق عمر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

صحفيون من الأزهر :

رفاعه الطهطاوى

للأستاذ محمد على غريب

منذ أكثر من ألف عام، حمل الأزهر الشريف وما يزال ، مشعل النور ، ليضيء به طرائق الحياة ، أمام أولئك الراغبين فى المعرفة ، والطامحين إلى جودة الفهم وصحة الإدراك ، ومن الملايين الكثيرة التى توافدت عليه ، خرج أبناؤه وفى أيديهم مشاعل النور تضيء لهذه الدنيا معالم الحياة ، وتبصرهم بكل ما هم فى حاجة إليه من وجوه الصواب والرشد والنضوج .

وخلال هذه القرون العشرة ، كان الأزهر الشريف يتجدد ويتطور ، ويتقبل فى كثير من التسامح واليسر دراسة مختلف الفنون والمعارف ، وفى تاريخه المجيد الرائع ، ومضات لا يقوى الأزهرى العادى اليوم على أن يحدق فيها بعينه . فقد كان الأزهر يدرس (الموسيقى) وهى فن لم يرتق إلى درجة الوقار والاتزان ، وقد جاء وقت كانت الموسيقى فيه تحارب من الأزهر كما يحارب التحلل الأخلاقى .

والعجيب فى الأمر أن أكثر الذين برعوا فى الموسيقى وطاولت أعلامهم فيها عنان السماء كانوا من الأزهريين ، ورغم هذا فإن الأزهرى القح كان يضم ثيابه إلى بدنه حتى لا تحتك بثياب أزهرى موسيقى !

وكان هذا شأن الأزهر مع الصحافة ، فقد نظر إليها نظارته إلى مهنة حقيرة مبتذلة ، وكان يحاربها إلى أقصى ما يستطيع من الجهد فى سبيل أن يحفظ على الناس أخلاقهم الكريمة حتى لا تمزقهم هذه الوريقات المطبوعة بما تحويه من (غيبة) و (نميمة) ومن أكاذيب وأراجيف وترهات .

والمدهش فى الأمر أن أكثر الذين غرسوا بذور هذه المهنة فى مصر وفى كثير من البلاد الإسلامية هم من الأزهريين ، أولئك الذين كان يقال عنهم فى الماضى (أزهرى فسد) .

وأول صحفى عربى فى مصر بل وفى العالم العربى كله ، كان أزهرياً وهو المرحوم الشيخ إسماعيل بن سعد الشهير بالخشاب قال عنه :(الفيكونت فيليب دى ترازى) فى كتابه

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

(تاريخ الصحافة العربية) عند حديثه عن البعثة العلمية التى رافقت حملة نابليون بونابرت إلى مصر أنها أحضرت معها مطبعة من باريس ثم يقول :

(وأول عمل باشرته هذه البعثة العلمية أنها نشرت ثلاث جرائد فى المطبعة المذكورة إحداها (الحوادث اليومية) كان يحررها إسماعيل بن سعد الخشاب وهى جدة الصحف فى لغة الناطقين بالضاد) .

ويقول عنه الجبرتى فى كتابه التاريخى المعروف : (تولع السيد إسماعيل بحفظ القرآن ثم بطلب العلم ولازم حضور السيد على المقدسى وغيره من أفاضل الوقت وأنجب فى الفقه الشافعى والمعقول وتثقيف اللسان والفروع الفقهية الواجبة والفرائض

إلى أن يقول :

ولما رتب الفرانساوية ديوانا لقضايا المسلمين تعين المترجم فى كتابة التاريخ لحوادث الديوان ، وما يقع فيه من ذلك اليوم . . لأن القوم كان لهم مزيد اعتناء بضبط الحوادث اليومية فى جميع دواوينهم وأماكن أحكامهم ثم يجمعون المتفرق فى ملخص ، يرفع فى سجلهم ، بعد أن يطبعوا منه نسخا عديدة يوزعونها فى جميع الجيش ... حتى لمن يكون منهم فى غير المصر من قرى الأرياف ، فتجد أخبار الأمس معلومة للجليل والحقير منهم .

فلما رتبوا ذلك الديوان ، كما ذكر كان هو المتقيد برقم كل ما يصدر فى المجلس : من أمر ونهى ، أو خطاب أو جواب ، أو خطأ أو صواب ، وقرروا له فى كل شهر سبعة آلاف ونصف فضة .

فلم يزل متقيداً فى تلك الوظيفة مدة ولاية عبد الله جاك منو ، حتى ارتحلوا من الإقليم . ولقد جمع من سجلات الحوادث عدة كراريس ولا أدرى ما فعل بها .

هذا هو إسماعيل الخشاب ، أول صحفى عربى على الإطلاق ، خرج من الأزهر إلى الصحافة ، وكانت صحيفته صغيرة لا يقرؤها إلا القليلون .

ويجىء من بعده المغفور له الشيخ (رفاعة رافع الطهطاوى) وهو المقصود بحديثنا وصاحب أكبر فضل على النهضة العلمية والأدبية والاجتماعية فى مصر ، ولقد ولد عام ١٨٠١ وتوفى عام ١٨٧٣ وكانت مسقط رأسه مدينة (طهطا) فى الصعيد ولقد نشأ فى أسرة كانت من أهل اليسار ثم أخنى عليها الدهر فمضى والده فى طلب الرزق إلى مدينة (قنا) وبعدها إلى مدينة (فرشوط) .

وقد سافر إلى فرنسا ورأى حرية هناك جعلته يشعر بالطغيان الذى يعانيه أبناء وطنه مصر ورأى ما يمكن أن يقدمه الفكر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الراجح من أساليب النشاط الإنسانى فى شتى مناحى الحياة ، وفى فرنسا رأى الصناعة الزاخرة بالخير والنفع على الفرنسيين أجمعين فدعا إلى التصنيع فى بلاده .

ولقد دعا رفاعة الطهطاوى ، المصريين إلى الحفاظ على نعمة الحرية وإعلاء شأن الفكر وإنشاء المصانع لتنافس أمتهم أرقى شعوب العالم فى الحضارة والمدنية ، ولتعود إليها سيرتها الأولى فى التقدم والازدهار .

وعاد رفاعة الطهطاوى إلى مصر وكله شعلة من الوطنية المتأججة ، فأشار على محمد على بأن يصدر صحيفة « الوقائع المصرية » وتولى الشيخ رفاعة رياسة تحريرها وراح يكتب فيها المقالات التى تحث على استنهاض الهمم وبعث الشعور القومى وشحذ العزائم فى سبيل خدمة الوطن .

وهى أقدم جريدة عربية على الإطلاق إذ لم تسبقها جريدة عربية أنشأها عربى فى وطننا العربى الكبير .

وما صنعه رفاعة الطهطاوى لأمته يكثر إحصاؤه على المغرمين بالأرقام ، فقد ترجم عشرات الكتب من الفرنسية إلى العربية وأودع ثمراتها عقول أولئك المتعطشين إلى العلم والمعرفة ، وبارك الله فى جهوده فألف وصنف ، وكانت غاية جهاده أن يرتقى بأمته إلى المكان الذى رأى فيه فرنسا .

ولقد خلف رفاعة الطهطاوى وراءه ثروة أدبية ضخمة هى طراز لما يجب أن يقوم به الرائد العظيم نذكرمنها : (خلاصة الإبريز) والديوان النفيس) و (التعريبات الشافية لمريد الجغرافية) و (جغرافية ملطبرون) و (قلائد المفاخر فى غريب عوائد الأوائل والأواخر) و (المرشد الأمين فى تربية البنات والبنين) و (التحفة المكتبية) و (مواقع الأفلاك فى أخبار تليماك) و (مباهج الألباب المصرية فى مناهج الألباب العصرية) و (مختصر معاهد التنصيص) و (المذاهب الأربعة) و (شرح لامية العرب) و (القانون المدنى الإفرنجى) و (توفيق الجليل وتوثيق بنى إسماعيل) و (هندسة ساسير) و (رسالة فى الطب) و (جمال الأجرومية) و (نهاية الإيجاز فى سيرة ساكن الحجاز) .

وهكذا عاش رفاعة الطهطاوى حياته كلها خادما أميناً للدين وللعلم وللمعرفة باذلا غاية جهده فى تحريك موجات الفكر فى بحرنا الآدمى المتلاطم ، لنسمو ونرتفع إلى المكان اللائق بنا تحت الشمس .

محمد على غريب

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

المقوّمات الخلقيّة والأدبيّة
ومدى تاثيرها في تقدير الإسلام
للأستاذ عباس طه

خلق الله الكائنات الحيوانية وفطر كل جنس منها على ما به تصان حياته الشخصية والنوعية وما عليه تقوم سعادته النفسية والمادية ، فهو يجرى من محاولاته على ناموس لا يتعداه وعلى منهاج لا يستطيع عنه حولا إلا الإنسان فإنه لقيام نمطه على التعقل والاستهداء والاتصال كما له بالكشف عن الأصلح والأقوم ، أطلقت له حرية النظر والاستدلال وحسن الاختيار .

وما فطره الله على هذه الجبلة إلا لأنه أنشأ وجوده على سنة الارتقاء والتدرج إلى مدارج لا يصل إليها الخيال في كل ضرب من ضروب الكمالات الشكلية والمعنوية حتى إن أعمق المتصورين خيالا قد عجزوا عن إدراك الحد الذى يقف عنده في ترقيه إلى درجة الكمال .

وكيف يصلون إلى معرفة هذا الحد وقد منح قوى عقلية وروحانية لا يمكن تقديرها بحال من الأحوال . فكلما وصل إلى غاية تراءت له غايات أبعد منها وتيقظت فيه عوامل جديدة للوصول إليها ما كان يتخيل وجودها في نفسه حتى قيل إن كل ما يروى عن الخوارق التي تحدث على أيدى أفراد من الممتازين ستصبح أمورا عادية لأهل الأزمان المستقبلة فيقرأ بعضهم ما يجول في ضمائر بعض ويعرف أحدهم ما يفعله صاحبه وهو على بعد آلاف من الأميال وآلاف من السنين ويأمر القوى الطبيعية فتطيعه صاغرة ، ويرى بقلبه ما وراء الحوائل الكثيفة ويكون وهو في هذا الحد قد بلغ من السمو الروحاني درجة لا يفترق عنها سكان الملأ الأعلى في شيء ونحن لا نتعرض لهذه التخيلات بتصديق ولا تكذيب ، ولكنا نلفت القارئ إلى ما تشير إليه من توقع الدرجات العلى للإنسان بعد ما تبين الباحث من سمو القوى التي منحها وكان من أثرها في آماد قصيرة الوصول من الناحية المادية إلى الدرجة التي وصل إليها الآن ومن الناحية الروحية إلى ما يروى عن الآحاد الذين عنوا بتربية أنفسهم على الأساليب الدينية الصحيحة .

هذا كله أثر الأخلاق والآداب التي يتبعها

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الإنسان فى تدبير القوى المودعة فيـــه . أقول فى تدبير القوى ، لأن الأخلاق والآداب المجردة من هذا التدبير لا تثمر شيئاً أكثر من حسن السمت ، ولطف المعاشرة ، وهذا ليس بكبير الخطر فى حياة الأمم ، ولا هو مما يغنى عنها شيئاً فى مواقفها حيال الطبيعة وحيال الجماعات التى تنازعها الوجود والغلب . فالإنسان كما يطلب منه أن يكون على ضرب من الأخلاق إزاء معاشريه ومواطنيه ، كذلك يطلب منه أن يقوم على ضرب آخر منها أمام الجوائح الطبيعية المساورة له ، وحذاء الجماعات التى تزاحمه فى مضمار الحياة . وهو إن انقاد لمجرد ميوله الفطرية فى هذه الأمور ، فلا يصل إلى أكثر مما وصلت إليه الطوائف الساذجة فى أول وجودها على الأرض ، من تأليه القوى الطبيعية والاستخذاء لأفاعيلها .

هذا كل ما تعطيه الميول الفطرية غير المقومة تقويماً عليا ، وقد استمر الإنسان على هذا الحال قروناً لا تحصى حتى ولد العلم ، فبين موقف الإنسان من الطبيعة ومن الجماعات الإنسانية ، كما عينه من المجتمع الذى يعيش فيه ، وألزمه فى كل موقف من هذه المواقف أخلاقا وآدابا تناسب القوى العليا المودعة صميم معناه الإنسانى .

هذا ما يفهمه العلم من كلمتى أخلاق وآداب أما ما يفهمه البعض منهما وهو ما يقتصر على المخالطة والمعاملة ، فهو ناحية صغيرة من نواحيها ، وليست بذات أثر كبير فى وجودها وترقيها . فلو قامت أمة من أخلاقها وآدابها على مثل ما عليه الكملة الأطهار ، ولم توسع من دائرة هذه الأخلاق والآداب حتى تشمل سيرتها مع الكون الذى تعيش فيه ، والجماعات التى تنازعها العيش ، هان أمرها على أصغر أمة تعنى بهذه الناحية الثانية من الأخلاق وليست من الناحية الأولى على شىء .

فكم قبيل على مثل ما عليه الوحوش الضارية من الخشونة والتجرد عن الأخلاق داسوا قبيلا آخر فى أسمى درجات الآداب فأذاقوهم صنوف الويل ، ومزقوهم شر ممـــزق وجعلوهم أحاديث .

وكم أمة لا يراعى أفرادها الأصول الأدبية المثلى ، ولكنهم على أصول قويمة حيال الوجود والأمم ، قد وصلوا إلى قمة المدنية المادية ، ومدوا سلطانهم على مساحات واسعة من الأرض ، وبجوارهم أمم لا هم لها إلا تدارس الآدب وتطبيقها وهى لا تغنى عن أنفسها فتيلا .

من هذا التناقض نشأت شبهات قوية على الحكم الأدبية وعلى الأديان معاً ، ونجمت

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مذاهب سقيمة على معنى الحياة حتى لقد ذهب المتطرفون منهم إلى أن التقيد بالأخلاق الفاضلة والآداب العالية يعطل من نهوض الأمم ويعرقل حركتها إلى الغايات القاصية من المدنية المادية ، فزعموا أن إطلاق العنان للشهوات يدفع بالنفوس لطلب المزيد من المتع الجسدية وهذا الإطلاق يحفز إلى التوسع فى استغلال المادة وإلى التفكير فى وجوه تسخير قوى الكون للإرادة البشرية . وهذا لا يكون إلا بدراسة العلوم وتطبيقها على العمل ، والتنقيب عن المساتير وحل معمياتها . فجملة هذه الحركات النفسية والعلمية يدفع بالمدنية إلى الارتقاء والتحليق فى أرفع آفاق الإبداع .

هذه شبهات يظنها هؤلاء الإباحيون حججاً لتبرير مذهبهم والحقيقة أن المدنية ليست مدينة لواحد من هؤلاء الشهوانيين بشىء ، وما دهم قواعدها وأقام صروحها من علم وعمل وفن ، غير أفراد من خيار هذا النوع كانوا على جانب كبير من الاستقامة والنزاهة واصلوا بحوثهم غير مدخرين مالا ولا صحة وكثير منهم ذهبوا ضحايا لإخلاصهم لتجاربهم وأمثال هؤلاء يوجدون فى كل مجتمع تتوافر لهم فيه شروط الحياة وحرية العمل ، وإذا كان لثمرات قرائحهم خطر يهددها بالاجتياح فهو من ناحية أمثال هذه المذاهب الإباحية فقد تسلطت على مدنيات اليونان والرومان وغيرهم فأبادتها وجعلتها أقاصيص .

وإذا كان لا يمكن تقدم مادى بدون حافز شهوانى ، فكيف نشأت المدنية الإسلامية الباهرة فى بيئة كلها أخلاق وآداب وسمو روحانى حتى صارت أساسا للمدنية الأوربية الحاضرة ، وهذه المدنية الحاضرة هل يتوقع علماء الاجتماع تطرق الخراب إليها إلا من تفاقم شر الشهوات فيها ، كما صرح كبار قادتها فى كتب عديدة .

فالإخلاص لأجل أن تكون كاملة ، وحاصلة على جميع مقوماتها الضرورية ، يجب أن تكون شاملة لكل ضروب المعاملات والإنسان لم يطلب منه أن يعامل معايشيه ومواطنيه فحسب ، ولكن يطلب منه أن يعامل من يتصدى لمعاملته من الناس كافة بل ما يعرض له من الكائنات كافة ، فهو قبل أن يدعى لمعاملة مواطنيه دعى لمعاملة نفسه وجسمه ، وما يحيط به من الموجودات ، ولما تعلقت حاجاته بمخالطة الأمم والنظر فى الأجرام السماوية والعناصر الأرضية تبينت له الحاجة إلى نظام عام شامل من الأخلاق والآداب يستهدى به فى كل الضروب من المعاملات التى تدعوه إليها حياته وارتقاؤه .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وقد كفل الإسلام إقامة صرح هذا النظام الخلقي العام على أقوى أساس من العلم والعمل حتى لا يتطرق الوهن إلى بنية جماعته من أية ناحية من النواحي وحتى يصلح شطره المادي لحماية شطره الروحاني ، فلا يكون عرضة في كل دور من أدوار الاجتماع لأفاعيل الانقلابات الفكرية والتطورات النفسية . فقرر للإنسان حيال كل ما يعرض له أخلاقا وآدابا . فما جعله منها مع نفسه أن لا يهينها ولا يعرضها للأمراض النفسانية وأن يعمل على السمو بها إلى أعلى درجات الطهر والنبل ، وما سنه له منها مع عقله أن يغذيه بالمعارف الحقة وأن يوسع من دائرة تجاربه إلى أقصى حد يمكنه الوصول إليه ، وما فرضه عليه منها مع جسده أن يكرمه بالنظافة وأن لا يرهقه في عمل سواء أكان دنيويا أم دينيا ، وأن يلتمس له الصحة من كل مظانها وآفاقها وما أوجبه عليه مع الكون أن يتدبر آياته ، ويكشف عن مساتيره ، ومع بني نوع ملته أن يعتبرهم إخواناً وأن ينصفهم من نفسه وأن يعمل لخيرهم جهده ، ومع بني نوعه أن يحسن إليهم ويبرهم وأن يعدل فيهم حتى لم يستثن من كل ماهداه إليه من أخلاق وما يجب عليه نحو الحيوانات العجم والجامدات الصم .

فهذه المجموعة من الأخلاق يقوم بعضها بعضا ، وهي في ترابطها وتساندها يتألف منها سياج أدبي يسمح للأمة التي تأخذ بها أن تدخل في جميع ضروب التطورات الاجتماعية والأدبية آمنة من الانحلال والتلاشي . وقد دل تاريخ المسلمين على صدق هذا النظر ، فإن المسلمين في جميع أدوار قوتهم لم يعترهم ما اعترى الأمم من التراخي في كيانهم وتراهم في أشد حالات ضعفهم يستعصون على جميع عوامل الانحلال وهذا الأثر قد أدهش علماء الاجتماع فلا مفاتن المدنية ولا غلبة الاستعمار الأجنبي ولا انتشار الجهالة في بعض بيئاتهم بقادرة على أن تحل رابطتهم الاجتماعية أو تعدو على حالاتهم النفسية ، بل تجد أضعف جماعة منهم عظيمة الثقة بالمستقبل قوية الإيمان بصلاحيتها لأن تسترد في يوم من الأيام مجدها الضائع على أكمل وجه .

فهذه القوى المعنوية الضخمة في أشد الحالات الموجبة لليأس هي أثر ذلك السياج الخلقي المتين الذي يرهن في كل عهد من عهود الانقلاب التاريخية على أنه من قوة الاحتمال بحيث تصطدم به أقوى عوامل التحليل فترتد عنه خاسرة .

لا جرم أن الإسلام أقوى بناء اجتماعي عرفه البشر منذ خلق الله العالم إلى اليوم ؟

عباس طه

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ما يقال عن الإسلام

مراجعات إسلامية

للأستاذ عباس محمود العقاد

هذه سلسلة من الكتب المستقلة تصدر باللغة الانجليزية من مطبعة جامعة « أدنبرة » فى موضوعات منوعة من مباحث التاريخ والشريعة ، تشمل فيما تشمله أجزاؤها التى ظهرت حتى الآن والتى ستظهر فى المستقبل القريب أبواباً من الدراسة العلمية عن وجهات الإسلام فى العصر الحاضر وعن الإسلام فى البلاد الإفريقية وراء الصحراء الكبرى ، وعن الإسلام فى الصين ، وعن صفحات التاريخ الإسلامى فى دولة بنى عثمان ودولة المسلمين بالأندلس ، مع الإحاطة بأبواب البحث فى المذاهب الفكرية التى ذهب إليها علماء الإسلام ودعاته ، بين المتصوفة والمتكلمين والمعتزلة والخوارج والظاهرية وغيرهم من أهل السنة والمعتزلة والمشيعة ، فى العصور المتتابعة .

ولا تخفى عناية القائمين على تأليف هذه السلسلة بالتحقيق العلمى والدقة التاريخية ، ولكنها تدل من جديد على الصلة الوثيقة بين سياسة الدولة فى الغرب وبين دراسات العلماء الباحث الإسلامية ، ولو كانت خلوا من مقاصد التبشير ومآرب الاستعمار الظاهرة ، فلا تزال دراسة الإسلام غرضاً من أغراض الدول الكبرى التى تستطيع الإنفاق عليها كلما احتاجت إلى كلفة تقصر عنها مقدرة المؤلفين والناشرين طلاب المنفعة التجارية ، ولا يزال الموضوع من موضوعات الدولة فى الغرب على مقدار اتصالها بالسياسة العالمية فى البلاد الشرقية ، ولكنه قد يختلف بالأسلوب والمنهج مع اختلاف أطوار السياسة من جيل إلى جيل .

جاء فى مقدمة الكتاب الأول من هذه السلسلة : « إن نذر الحرب التى كانت فى سنة ١٩٣٩ وشيكة أن تجر إليها شعوباً آسيوية كثيرة قد نبهت المسئولين فى بريطانيا العظمى فجأة إلى قلة المتخصصين عندنا لدراسة اللغات الآسيوية وثقافاتها ، ومن هنا كان تأليف لجنة « سكاربرو » التى كان لتقريرها أثر فى توسيع نطاق الدراسات الشرقية والإفريقية بعد الحرب العالمية فى بريطانيا العظمى ، وتبين من مجرى الحوادث فى العقد الثالث بعد الحرب العالمية أن أفق الاطلاع الذى لا يزال فى اتساع مع الزمن يكشف لنا عن ضرورة العلم بنصيب من المعرفة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

يزيد على تلك المعرفة السطحية بما وراء الثقافة الأوربية ، وفى مقدمة ذلك ما حدث من ازدهار بلاد كثيرة نحو الاستقلال بالقارة الإفريقية . وبينها أمم إسلامية أو أمم يحكمها رؤساء مسلمون، تدل مواقفها على ازدياد نصيب العالم الإسلامى من العلاقة بالسياسة الدولية ».

فاهتمام السياسيين بالدراسات الإسلامية باق على عهده منذ نشأت هذه الدراسات فى القارة الأوربية قبل بضعة قرون ولكنها تتغير بين جيل وجيل ويجوز لنا أن نعتبر هذا التغير نفسه علامة من علامات الزمن فى تطور السياسة العالمية .

فالعناية بتمحيص البحث العلمى تدل على انقضاء عهد الاستشراق لنشر دعايات التبشير أو الاستعمار بين شعوب البلاد المحكومة على العموم ، ثم تدل على حاجة السياسة المستعمرين إلى فهم الحقيقة عن المسلمين ، لأنهم لا يسيطرون عليهم اليوم بسلطان القوة التى يتساوى فيها حسن الفهم وسوءه عند من يقبض على زمام القوة الحاكمة بيديه وإنما يحاولون النفاذ إليهم عن علم صحيح بما يشعرون به ويفكرون فيه ، ويضيرهم أن يجهلوا الحقيقة على جليتها قبل أن يضير المسلمين ، بما يمس تاريخهم الصحيح أو شعائرهم المعتقدة .

والكتاب الأول من هذه السلسلة مقصور على البحث العلمى فى الفلسفة الإسلامية وما يسميه الأوربيون بعلم اللاهوت عند المسلمين ومؤلفه هو الأستاذ « مونتغومرى وات » مدرس اللغة العربية بجامعة أدنبره ، وله مشاركات كثيرة فى بحوث التاريخ الإسلامى والثقافة الإسلامية غير اللغة وآدابها .

ولا يغيب عن الناظر إلى بحوث الكتاب فرط العناية بتمحيص الوقائع من مصادرها المتنوعة ، فقلما يفوت مؤلفه مصدر من المصادر الشرقية أو الغربية عن علاقة الفلسفة واللاهوت بمذاهب الفرق من قديمها فى صدر الإسلام إلى حديثها فى هذا القرن الرابع عشر للهجرة وقد عرض - بهذا الاطلاع الواسع - لمذاهب المتكلمين والفقهاء والصوفية والمعتزلة والأشاعرة وغيرهم من المجتهدين والمقلدين جهد ما اتسعت له صفحاته المحدودة فى كل جزء من أجزاء السلسلة ، وهى فى هذا الجزء لا تزيد على مائتين ، واقترنت تحقيقاته للمذاهب والفرق بتحقيقات مثلها لآراء المجتهدين والأئمة الفقهاء ، ولا سيما الأئمة الذين تبعتهم فرق حديثة كان لها شأن فى حكومات البلاد الإسلامية ، كابن تيمية وابن قيم الجوزية ، وبعض فقهاء الشيعة والظاهرية .

وقد يدل على منهج الكتاب كله موضوع واحد من موضوعاته عن المعتزلة ، وهم أوفر الفرق الإسلامية حظا من دراسته واجتهاده .

فالاهتمام بالجانب السياسى ظاهر من سؤاله عن العلاقة السياسية بين آراء المعتزلة وقيام الدولة العباسية بعد الدولة الأموية : هل كان للسياسة شأن فى تكوين آراء المعتزلة وتحديد

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

موقفهم بين الدولتين ؟ وما مبلغ هذا الشأن من الأثر فى أحداث السياسة وفى تدوين التاريخ .

إن خلفاء العباسيين كانوا يختارون لمناصب القضاء أناساً من علماء المعتزلة ، وكان لبعض هؤلاء العلماء علاقة بأبى مسلم الخراسانى قبل التنكيل به على أيدى بنى العباس .

ولكن هذه الحظوة على كثرة ظواهرها لا تدل فى رأى المؤلف على اصطباغ مبادئ المعتزلة بصبغة الدعاية العباسية ولا بصبغة الدعاية للفرق المتشيعة ، وكل ما يثبت منها أن الدولة الأموية قد جمعت على مقاومتها كل داع إلى التجديد فى مسائل الدين والمذاهب الفكرية ، وهذه الجامعة الواسعة هى التى قربت فى دولة العباسيين بين دعاة التشيع ودعاة الاعتزال ودعاة الاجتهاد فى الفقه والشريعة ، ولو كان المجتهدون من أئمة السنة الذين لم يتخذوا لهم منهجاً غير منهج الجماعة .

ويصحح المؤلف أخطاء الأوربيين الذين سبق إلى أوهامهم أن المعتزلة هم فلاسفة الإسلام ، عند ما اتصلت بهم جملة أخبارهم فى مطلع القرن التاسع عشر .

ويأبى المؤلف أن يطلق على المعتزلة لقب فلاسفة الإسلام على الخصوص بمعناه الذى يقابل عند الأوربيين لقب « أحرار الفكر » وهو قريب فى مفهومهم من لقب الزندقة .

فالمعتزل لا ينشر مذهبه ليصبغ الإسلام بصبغة الفلسفة اليونانية أو ليسدارى ميوله الفلسفية بصورة من صور الشعائر الإسلامية ، ولكنه - على نقيض ذلك - يدفع بالعقل حجة الفلسفة المنطقية ، ويأخذ السبل على منافذ الطعن فى قواعد الفكر الإسلامى بحجة من حجج المنطق أو الفلسفة ، ولقد يكون المعتزل فى تحرجه من التصرف فى عقيدته على حسب تفكيره أشد محافظة وأصعب مراساً من السنى الذى لم يعتزل الجماعة ، وربما كان خصوم الفلسفة الأجنبية من المعتزلة أكثر عدداً وأمضى سلاحا من خصوم هذه الفلسفة بين المحافظين المتشددين .

وقد كان المعتزلة يحتكمون إلى العقل فى الرد على خصومهم المقلدين كما يحتكمون إليه فى الرد على أشياع الفلسفة الأجنبية ، ولكنهم كانوا دينيين فى تفكيرهم ولم يكونوا فلسفيين متصرفين ، وأكثر ما يبدو ذلك على طبيعة تفكيرهم حين يعرضون لمسألة الصفات ودلالتها على وحدة الذات ، فإنهم عالجوها بالنظرة التقليدية إلى الألفاظ ومعانيها ولم يعالجوها بتفكير الفيلسوف ولا بتصرف الناظر فيما وراء الطبيعة .

ويشك المؤلف فى سبب اطلاق اسم المعتزلة على هذه الطائفة من مفكرى الإسلام فالمشهور أن الإمام حسن البصرى قال عن واصل ابن عطاء : « إنه اعتزلنا » فلصقت كلمة « الاعتزال » بواصل من ذلك الحين ، ولكن المؤلف يذكر قصة كهذه رويت عن قتادة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وعمرو بن عبيد ، ولا يرى وجها لترجيح إحدى الفصتين على الأخرى فربما أطلق وصف الاعتزال على العابد الذى يعتزل الصفوف أو على « المجاهد » الذى يعتزل القتال وينفرد بين الصفين ، وليس من اللازم أن يكون الاعتزال خروجا على عقيدة الجماعة أو اعتزالا لتقاليد الدين .

ويقسم المؤلف جماعة المعتزلة إلى مدرستين كبيرتين تتفرع عليها سائر المدارس الصغيرة فى البلاد الإسلامية :

إحداهما مدرسة بغداد التى تدين بالإمامة لبشر بن المعتمر ، وأشهر ما اشتهرت به فى مسألة القدر والاختيار قولها : بتولد الأعمال للعبد المكلف ومنه على رأى المؤلف يقتبس الأشعريون قولهم بالكسب مع التقدير .

والمدرسة الأخرى - مدرسة البصرة - يقودها أبو الهذيل ويبرز فيها اسم تلميذه النظام ، ويتوارد فى أقوالها بعض مصطلحات الفلسفة اليونانية كالجوهر والعرض وعلاقة الجوهر الفرد بتركيب المادة

وكلتا المدرستين لم يكن لها أثر فيما يسميه المؤلف باللاهوت الإسلامى ، ولم تبق منهما بقية فى غير مجال الدراسة « الأكاديمية » وإنما ظهر من المنسوبين إليهم نخبة من كبار الفقهاء كالقاضى عبد الجبار والزمخشرى وهو خاتمة الفقهاء الكبار فى تاريخ هذه المدرسة التى كان أثرها الأكبر مقصورا على القدرة العلمية فى احتكام المسلم إلى عقله واجتهاده بعلمه ودراسته للخلاص من ربقة التقليد .

وقد توسع مؤلف الكتاب فى شرح تاريخ الخلاف على مسألة خلق القرآن ، وربط بينها وبين مسألة الصفات ومسألة الكلام القديم فى نسبته إلى الله ، ولم يغفل قول القائلين : إن القرآن معرفة الله وإنه قديم أزلى أبدى لأن الله لم يكن ولا يكون بغير معرفة ، ولم يغفل كذلك تفرقة القائلين بالخلق بين كلام الله فى أزليته وكلام الإنسان فيما يلفظه بصفتيه أو يسمعه من المتحدث إليه ، ولم يتخذ له طرفا من الطرفين يجنح إليه أو يميزه برجحان الحجة وصحة التفسير ، ولكنه لزم بين الطرفين خطة الأمانة فى النقل ولم يزد عليها . فإن كان قد زاد من عنده شيئا فهو سرعة الإصغاء إلى الأقاويل التى لا تستحق الرواية إلا لصرفها بما هى أهل له من الإهمال . ومن ذلك نقله ما كان يشاع عن تحدى ابن المقفع لبلاغة القرآن ، وافتراضه أن القائلين بخلق القرآن قد أرادوا بذلك أن يهونوا أمر الاستقلال بالتشريع عنه ، وأن يجعلوا له منزلة دون منزلة القداسة الأبدية التى تقرنه فى القدم بالصفة الإلهية ، فما من مسلم قال بخلق القرآن وهو يدعو بذلك إلى الشك فى كلام الله وأنه مستحق للطاعة كما يستحقها كل كلام يأتى من عند الله .

عباس محمود العقاد

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

التعريف

اختلاف الفقهاء وأسبابه

للأستاذ أحمد فتحي بهنسي

عرض وتلخيص : للأستاذ حسن فتح الباب

تمهيد :

إن الإعلان التاريخي لقيام الدولة العربية المتحدة الذي صدر في السابع عشر من شهر أبريل الماضي هو أول إعلان سياسي ينص على الفلسفة والدين والعلم والأدب والفن ، وهو بهذا النص قد وضع في أيدي المثقفين والمتخصصين في هـــذه المجالات مسئوليات جديدة لم يضعها في أيديهم أي إعلان سياسي سابق .

ذلك أن جميع « البروتوكولات » السياسية المألوفة تنص عادة على الالتزامات السياسية والعسكرية فقط ، لكن إعلان الدولة العربية المتحدة قد أضاف إلى هذه العناصر كلها عناصر روحية جديدة في تقييم السياسة العربية الحديثة .

ويعنينا في هذا المقام أن نشير إلى أحد تلك العناصر التي تحدث عنها « الإعلان » ونعني به الدين ، فقد نص صراحة عليه بوصفه أحد المقومات الأساسية للوحدة العربية :

« إن الشعب العربي الذي يعيش في المنطقة التي نزلت فيها رسالات السماء يؤمن برسالة الدين ويتخذ من القوة الروحية التي تزوده بها الأديان دافعاً للنضال الشعبي لتحقيق ذاته وبلوغ أهدافه ، فيجب أن يثبت في تقديرنا أن الدين مقوم أساسي من المقومات التي يبني عليها المجتمع العربي حياته ومستقبله جنبا إلى جنب مع كل المقومات المادية الأخرى التي يحرص عليها الدين ولا يعارضها » .

والواقع أن هذه العبارة من إعلان الدولة العربية المتحدة تعتبر خطا فاصلا بين تاريخين : خطاً فاصلا بين إخضاع الدين لحساب المستغلين ، وبين اكتساب الجماهير للقوة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

المعنوية يبعثها الدين فى النفوس تجاه الحق الطبيعى لهذه الجماهير فى الحياة والحرية ، وخطأ فاصلا بين بعض المفاهيم الاشتراكية التى ترى فى الأديان مسكنات على احتمال الظلم ، وبين مفهومنا الاشتراكى الذى يرى فى الدين مقدمة حتمية لكل عناصر القوة الدافعة للعدل الاجتماعى .

وليس ثمة شك فى أن هذه العناصر الروحية التى تدخل الآن فى صميم بنائنا السياسى ، وفى مقدمتها الدين ، تحتاج إلى كثير من التوعية ، ولهذا ارتفع الإعلان الوحدوى بالتوعية إلى درجة القيادة حيث قال :

« إن العمل السياسى ليس فقط هو قيادة الجماهير ، بل هو أيضاً تثبيت لدعائم مجتمعنا على أساس من الديمقراطية والاشتراكية التى تنبعث من واقعنا وأصبحت تعبيراً عن مستقبلنا » .

وهذا العمل الطليعى الذى تقتضيه مرحلة « تثبيت دعائم المجتمع » وإرساء مقوماته الجوهرية ، إنما يقوم على كاهل المثقفين المؤمنين المخلصين لمجتمعهم والذين يشكلون بعملهم هذا جيشا للإعلام ، ومن ثم يبرز دورهم كركن من أركان الإعلام السياسى لقيام الدولة العربية المتحدة ، وهو دور يضع فى أيديهم واجبات قيادية وسياسية تستأهل منهم مضاعفة الجهود المبذولة فى توعية الجماهير .

ولقد كانت التوعية عنصراً هاماً من عناصر التطبيق فى « ميثاق العمل الوطنى » الذى أقره مؤتمر القوى الشعبية بالقاهرة فى شهر مايو سنة ١٩٦٢ . وقد ظهرت آثاره واضحة فى « ميثاق العمل القومى » الذى تضمنه إعلان الوحدة .

ومن هذه الجهود الطليعية التى يقوم بها المثقفون فى الدراسات الدينية التوعية بحقائق الشريعة الإسلامية فى ضوء البحوث المقارنة ، تلك المؤلفات التى أصدرها الأستاذ أحمد فتحى بهنسى خلال السنوات القليلة الماضية عن الجريمة والعقوبة فى الإسلام ، وكان آخرها كتاب « نظريات فى الفقه الجنائى الإسلامى » الذى صدر فى الشهر الماضى ، وهو دراسة فقهية مقارنة قصد بها المؤلف أن يجمع شتات نصوص فى كتب الفقه متناثرة متباعدة ، ويصوغها على غرار النظريات التى عرفها رجال القانون والفقه ، حتى يتبين لهم أن بين طيات كتب الشريعة الإسلامية أصول هذه النظريات التى يظن البعض أنها من مستحدثات الفقه الغربى وهى فى واقع الأمر أصيلة فى كتب الفقه الإسلامى القديمة ولكنها خافية على الكثيرين .

وقد تناول المؤلف فى كتابه نظريات

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الشروع ، والاشتراك ، وتعدد الجرائم والعقوبات ، وتفريد العقاب ، والتقادم . واقتضته طبيعة البحث أن يعرض بالشرح والتحليل لأوجه الخلاف بين آراء الفقهاء في مختلف المذاهب الإسلامية حول المسائل والفروع ، هادفا من ذلك إلى التمهيد لوضع قانون جنائي إسلامي من واقع شريعتنا الغراء ، تستمد أحكامه من نصوص القرآن والأحاديث النبوية ومما أجمع عليه المسلمون في كل زمان ومكان ، ومن آراء الفقهاء ، سواء أئمة المذاهب أو غيرهم بما يطابق مصالح الناس في هذا العصر الذي نعيش فيه .

وفي سبيل التعريف بحقيقة هذا الخلاف في الرأي بين الفقهاء قدم المؤلف لكتابه ببحث قيم مستفيض عن هذا الخلاف وأسبابه .

وفي اعتقادنا أن هذه المقدمة - بما تضمنته من بيان واف وتحليل علمي دقيق وما انتهت إليه من رأي راسخ يقوم على أسس من الفهم العميق لأحكام الفقه الجنائي وظروف نشأته وتطوره - تنهض بذاتها عملا صالحا جديراً بالتنويه والنشر على أوسع نطاق وبين مختلف المستويات تطبيقا لما نص عليه الميثاق الوطني والإعلان التاريخي للوحدة من تجنيد المثقفين التوعية برسالة عقيدتنا الإسلامية وما قامت عليه من ركائز متينة ثابتة ، حتى إذا أثمرت حملات الإعلام والتوعية انتقلت الجماهير من مرحلة الإيمان الكامن في النفس إلى مرحلة أكثر تقدما تبث في هذا الإيمان روح الفعالية وتضفي عليه حرارة الدفع الثوري وقوة الإرادة والعمل في سبيل التقدم والثقة في شرف الوسيلة ونجاح الغاية .

على أن هذا الإيمان نفسه مشوب في بعض النفوس برواسب قديمة ناجمة عن الجهالة أو السطحية أو الانحراف ، مما يؤكد أهمية التوعية بحقيقة تراثنا الإسلامي دعما لمقومات مجتمعنا العربي الجديد .

ولقد نشأت تلك الرواسب في ظلام الاستعمار العثماني والأوربي الذي جثم على صدر الوطن العربي طوال خمسة قرون ، وكان نشر هذه الجهالات من الأساليب التي استخدمها المخطط الاستعماري لإحكام قبضته على الأمة العربية .

ولا شك في أن أخطر هذه الجهالات هي تلك الفرية التي ألصقها المضللون بالإسلام زوراً وبهتانا حين استغلوا الخلافات الفرعية في آراء الفقهاء لإيهام العامة أن الدين الإسلامي شيع ومذاهب ، هادفين من ذلك إلى القضاء على وحدة الأمة العربية بتمزيقها وتفتيتها من الداخل من طريق خلق الصراع المذهبي بين أبناء الشريعة الواحدة حتى يقوم بينهم من ألوان التناقض ما يذكي أوار الصراع ويشغلهم عن قضية الحرية والعدالة الاجتماعية والوحدة .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ومن ثم تنبع أهمية بحث هذه الخلافات وبيان مضمونها السليم تصحيحا لما استقر فى بعض الأذهان من خطأ ، وتوحيداً لأبناء الأمة العربية الإسلامية فى فهم عقيدتهم السمحة وفقاً لمنابعها الحقة وأصولها غير المختلف عليها .

حقيقة الخلاف بين الفقهاء

لا ينصرف لفظ الخلاف بين الفقهاء إلى المدلول المعاصر لهذه الكلمة ، ذلك أن الفقهاء لم يكن قد جمعهم مجلس واحد ظهر فيه اختلافهم ، وإنما اختلفوا فى فهمهم للنصوص واستنباط الأحكام منها متأثرين فى ذلك بالعوامل المحيطة بهم .

وقد كان السلف يكرهون لفظ الاختلاف ويقولون إنما ذلك توسعة خوفا أن يفهم أحد من العامة من الاختلاف خلاف المراد وذلك لأن أصل الشريعة وما تقوم عليه ليس محل خلاف بين المسلمين جميعا على تعدد فرقهم . فأصل الشريعة هو الكتاب والسنة بالاتفاق ، والخلاف بين الفقهاء إنما هو خلاف فى أدلة الأحكام ، وهل هى دالة على حكم الله أو غير دالة عليه أو أنها مبينة لما أنزل الله أو ليست مبينة له .

وقد أثرت عن الإمام أبى حنيفة وسفيان الثورى وابن عبد البر والقرافى وغيرهم من الأعلام أقوال كثيرة فى هذا المعنى .

الظروف التاريخية لهذا الخلاف :

لما تفرق الصحابة فى البلاد وصار كل واحد إمام ناحية من النواحى ، جدت وقائع ومسائل لم يعرف أنه ورد عنها أحكام شرعية من قبل فاستفتوا فيها ، فأجاب كل منهم حسب ما حفظه أو استنبطه ، وإن لم يجد فى ذلك ما يصلح للجواب اجتهد برأيه ، وعرف العلة التى أدار رسول الله صلى الله عليه وسلم الحكم عليها فأفتى بحكمه حيثما وجدها لا يألو جهدا فى موافقة قصده عليه الصلاة والسلام . ومن هنا نشأ الخلاف بينهم .

فربما سمع صحابى حكما فى قضية أو فتوى ولم يسمعه الآخر ، فاجتهد فيه برأيه وهذا على وجوه :

أن يقع اجتهاده موافقا للحديث فلا خلاف .

أو يقع مخالفا ثم يعرف الحديث فيرجع عن رأيه ، أو يقع مخالفا للحديث ثم يعرفه ولكنه يطعن فى صحته . أو يقع اجتهاده ولا يصل إليه الحديث عن المسألة أصلا فيصر على اجتهاده ، وهكذا تختلف الآراء .

ثم جاء التابعون وكان صنيعهم أن يتمسك الواحد منهم بالسنة من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم يستدل بأقوال الصحابة . فإذا اختلفت الأحاديث فى مسألة رجعوا إلى أقوال الصحابة ، فإن قالوا بنسخ بعضها أو صرفه عن ظاهره ، أو لم يصرحوا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بذلك ولكن اتفقوا على تركه وعدم القول بموجبه ، فإنه كإبداء علة فيه أو الحكم بنسخه أو تأويله اتبعوهم فى كل ذلك .

ولما جاء تابعو التابعين من طبقات المحدثين أخذوا يتبعون أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام وآثار الصحابة والتابعين والمجتهدين على قواعد أحكموها فى نفوسهم ، وكان عندهم أنه إذا وجد فى المسألة قرآن ناطق فلا يجوز التحول عنه إلى غيره ، وإذا كان القرآن محتملا لوجوه فالسنة توضح المراد . فإذا لم يجدوا الحكم فى كتاب الله ، أخذوا بسنة رسوله ، سواء كان الحديث مستفيضا ودائرا بين الفقهاء أو كان مختصا بأهل بلد أو بطريق خاصة ، وسواء عمل به الصحابة والفقهاء أو لم يعملوا به ، ومتى كان فى المسألة حديث فلا يتبع فى خلافه أثر من الآثار ولا اجتهاد أحد من المجتهدين . فاذا أفرغوا جهدهم فى تتبع الأحاديث ولم يجدوا فى المسألة حديثا أخذوا بأقوال جماعة من الصحابة والتابعين ، ولا يتقيدون بقوم دون قوم ولا بلد دون بلد كما كان يفعل من قبلهم . فإن اتفق جمهور الخلفاء والفقهاء على شىء فهو المتبع ، وإن اختلفوا أخذوا بحديث أعلمهم وأورعهم ، فإن وجدوا شيئا يستوى فيه قولان فهى مسألة ذات قولين . فإن عجزوا عن ذلك تأملوا فى عمومات الكتاب والسنة وإيماءاتها واقتضاءاتها ، وحملوا نظير المسألة عليها فى الجواب إذا كانتا متقاربتين فى المعنى .

كذلك كان أئمة المذاهب يقدمون العمل بالكتاب والسنة ثم بعمل الصحابة المتفق عليه .

أسباب الخلاف :

أولا : اللغـــة :

من المعروف أن اللغة العربية من اللغات الحية بعيدة المعانى والمرامى تشترك فيها الألفاظ والمبانى ، وقد تكون هذه الألفاظ مجازية أو حقيقية ، فضلا عن غرابة بعضها مثل لفظ المزابنة والمحاقلة والمنابذة وما إلى ذلك من الكلمات التى يختلف العلماء فى تفسيرها وتفصيل ذلك :

١ — اشتراك الألفاظ :

قال تعالى : « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا » إلى آخر الآية .

فذهب قوم إلى أن كلمة « أو » هنا للتخيير وذهب آخرون إلى أنها للتفصيل والتعيين ، ومن ثم اختلف الرأى حول العقوبة التى يوقعها الحاكم على قاطع السبيل .

كذلك اختلفوا فى نفى قاطع الطريق ، باختلاف مدلول هذه الكلمة عندهم ، فالنفى فى أحد الآراء هو الإبعاد من بلاد المسلمين إلى بلاد غيرهم ، وفى رأى آخر هو الإخراج

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من مدينة إلى أخرى ، وفى رأى ثالث أنه الحبس ، وفى رأى رابع أنه طلب قاطع الطريق لإقامة الحدود عليه ثم إبعاده .

٢ ــ الحقيقة والمجاز :

قد يكون اللفظ مترددا بين الحقيقة والمجاز فيحمله الفقيه على الأقرب عنده وإن كان المراد هو الآخر ، كما حمل جماعة من الصحابة فى أول الأمر الخيط الأبيض والخيط الأسود على الحقيقة حتى أرشدهم الرسول إلى المعنى المراد .

٣ ــ الإفراد والتركيب أو الإجمال والتفصيل :

قد يكون النص كافيا بمفرده على وجوب الحكم ، وقد يرد غير مستوف للغرض منه ويرد تمامه فى آية أخرى . كذلك قد ترد الآية بجملة ثم يفسرها الحديث .

ووجه الخلاف العارض من هذا النوع أنه ربما أخذ بعض الفقهاء بمفرد الآية أو الحديث واستخدام آخر طريق القياس بالجمع بين الآيات المتفرقة وبين الأحاديث المتغايرة وبناء بعضها على بعض ، الأمر الذى يفضى إلى الاختلاف فيما يستنبط من أحكام . ومثال ذلك الاختلاف فى سبب تحريم الخمر .

٤ ــ العام والخاص :

ورد حد السارق والسارقة بقطع اليد عاما فى القرآن لم يقيد بقيد ، وقد تولى رسول الله فى أحاديثه المختلفة تفصيل هذا الحكم ، كبيان المراد بقطع اليد ونصاب القطع والإعفاء منه .

كذلك كان المعنى اللغوى للفظ الخمر مثاراً لتفرق الفقهاء إلى مدرستين ، هما مدرسة أهل الحجاز التى تسمى الأنبذة بأجمعها خمراً ، وتقول : إن الأنبذة المسكرة محرمة كثيرها وقليلها ، وتذهب مدرسة أهل العراق إلى أن المحرم من غير الخمر هو المسكر فقط ، وذلك لأن المدرسة الأولى تقول إن الخمر سميت كذلك لمخامرتها العقل فوجب أن ينصرف اسم الخمر على كل ما خامر العقل ، أما أصحاب المدرسة الثانية فيقولون : إن الخمر ـ لغة ـ اسم للنيء من ماء العنب المسكر وتسمية غيرها خمراً مجاز ، وإنها سميت خمراً لا لمخامرتها العقل بل لتخمرها .

ثانياً : رواية الحديث :

إن الحديث المأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه والتابعين لم تعرض له علل مختلفة تضعفه وتجعله موضعاً للخلاف بين الفقهاء ، ويوضح ذلك كله علم علم مصطلح الحديث الذى يبحث عن تقسيم الخبر إلى صحيح وحسن وضعيف وتقسيم كل من هذه الثلاثة إلى أنواع ، وبيان الشروط المطلوبة فى الراوى والمروى وما يدخل الأخبار من علل واضطراب وشذوذ إلى غير ذلك .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وأم تلك العلل عدم اعتقاد الفقيه أن النبي صلى عليه وسلم قال الحديث ، أو عدم اعتقاده إرادة تلك المسألة بذلك القول ، أو اعتقاده أن ذلك الحكم منسوخ .

ومن هذه العلل تتفرع الأسباب الآتية :

١ — فساد الإسناد أى نسبة الحديث إلى قائله :

٢ — نقل الحديث بمعناه دون لفظه .

٣ — الجهل بالإعراب ومبانى كلام العرب ومجازاتها مما يؤدى إلى الخلاف فى المعنى .

٤ — التصحيف أى الخطأ والتحريف .

٥ — إسقاط شىء من الحديث لا يتم المعنى إلا به .

٦ — نقل الحديث دون السبب الموجب له فيعرض من ذلك إشكال فى الحديث أو معارضته لحديث آخر .

٧ — سماع المحدث بعض الحديث دون بعض .

٨ — عدم بلوغ بعض الأحاديث إلى علماء التابعين ممن وكل إليهم الفتوى ، فاجتهدوا بآرائهم واتبعوا العمومات واقتدوا بمن قضى من الصحابة ، فأفتوا حسب ذلك ، ثم ظهرت الاحاديث بعد ذلك فى الطبقة الثالثة فلم يعلموا بها ظنا منهم أنها تخالف عمل أهل مدينتهم . ذلك لأن الإحاطة الكاملة بجميع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تكن لأحد بمفرده من الصحابة أو الأئمة من بعدهم ، فقد كان يحدث أو يقضى أو يفعل الشىء فيسمعه أو يراه من يكون حاضراً ثم يبلغه أولئك الحضور أو بعضهم إلى غيرهم .

٩ — ما يراه الجمهور من أن السنة متى صحت كانت صالحة لأن تكون بيانا للكتاب — سواء فى ذلك المتواتر منها والمشهور والصحيح ، فى حين يرى آخرون أن المشهور لا يعدو أن يكون خبر آحاد لا يفيد إلا الظن ، فلا يصح أن يكون حاكما على ما يفيد القطع وهو الكتاب . ويظهر هذا الاختلاف فيما ذهب إليه الفقهاء من آراء متباينة فى عقوبة جريمة الزنا للمحصن وغير المحصن .

١٠ — اعتقاد الفقيه ضعف الحديث باجتهاد قد خالفه فيه غيره مع قطع النظر عن طريق آخر سواء كان الصواب معه أو مع غيره أو معهما عند من يقول كل مجتهد مصيب .

١١ — اشتراط الفقيه فى خبر الواحد العدل الحافظ شروطاً يخالفه فيها غيره ، مثل اشتراط بعضهم عرض الحديث على الكتاب والسنة ، واشتراط بعضهم أن يكون المحدث فقيها إذا خالف قياس الأصول ، واشتراط البعض الآخر انتشار الحديث وظهوره إذا كان فيما تعم فيه البلوى .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

١٢ ــ أن يكون الحديث قد بلغ الفقيه وثبت عنده ولكنه نسيه . ومثال هذا الحديث المشهور عن عمر رضى الله عنه أنه سئل عن الرجل يجنب فى السفر فلا يجد الماء فقال : « لا يصلى حتى يجد الماء . فقال له عمار : يا أمير المؤمنين أما تذكر إذ كنت أنا وأنت فى الإبل فاجنبنا فأما أنا فتمرغت كما تمرغ الدابة ، وأما أنت فلم تصل ، فذكرت ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال : إنما يكفيك هكذا ، وضرب بيديه الأرض فمسح بهما وجهه وكفيه . فقال له عمر : اتق الله يا عمار ، فقال : إن شئت لم أحدث به . فقال : بل نوليك من ذلك ما توليت » . فهذه سنة شهدها عمر ثم نسيها حتى أفتى بخلافها ، وذكره عمار فلم يذكر وهو لم يكذب عمار بل أباح له أن يحدث به .

١٣ ــ معارضة الحديث بما يدل على ضعفه أو نسخه أو تأويله بما لا يعتقد غيره أو جنسه معارضاً أو لا يكون فى الحقيقة معارضاً راجحا كمعارضة كثير من الكوفيين الحديث الصحيح بظاهر القرآن واعتقادهم أن ظاهر القرآن من العموم ونحوه مقدم على نص الحديث .

ثالثاً : تغيير الزمن واختلاف البيئة :

جاء فى رسالة ابن القيم الجوزية بصدد الكلام فى تغير الفتوى واختلافها بحسب تغير الأمكنة والأزمنة والأحوال والنيات والعوائد :

« إن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد فى المعاش وهى عدل كلها ، ورحمة كلها ، ومصالح كلها ، وحكمة كلها . فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور ، وعن الرحمة إلى ضدها ، وعن المصلحة إلى المفسدة ، وعن الحكمة إلى العبث ، فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل . فالشريعة عدل الله بين عباده ، ورحمته بين خلقه ، وظله فى أرضه ، وحكمته الدالة عليه وعلى صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم أتم دلالة وأصدقها » .

ومن أشهر المقولات فى اختلاف آراء الفقهاء باختلاف الزمن والبيئة رسالة الإمام الليث بن سعد فقيه مصر وعالمها إلى الإمام مالك إمام دار الهجرة حين كتب إليه بما بلغه من فتواه من بعض المسائل بما يخالف ما عليه العمل بالمدينة المنورة .

ومن ذلك أيضاً أن عمر بن عبد العزيز كان يقضى وهو بالمدينة بشهادة الشاهد الواحد ويمين صاحب الحق ، فلما صار إلى الشام نراه يقول : إنا كنا نقضى بذلك بالمدينة فوجدنا أهل الشام على غير ذلك ، فلا نقضى إلا بشهادة رجلين عدلين أو رجل وامرأتين .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

تحريم اتخاذ الخلاف ذريعة للاحتيال على الشرع :

يحرم أن يتخذ الخلاف بين الفقهاء أساسا لحيل يحتال بها الإنسان على الشرع حتى ينجو من العقاب .

ومن هذه الحيل الباطلة التي فتحت الباب للسراق واللصوص والتي لو صحت لم تقطع يد سارق أبدا : أن ينقب لص السطح ولا يدخل ثم يدخل شريكه فيخرج الثاني المتاع من السطح ، ومنها أن يدعي السارق أن المسروق ملكه ، أو يدعي أن رب الدار أدخله داره وفتح له الباب ، فيسقط عنه حد قطع اليد وإن كذبه ، إلى أمثال ذلك من الأقوال التي حقيقتها أنه لا يجب القطع على سارق البتة . مما دعا ابن القيم إلى أن يقول :

« فكل هذه حيل باطلة لا تسقط القطع ، ولا تثير أدنى شبهة . ومحال أن تأتي شريعة بإسقاط عقوبة هذه الجريمة ، فإن الشرائع مبنية على مصالح العباد ، وفي هذه الحيل أعظم الفساد » .

ويرى مخالفو ابن القيم أن هذه الأمور قد توجد شبهة في الحد ، والقاعدة العامة أن الحدود تدرأ بالشبهات .

وكان هذا داعيا البعض ، ومنهم ابن حزم ، إلى أن يطعن في صحة حديث « اختلاف أمتي رحمة » . ويقول : وهذا من أفسد قول يكون ، لأنه لو كان الاختلاف رحمة لكان الاتفاق سخطا ، وهذا ما لا يقوله مسلم ، لأنه ليس إلا اتفاق أو اختلاف ، وليس إلا رحمة أو سخط .

كما قال ابن حزم : إن معنى الخطأ الوارد في حديث : « إذا اجتهد الحاكم وأخطأ فله أجر ، وإن أصاب فله أجران » . أن المراد بالخطأ هنا هو خطأ المجتهد في عدم مصادفة الدليل في تلك المسألة لا الخطأ الذي يخرج به عن الشريعة فلا أجر له لقوله صلى الله عليه وسلم : « كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد » .

وقد دخل هرون الرشيد على الإمام مالك رضي الله عنه فقال له : دعني أبا عبد الله أفرق هذه الكتب التي ألفتها وأنشرها في بلاد الإسلام وأحمل عليها الأمة . فقال له : يا أمير المؤمنين إن اختلاف العلماء رحمة من الله على هذه الأمة ، فكل يتبع ما صح دليله عنده وكل على هدى ، وكل يريد الله .

وكان الإمام مالك يقول : كثيرا ماشاورني هرون الرشيد أن يعلق كتاب الموطأ في الكعبة ويحمل الناس على ما فيه . فقلت له : لا تفعل لأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلفوا في الفروع وتفرقوا في البلاد وكل مصيب فقال : زادك الله توفيقا يا أبا عبد الله .

(البقية على صفحة ٣٨٤)

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فى رسالة مكتوبة وجهها إلى الحزب الأندونيسى بمناسبة اجتماعه السنوى السادس والثلاثين أنه بنى مفهومه للماركسية على أساس علمه بظروف أندونيسيا التى تتفق والماركسية ومضى يقول : إنه لمن المؤكد أنى تأثرت فى هذا بالنظرية الماركسية ، وفضلا عن ذلك أحب أن أقر نظرية كارل ماركس عن المادية التاريخية ، وقد وفقت بين هـــذه النظرية وأحوال المجتمع الأندونيسى ووصلت إلى مذهب الماركسية » .

وهكذا فى جلاء ووضوح يؤكد الرئيس الأندونيسى المسلم إيمانه بالماركسية ، وهكذا يؤدى فريضة الشكر للإسلام والمسلمين فى أندونيسيا .

والمعروف بدهيا أن الماركسية كل لا يتجزأ يقوم على قاعدة إنكار الدين ، بل ومحاربته باعتباره فى نظر الماركسيين ـ أفيون الشعوب .

الأستاذ يوسف العشال

من مقال بمجلة الاعتصام

(بقية المنشور على صفحة ٣٧٠)

هل يجوز الانتقال من مذهب إلى مذهب آخر ؟ :

يتبين من دراسة أحوال هذا الانتقال التى فصلها الإمام جلال الدين السيوطى أن المسألة تتعلق بالنية ، فمن حسنت نيته كان له أن ينتقل من مذهب إلى آخر .

* * *

ويخلص المؤلف من هذا البحث الضافى إلى الدعوة إلى تقنين تشريع جنائى إسلامى نأخذ فيه بالأصول العامة للشريعة وبآراء الفقهاء التى تناسب عصرنا من مختلف المذاهب الإسلاميـــة . وليست هذه الدعوه بدعة فى الرأى فقديما نقل الجلال السيوطى رحمه الله عن جماعة كثيرة من العلماء أنهم كانوا يفتون الناس بالمذاهب الأربعة لا سيما من لا يتقيدون بمذهب ، ولا يعرفون قواعده ، ولا نصوصه .

وما أحوجنـــا إلى اقتباس ذلك الرأى فى هذا الزمان .

والقصد من هذه الدعوة هو التيسير على الناس بالأخذ بالقول الذى يناسب العصر فى المسائل والفروع من أى مذهب كان .

ويؤكد المؤلف فى ختام بحثه :

أن الخلاف بين الأئمة والفقهاء فى الرأى وفقا لما تقدم من شواهد وأسانيد ـ أمر تقتضيه طبيعة الأشياء ، فهو ليس اختلافا فى الأصول ، بل هو تفاوت فى فهم نصوص الفروع .

فنحن اليوم إذا أخذنا ما يناسب العصر الذى نعيش فيه من آراء هؤلاء الفقهاء كنا فى نطاق الشريعة السمحة . »

رئيس محمد فتح الباب

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أنباء وآراء

اللجنة الدينية السلفية :

بحمد الله وتوفيقه تم فى الاجتماع العام الذى عقد فى كلية أصول الدين بتاريخ ١١ من ربيع الأول سنة ١٣٨٣ هـ الموافق أول أغسطس سنة ١٩٦٣ م تأليف لجنة تسمى اللجنة الدينية السلفية وهى على استعداد لتقبل جميع المسائل المتعلقة بالشئون الإسلامية لبحثها والرد عليها بما يتفق وأصول الدين الإسلامى الحنيف.

كما أنها على أتم استعداد لعقد صلات الإخاء الإسلامى مع جميع الهيئات والأفراد الذين يهمهم أمر الإسلام ونشر هديه القويم. أما شعار هذه الجمعية فهو قوله تعالى:

« إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقى إلا بالله ... ».

كلية أصول الدين

بيان حول إنشاء بنك لبن الأمهات :

اجتمعت اللجنة الدينية السلفية بكلية أصول الدين لبحث حكم الشريعة الإسلامية فيما أثير حول إنشاء بنك الأمهات بحيث يجمع فيه لبن الآدميات بعد تجفيفه وتحويله بطرق علمية إلى مسحوق أو قوالب بجمدة. وبعد أن استعرضت أقوال الأئمة والفقهاء والمجتهدين التى تتصل بالرضاعة ولبنها استخلصت منها أن المشرعين الإسلاميين الأوائل قد أجمعوا على أن وصول اللبن إلى محل التغذية ناشر للحرمة كالنسب. وقد نقل هذا الإجماع الإمام « ابن عرفة ».

وقد شذ عن هـذا الإجماع الإمام « ابن حزم » الذى جعل مص الثدى شرطا فى الحرمة ولا معول على رأى ابن حزم هذا فى تشريع أو إفتاء بعد أن ثبت مخالفته للإجماع. وعلى أى حال فإنه مما لا شك فيه أن جمهرة العلماء: السابقين منهم واللاحقين يخالفون ابن حزم فى رأيه ومن أجل ذلك كان مشروع إنشاء البنك المذكور لتغذية أطفال الأمهات العاجزات عن الرضاعة الطبيعية أو الأطفال الذين حرموا لبن أمهاتهم بحكم ظروفهن الخاصة ناشراً للحرمة وغير متفق مع الأوضاع الدينية إذ أن من المؤكد أن فيه تشكيكا لكل مؤمن من حيث الزواج بل وصرفا عنه إذا أراد أن يحتاط لدينه ولإسلامه.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

هذا فضلا عما فيه من امتهان لآدمية الأمومة وإنسانيتها إذ يجعلها تستغل كما تستغل البهيمة لإدرار اللبن .

ثم إن إنشاء هذا البنك بدعة لا ضرورة تستوجبها بعد أن أصبح للأطفال غنية فى الألبان المجففة التى تحمل معظم خصائص لبن الأمهات .

فليس هناك إذن ضرورة حتمية تقتضى إنشاء هذا البنك ، وبذا أصبحت الدعوة إلى إقامته دعوة لا هدف لها إلا الإثارة والتشكيك .

واللجنة تهيب بالمواطنين ألا يخدعوا بفتاوى الذين يتبعون الأقوال المريضة أو الأحكام الشاذة حتى يكونوا على بينة من أحكام الدين الصحيحة

والذى حدا باللجنة إلى إصدار هذا البيان أن الشارع الحكيم أحاط العلاقة الزوجية بسياج من العناية والحفاظ عليها ، فالإقدام على انتهاكها والخروج بها عن وضعها بالتشكيك فيها إقدام على انتهاك حرمة الدين ، وتعد لحدود الله « تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون » .

وفق الله العاملين لما فيه صلاح الأمة الإسلامية والله المعين وهو الهادى إلى سواء السبيل .

عن اللجنة : الدكتور عبد الحليم محمود

تعليقات :

١ — النبى صلى الله عليه وسلم أمى لا يقرأ ولا يكتب وأميته هى أساس معجزته وعظمته .

جاء بجريدة الأخبار مقال بتاريخ ٢٢ مايو سنة ١٩٦٣ للأستاذ العقاد تحت عنوان « قنبلة على تل » ألقاها العالم الأثرى هنرى فرعون اللبنانى فى الدوائر الإسلامية ببيروت عند ما أعلن أن لديه وثيقة مكتوبة بخط النبى عليه الصلاة والسلام وقد صرح الدكتور عبد الحفيظ القاضى من كبار رجال الدين الإسلامى بأن المسلمين يعرفون أن سيدنا محمداً عليه الصلاة والسلام كان أمياً وكان يستخدم خاتما بدل التوقيع . فيشك فى هذه الوثيقة . وإذا ثبت أنها صحيحة فسوف تكون بدون شك أكبر اكتشاف دينى أدبى فى التاريخ . والأخبار تقول : إن الوثيقة تحمل دليل كذبها فالخطاب مرسل من النبى عليه الصلاة والسلام إلى الملك الفارسى قورش وهذا الملك كان قبل النبى عليه الصلاة والسلام بزمن طويل . وإذا كان الدكتور يشك فنحن نجزم بأن الخبر كاذب قطعا إذ هو صادر أولا من خبر آحادى . فالخبر إذا لا يحتاج إلى الاهتمام فأمية النبى عليه الصلاة والسلام أثبت من الجبال إذ هى على

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أساس الخبر القطعى قال تعالى : « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون » والمسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها وفى مقدمتهم المفسرون والمؤرخون يعرفون أن النبى عليه الصلاة والسلام أمى أى أنه لا يقرأ ولا يكتب ولفظة الأمى نسبة إلى الأم لأنها كانت عند العرب لا تعرف القراءة ولا الكتابة فنسب إليها دون الرجل . وإما أن هذه اللفظة نسبة إلى الأمم فابتكار يدل على سعة الاطلاع ويشكر عليه صاحبه ولا غرابة فهو نسيج وحده وهو يريد الدفاع .

٢ ــ كتب الأستاذ منصور وجب فى مجلة منبر الإسلام مقالا فى ترجمة صهيب واعتبرها حديثا واعتمد على المصدر الذى نقل منه وهى السباق أربعة وعد منهم صهيبا ، فنبه المناوى عليه بأنه حديث باطل فهل أستاذ الكلية يتفضل بتصحيحه على طريقة علماء الجرح والتعديل ، والأولى بأمثاله أن يكون محققا فى مجلة دينية تعتبر حجة لأن على رأسها وزيراً عالما وله ضلع فى الفلسفة والاجتماع. وكتب أيضا الأستاذ محمد سلام جملة من كلام المتصوفة وجعلها حديثا وهى « من عرف نفسه عرف ربه » ، والدكتور طبانة كتب فى كتابه البيان جملة اعتبرها حديثا وهى « أنا أفصح من نطق بالضاد » وهذه ليست بحديث وذكر حديثا آخر فى حق معاوية الحساب ، فنى أى مصدر رأى هذا الحديث وهو « اللهم فقهه وعلمه وهؤلاء الأعلام يتساهلون فى الحديث ويذيعونه وفى إمكانهم التصحيح ومراجعة المظان ولكنهم يتابعون غيرهم ممن ليس لهم دراية بهذا الفن ولا يعزب عنهم حديث « من روى عنى حديثا يرى بأنه كذب فليتبوأ مقعده من النار » فالأمر ليس بهين فتنبهوا ؟

سيد على الطوبجى

اقتراح حول كتابة المصحف :

السيد الأستاذ الفاضل رئيس تحرير مجلة الأزهر .

تحية طيبة مباركة ـ وبعد ـ فقد قرأت فى مجلة العربى بالعدد ٥٦ الصادر فى يوليو سنة ١٩٦٣ فى باب (أنت تسأل ونحن نجيب) كلمة من السيد/ على صالح إبراهيم ـ بالكويت تحت عنوان : أولادنا الحائرون بين قواعد الإملاء وشاشة التليفزيون .

جاء فيها : إن التليفزيون يستهل برامجه اليومية بتلاوة بعض آيات الذكر الحكيم . ولكن هذه الآيات تظهر على الشاشة أثناء تلاوتها مكتوبة على صورة غير مألوفة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

للشاهدين وبخاصة أولئك الصغار الذين يتلقون العلم فى مراحله الأولى : ابتدائية أو متوسطة أو ثانوية ؛ لأنها فضلا عن رسمها بطريقة تخالف نطقها كما يسمعونه فى (المكرفون) تتناقض أيضاً مع ما تلقوه فى مدارسهم من قواعد الإملاء والإعراب . ويسأل لماذا لا تعمل محطة التليفزيون على كتابة ما تذيع من آيات الله البينات ، بالصورة التى تتفق مع قواعد الإملاء الصحيحة حتى لا تتبلبل أذهان هذه الآلاف المؤلفة من الصغار ويقعوا فى حيرة لا تقوى عقولهم الغضة على مقاومة ما تخلفه من الآثار .

ولقد جاء فى تعقيب (مجلة العربى) على هذه الشكوى قولها : ليست هذه المشكلة بنت اليوم ولا هى بالشىء الجديد . وليس للتليفزيون يد فيها من قريب أو من بعيد .. فكل مافعله التليفزيون هو أنه نقل على شاشته ما يتلى من آى القرآن برسمه المثبت فى (المصحف الإمام) مصحف عثمان ، ففتح على هذه المشكلة القديمة عيونا كانت عنها غافلة منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا من الزمان فهى قبل أن تواجه طلبة المدارس فى هذا العصر على شاشة التليفزيون قد واجهت كل من كان يرغب فى تلاوة القرآن فى المصاحف ، فإذا به يصطدم بمئات من الكلمات قد كتبت بصورة يعجز معها عن قراءتها على وجهها الصحيح فيلحن فيها تارة ، ويتجاوزها إلى غيرها تارة أخرى وقد تملكته نفس الحيرة التى تتملك الآلاف من طلبة المدارس أمام شاشة التليفزيون هذه الأيام . فكيف يستطيع من تلقى أبسط مبادىء الهجاء والإملاء أن يقرأ (الصرط) المستقيم أو (الضلل) المبين أو (الشيطن) الرجيم ، أو (الصـــلوة) أو (الزكوة) (الربوا) (والظلمت) و (الصوعق) . وغيرها من هذه الكلمات التى تعد فى المصحف بالمئات .

ثم جاء فى تعقيب (المجلة) أيضا : ولقد تلقينا من الأستاذ محمد أحمد السنباطى رئيس قسم فحص المصاحف بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر تعقيبا على الموضـــوع ، وأرفق برسالته نص قرار لجنة الفتوى بالأزهر فى هذا الشأن .

ولقد أورد فى هذا التعقيب من الآراء السديدة المدعمة بالحجج ما أيد به الإبقاء على الكتابة بالرسم العثمانى ولكن محرر مجلة العربى لم يلتفت للحجج المدعمة التى ساقها الأستاذ السنباطى كما أخبر سيادته المجلة بذلك ، تلك الحجج التى أيدها قرار لجنة الفتوى بالأزهر وهى هيئة مسئولة وذات اختصاص بهذا ، وكتب محرر العربى يقول : ـ إننا مع احترامنا لرأى لجنة الفتوى بالأزهر ـ فنعتقد فى نزاهة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وإخلاص وصدق إيمان أن كتابة القرآن وفق قواعد الإملاء لا تمس قداسته وليس فيها خروج على إجماع الأمة بل هى على العكس تيسر قراءته وتزيد المسلمين إقبالا عليه وتفهما له . ولذا نطالب محطات التليفزيون بالإسراع فى اتخاذ هذه الخطوة بكتابة ما يتلى من كتاب الله على الشاشة وفق قواعد الإملاء منعاً لبلبلة الأذهان دون مبرر مشروع .

السيد رئيس التحرير :

بعد قراءتى لما تقدم ونظراً لما لهذه المشكلة من مساس بإجماع المسلمين وأبناء المسلمين وما فيها من وضع حساس جداً حول (كتاب الله الكريم) ونشر اختلاف وجهات النظر حول هذا الموضوع فى مجلة كبيرة متداولة فى بلدان عربية كثيرة وما يجلب هذا من بلبلة للخواطر والأفكار.

لذا بادرت بكتابة هذا لسيادتكم متقدما باقتراح مواطن مسلم دفعته الغيرة لدين الله ورائدى التقدم به ابتغاء مرضاة الله وصالح المسلمين — وأعتقد أن الأخذ بهذا الاقتراح بعد عرضه ودراسته من المختصين — يقر رأى إدارة الفتوى الموقرة ، فى عدم المساس بأى تعديل فى رسم حروف « كتاب الله الكريم » والذى نؤيده من كل قلوبنا ونشكرها عليه — وكذا يحقق الغاية التى يرنو إليها أبناء المسلمين فى الشكوى المشار إليها دون أى مساس بكتاب الله الكريم ويقطع الطريق على ما يلوح فى هذه المشكلة من بلبلة الخواطر والأفكار .

والاقتراح هو :

أن يصرح المسئولون بوضع علامة أو رقم صغير فوق كل كلمة من الكلمات المغاير رسمها المألوف لقواعد الإملاء ثم يأتى فى نهاية الصفحة أو بالهامش بالرسم الإملائى الحالى لها وأن يشار إلى ذلك فى الصفحات الأولى من التعريف بالعلامات .

وأعتقد أن فى هذا تيسيراً للقراءة ونكون بهذا قد حققنا الرغبتين وحللنا المشكلة ، والله الموفق لما فيه الخير والرشاد .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

محمد صادق إبراهيم

رد على التعليق على مقال الإسلام فى زنجبار :

نشرت المجلة فى عدد ربيع الأول من هذه السنة ملاحظات للسيد رئيس جمعية نشر الثقافة الإسلامية بزنجبار على المقال المذكور لا يهمنى منها ما يتصل بالوقائع والأخبار المجردة ، فقد أخذتها عن مصادر هى كغيرها يجوز عليها الخطأ الذى لا حرج فى قبول تصحيحه إذا تحقق .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والذى يهمنى هو كلام سيادته فى تقويم الناحية العلمية والدينية والاجتماعية فى بعض الصور التى وردت فى المقال ، والتى لا ينبغى أن تنفصل عن الصور الأخرى التى سلم بها فى هذه الناحية ، وهو رأى لسيادته دفعت إليه دوافع كريمة لا يلام عليها أى مواطن ولكن - مع تقديرنا لمثل هذه الآراء - لا يجوز أبداً أن نسقط من الحساب ما ورد فى تقارير الخبراء الذين نثق فى كفايتهم ودقة تقديرهم ، وإن كنا نود أن يكون التقدم فى الأيام القليلة الماضية كفيلا بتغيير ملامح الصورة التى رسمتها هذه التقارير ، والتى لا ينبغى من ورائها إلا لفت النظر للتعاون على إصلاحها ، شأن كل نقص فى أى بلد إسلامى يربطنا به رباط روحى وثيق .

وإذا كنا هنا فى مصر بلد الأزهر الذى يخرج كل عام مئات من العلماء الأجلاء ، والذى يحج إليه مئات وآلاف من طلاب الثقافة الإسلامية فى العالم كله ، لا نطمئن فى إسناد مهمة الدعوة إلا للنخبة المختارة من هؤلاء العلماء الذين أمضوا سنوات طويلة فى البحث والدرس ، واجتازوا بعد ذلك امتحانات قاسية لتقدير الناحية العلمية والخلقية وذلك لسد الطريق على من يندسون بين صفوف الدعاة من أنصاف المتعلمين المتجرين باسم الدين .

وإذا كنا هنا لا نألوا جهدا فى شن الحملات الواسعة للقضاء على العادات القديمة الباطلة ، والرواسب الأخلاقية والاجتماعية المتخلفة عن عهود الظلم والتخلف - إذا كان الأمر كذلك هنا ، فماذا يكون الأمر فى بلاد أخرى ليس لها من الإمكانيات العلمية والفنية ما يؤهلها للاضطلاع بمهمة الإصلاح الدينى والاجتماعى ، تلك المهمة التى تحتاج إلى ثقافة أصيلة ، وفهم واع ، وخبرة فنية واسعة ، وذلك لإظهار الإسلام بصورته المشرقة الوضاءة وإعادته البناءة ، لنقضى على مفتريات المستعمرين والمبشرين .

هذا - وأحب من السيد كاتب الملاحظات أن يعاونى على التعرف على أحوال البلاد الإسلامية ، فيوافينى ببيان واضح عن جمعية نشر الثقافة الإسلامية بزنجبار وصلتها بجمعية الإسماعيليين فى شرقى إفريقيا ، وعن نشاطها الدينى والثقافى ، وأشهر أعضائها ومؤهلاتهم العلمية ومراكزهم الاجتماعية ، وكذلك عن كل جمعية ومنظمة إسلامية تسهم فى النشاط الدينى والاجتماعى .

وفى انتظار رد سيادته أرجو لإخواننا فى زنجبار ، والعالم الإسلامى حياة طيبة ومستقبلا سعيداً ، بفضل جهود العلماء المبرزين والقادة المخلصين .

عطية صقر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فتاوى مختارة ..

باب يقدمه:
ابراهيم محمد الأصيل
(الإجابة للجنة الفتوى بالأزهر)

حكم إخراج الزكاة خارج البلد واستعمال الحرير الصناعي في الإحرام وغيره

السؤال :

١ — عزمت بمشيئة الله تعالى على أداء فريضة الحج هذا العام ، واليوم الذي سأقف فيه بعرفات يوافق اليوم الذي أخرج فيه زكاة مالي فهل يجوز في هذه الحالة إخراج الزكاة بعرفة . أم أخرجها كالمتبع في بلدتي ، بعد عودتي من الحج أو قبله بواسطة شخص أمين ، وهل هذا الشخص يكون مسئولا أمام الله ؟ .

٢ — هل يجوز الإحرام بملابس من حرير صناعي أو استعمالها في الفرش والزينة ؟ .

الجواب :

يجوز صرف زكاة المال إلى فقراء المسلمين في أية جهة كانوا ، والأفضل أن يصرفها المزكي إلى فقراء مكان المال الذي وجبت فيه الزكاة ، ولا ينقلها إلى بلد آخر إلا إذا كان في البلد الآخر قريب له محتاج يجوز دفع الزكاة إليه ، أو كان فقير البلد الآخر أحوج .

وكما يجوز للمزكي أن يصرفها بنفسه يجوز أن يوكل عنه غيره في ذلك .

أما الحرير الصناعي فليس مما حرم لبسه على الرجال من الحرير ، فيجوز استعماله للمحرم وغيره بأي وجه من وجوه الاستعمال في اللباس والفرش وغيرهما .

تحرير عقود الرهن بفائدة وإضافة مبلغ آخر على المبلغ الأصلي كأتعاب واقتسام المبلغ الأصلي مع من حدد له

السؤال :

١ — أشتغل وكيل قضايا ومن أعمالي تحرير عقود رهن بفائدة ، فهل يحرم عليّ تحرير مثل هذه العقود من الوجهة الدينية ؟ .

٢ — يكلفني البعض بعمل ولا يدفع

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

لى الأجر المستحق كاملا أو لا يدفعه أصلا ارتكانا على الصداقة فأضطر إزاء هذا لإضافة مبلغ على الرسوم الحقيقية وأحتفظ بالفرق مقابل أتعابى فهل يحرم علىّ هذا ؟

٣ — يكلفنى أحدهم بإنابة محام عنه بمعرفتى وتحت إشرافى وملاحظتى وأقوم من جانبى بجميع الأعمال الكتابية التى تتطلبها القضية وأقتسم المبلغ الذى آخذه بينى وبين المحامى فما حكم هذا ؟

ح . ا . باسكندرية

الجواب :

يحرم على الشخص أن يكتب عقداً فيه ربا ويدخل فى ذلك عقود الرهن بفائدة ، فقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لعن آكل الربا ومؤكله وشاهديه وكاتبه .

وعن الثانى بأن أخذ المال على أنه من الرسم فى حين أن الرسم أقل مما يؤخذ حرام لأنه من التدليس والغش .

وعن الثالث بأنه إذا كان يأخذ المال على أنه أجرة للمحامى فقط فى حين أن ما يدفعه أقل من ذلك فهو أيضاً من الغش المحرم ، بخلاف ذلك .

حكم صلاة الجمعة فى غير مسجد

السؤال :

فى بلدتنا منزل خصص كضيفة وأحيانا كخلوة لقراءة القرآن — فهل يصح أن تصلى فى هذا المنزل صلاة الجمعة مع ملاحظة أن مذهبنا مالكى — هذا وأقرب مسجد لنا يبعد عنا نحو كيلو مترين ؟ .

الجواب :

مذهب الإمام مالك أنه لا تصح صلاة الجمعة فى هذا المكان الذى لم يكن مسجداً ، وعلى أهل هذه الجهة أن يذهبوا إلى المسجد الذى تقام فيه الجمعة ما دام لا يبعد عنهم بأكثر من ثلاثة أميال وثلث ميل ، أى ستة كيلو مترات تقريبا .

هذا وكثير من فقهاء المسلمين كالإمام أبى حنيفة والإمام الشافعى رحمهما الله تعالى لا يشترطون فى صحة صلاة الجمعة أن تقام فى مسجد .

وعلى هذا يجوز لأهل تلك الجهة أن يقلدوا أصحاب هذا المذاهب فيصلوا فى هذا المكان وصلاتهم صحيحة إذا استوفت باقى شرائط الصحة .

حكمة تحريم الخنزير

السؤال :

نص القرآن الكريم على منع أكل الخنزير منعا باتا ... وفى أثناء دراستنا لعلم الحيوان علمت من أساتذتى أن نوعا من الدود يسمى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

« الدودة الوحيدة » تعيش فى عضلات الخنزير وهى من الجراثيم الفتاكة التى إذا تسربت لجسم الإنسان فإنها تهلكه على مر الزمن . وبدا لى هذا التفسير مقنعا ولو أنه أتى بصورة عرضية من دراسة علم الحيوان . ومع ذلك فقد تراءى لى الآن أن هذه الدودة وأمثالها من الجراثيم فى جسم الخنزير أصبح من السهولة بمكان قتلها وإبادتها بوسائل العلم الحديث كالتبخير والغلى والتعقيم إلى آخره . الأمر الذى دعانى لأن أستفسر منكم عن الحكمة الدينية وراء تحريم أكل لحم الخنزير فأرجو الإجابة على هذا لأتمكن من إقناع فرد أو جماعة لا تدين بالإسلام .

ابراهيم أباظة
طالب بجامعة ليدز بانجلترا

الجواب

على المسلم الذى يؤمن بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم أن يتلقى أوامر الله ونواهيه فى كتابه أو على لسان رسوله بالتسليم والقبول وإن لم تظهر له حكمة هذه الأوامر وهذه النواهى ، معتقدا بأن الله حكيم لا يخلق شيئا ولا يشرع شيئا إلا لحكمة وإن لم نصل إليها ، وليس له إذا لم تظهر له الحكمة فى أمر من الأوامر أو فى نهى من النواهى الإباء عن قبول هذا الأمر أو التسليم لهذا النهى فقد قال الله تعالى : « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم » وقال تعالى : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » فإذا كان الإنسان قد وصل بعقله وعلمه إلى معرفة ما فى الخنزير من ضرر فى تناوله ؛ لما فيه من « الدودة » فليس معنى هذا أن الله إنما حرم الخنزير لهذا الضرر بعينه ، بل يجوز أن يكون فى هذا الحيوان من ضروب الضرر ما لم يصل إليه العلماء إلى الآن ، والآية الكريمة حرمت الخنزير مطلقا سواء زالت منه هذه الدودة أم لم تزل ؛ فعلى المؤمن الذى قام عنده البرهان على صدق الرسول وصحة رسالته أن يسلم ويقبل جميع ما جاء فى كتاب الله أو على لسان رسوله ، سواء ظهرت له الحكمة أو لم تظهر .

كفارة اليمين :

السؤال :

أقسمت على كتاب الله الكريم بألا أفعل شيئا معينا يغضب الله ... أى قلت « أقسم بهذا المصحف الشريف بأننى لن أفعل كذا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أبدا ، ولكنني للأسف الشديد نقضت هذا القسم في نزوة طارئة إذ ارتكبت هذا الإثم الذي عاهدت الله عز وجل على عدم ارتكابه أبدا وعدم العودة إليه .

وعلى أثر ذلك شعرت بضيق شديد ، وتأنيب للضمير متواصل وأريد أن أكفر عن هذا الذنب الجسيم - فما الواجب على عمله حتى أكفر عن ذنبي وأنال رضا ربي ، وأتوب إليه .

ف . ا . أحمد - موظف

الجواب :

يرى علماء الحنابلة وكثير من علماء الحنفية أن الحلف بالمصحف يمين يجب إذا حنث فيه الحالف أن يكفر عنه كما يكفر عن اليمين بالله ، والكفارة كما نص عليها القرآن إطعام عشرة مساكين من أوسط طعام الأهل يغديهم ويعشيهم غداء وعشاء مشبعين ، ويكفي في ذلك أن يعطى كل فقير قدحا وثلث قدح من القمح أو قيمة ذلك ، أو كسوتهم فإن لم يستطع ذلك فعليه أن يصوم ثلاثة أيام متتابعة : « ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم واحفظوا أيمانكم » .

حرمة زواج البنت بموطوء أمها حراما :

السؤال :

أحد معارفي يريد أن يتزوج بفتاة سبق له الزنا بأمها ، وسألني عن ذلك فأخبرته بأن يبتعد عن هذا الزواج حتى أرجع للجنة الفتوى بالأزهر فأرجو توضيح حكم الشرع في ذلك .

ع . ق - فلسطين

الجواب :

مذهب الإمامين أبي حنيفة وأحمد رحمهما الله تعالى أن هذه البنت لا تحل لهذا الرجل لأن حرمة المصاهرة عندهما كما تثبت بالوطء الحلال تثبت بالوطء الحرام .

أما على مذهب الإمام الشافعي والمعتمد من مذهب الإمام مالك رحمهما الله تعالى فتحل هذه البنت له إذا تمحض وطؤه لأمها للزنا بأن لم يكن بشبهة .

* * *

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بين الصحف والكتب

اختيار وتعليق : الأستاذ عبد الرحيم فودة

منزلة السنة من الكتاب :

وما ورد فى السنة بالإضافة إلى ما ورد فى الكتاب ثلاثة أنواع :

(ا) ما كان مطابقا لما فيه . فيكون مؤكداً له ، ويكون الحكم مستمداً من مصدرين : القرآن مثبتاً له . والسنة مؤيدة ، ومن ذلك الأحاديث الدالة على وجوب الصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج ، والدالة على الشرك ، وشهادة الزور ، وقتل النفس المعصومة وحقوق الوالدين .

(ب) ما كان بياناً الكتاب عملا بقوله تعالى : « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون » .

والسنة خير مبين للكتاب فقد كان عمر رضى الله عنه يقول : سيأتى قوم يجادلونكم بشبهات القرآن فخذوهم بالسنن ، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله عز وجل ، وقيل لمطرف بن عبد الله : لا تحدثون إلا بالقرآن فقال : والله ما نريد بالقرآن بدلا . ولكن نريد من هو أعلم بالقرآن .

وقال على رضى الله عنه لعبد الله بن عباس حينما بعثه إلى الخوارج : لا تخاصمهم بالقرآن فإنه حمال ذو وجوه ، ولكن حاججهم بالسنة ، فإنهم لن يجدوا عنها محيصاً ، ولذلك لما استدل الخوارج على كفر مرتكب الكبيرة بظواهر بعض النصوص كقوله تعالى بعد الأمر بالحج : « ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين » لم يجد « على » أبلغ فى الرد عليهم من السنة إذ قال : « وقد علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رجم الزانى المحصن ثم صلى عليه ثم ورثه أهله ، وقتل القاتل وورث ميراثه أهله ، وقطع يد السارق وجلد الزانى المحصن ثم قسم عليهما من الفىء ، ونكحا المسلمات . فأخذهم رسول الله بذنوبهم ، وأقام حق الله فيهم ، ولم يمنعهم سهمهم من الإسلام ، ولم يخرج أسماءهم من بين أهله » .

فللسنة أثر عظيم فى إظهار المراد من الكتاب ، وفى إزالة ما قد يقع فى فهمه من خلاف أو شبهة .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ويكون بيانها للكتاب على ثلاثة أنواع :

١ - تفصيل مجمله ومن ذلك أن الله تعالى أمر بالصلاة فى الكتاب من غير بيان لمواقيتها وأركانها وعدد ركعاتها ، فبينت السنة العملية ذلك ، وقال صلى الله عليه وسلم : « صلوا كما رأيتمونى أصلى » ، وورد فى الكتاب وجوب الحج من غير بيان لمناسكه فبينت السنة ذلك . وقال صلى الله عليه وسلم : « خذوا عنى مناسككم » ، وورد فيه وجوب الزكاة من غير بيان لما تجب فيه ولا لمقدار الواجب ، فبينت السنة كل ذلك .

٢ — تخصيص عامه ، ومن ذلك أن الله تعالى أمر أن يرث لأبناء الآباء على نحو ما بين فى قوله تعالى : « يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين .. الآية » فكان هذا الحكم عاما فى كل أب مورث . وكل ولد وارث فخصت السنة المورث بغير الأنبياء بقوله صلى الله عليه وسلم : « نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة » وخصت الوارث بغير القاتل بقوله صلى الله عليه وسلم : « لا يرث القاتل » ، وبين الله من يحرم التزوج بهن فى آيات المحرمات ، ثم أباح التزوج بمن عداهن فى قوله تعالى : « وأحل لكم ما وراء ذلكم » فخصصت السنة هذا العموم بقوله صلى الله عليه وسلم : « يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب » ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « لا تنكح المرأة على عمتها . ولا على خالتها . ولا على ابنة أخيها . ولا على ابنة أختها . فإنكم إن فعلتم ذلك قطعتم أرحامكم » .

٣ — تقييد مطلقه . كما فى قوله تعالى : « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما » فإن قطع اليد لم يقيد فى الآية بموضع خاص ، ولكن السنة قيدته بأن يكون من الرسغ ، وقوله تعالى : « وليطوفوا بالبيت العتيق » يوجب الطواف مطلقا ، ولكن السنة الفعلية قيدته بالطهارة ، وقوله تعالى : « من بعد وصية يوصى بها أو دين » وردت الوصية فيه مطلقة ، فقيدتها السنة بعدم الزيادة على الثلث .

(ب) ما كان مشتملا على حكم جديد غير مؤكد لما فى القرآن . ولا مبين له . وقد اختلف العلماء فى هذا .

١ — فقال بعضهم : قد تأتى السنة بما ليس فى الكتاب ، ولذلك أمر الله بطاعة رسوله مع الأمر بطاعته فى كثير من الآيات ، وأقر الرسول « معاذا » إلى الرجوع إلى السنة إذا لم يجد فى الكتاب ما يريد ، وذم من يترك سنته ويتمسك بالكتاب وحده فيما روى المقدام بن معد يكرب عنه صلى الله عليه وسلم : « ألا وإنى أوتيت الكتاب ومثله معه .. إلخ » ، وجاءت السنة بأحكام لم ترد فى الكتاب

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

كتحريم الحمر الأهلية . وكل ذى ناب من السباع . وتحريم نكاح المرأة على عمتها أو خالتها .

والرسول لا يأتى فى هذا الباب بما يناقض القرآن ، لأنه أعرف الخلق بما يبلغ عن ربه ، وأخبرهم بمقاصد الشريعة بعناية الله تعالى به ، وعصمته من الزيغ ، وتوفيقه إلى الحق ، وتسديده إلى الصواب .

٣ — وقيل إن السنة لا تأتى إلا بما له أصل فى الكتاب ، فإذا كانت مفصلة لمجمله ، أو مخصصة لعامه أو مقيدة لمطلقه فهى موضحة للمراد منه وإذا جاءت بغير ذلك ، فالمقصود منها إما الحاق فرع بأصله الذى خفى إلحاقه به ، وإما إلحاقه بأحد أصلين واضحين يتجاذبانه .

الأستاذ على حسب الله
من كتاب أصول التشريع الإسلامى

سوكارنو والماركسية :

المجتمع الأندونيسى أحد المجتمعات الإسلامية التى تبلغ نسبة المسلمين فيها خمسا وتسعين فى المائة حسب إحصاء رسمى والخمس الباقية موزعة بين المسيحية وغيرها من النحل المختلفة .

ولقد كان لكفاح المسلمين من أبناء هذا الشعب العزيز أثر مذكور ومشكور فعلى أكتافهم ألقيت تبعات التحرر من قيود الاستعمار تدفعه من نصر إلى نصر عقيدة صامدة لا ترضى لمعتنقيها أن يقيموا على ذل أو يصبروا على هوان ، حتى انبلج صبح الظفر عن نهار مشرق وضاء تتهادى فى سمائه شمس الحرية . التى طال انتظارها بين الشوق واللهفة إلى لقائها المرتقب .

والتاريخ والواقع كلاهما يشهد ويحفظ أن أثر الإسلام فى حرب التحرير الأندونيسية كامل عامل النصر الأهم ، وكانت الحركة الاستقلالية قائمة على هوانق العلماء وأبناء الإسلام الذين سجلوا بدمائهم الزكية فى صحائف المجد آيات التضحية وصور الإخلاص لله والوطن إلى أن جاء نصر الله والفتح فزادهم ذلك تشبثا بالإسلام وحفاظا عليه ، ولمسنا ذلك فى أكثر من مناسبة دلت على تعصب هذا الشعب العظيم للإسلام تعصبا عاقلا رجونا أن تكون كل الشعوب المسلمة على نحوه .

هذا هو الشعب الأندونيسى فى علاقته بالاسلام المجيد . الأمر الذى جعلنا نقلب الكفين وقد قرأنا فى الصفحة الأولى من أهرام ٩ / ٧ / ١٩٦٣ بعنوان سوكارنو يؤكد إيمانه بمبادىء ماركس » .

« أكد أمس الرئيس الأندونيسى أحمد سوكارنو إيمانه بالمبادئ الماركسية كما تطبق على المجتمع الأندونيسى ، وقال سوكارنو

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فى رسالة مكتوبة وجهها إلى الحزب الأندونيسى بمناسبة اجتماعه السنوى السادس والثلاثين أنه بنى مفهومه للماركسية على أساس علمه بظروف أندونيسيا التى تتفق والماركسية ومضى يقول : إنه لمن المؤكد أنى تأثرت فى هذا بالنظرية الماركسية ، وفضلا عن ذلك أحب أن أقر نظرية كارل ماركس عن المادية التاريخية ، وقد وفقت بين هـــذه النظرية وأحوال المجتمع الأندونيسى ووصلت إلى مذهب الماركسية » .

وهكذا فى جلاء ووضوح يؤكد الرئيس الأندونيسى المسلم إيمانه بالماركسية ، وهكذا يؤدى فريضة الشكر للإسلام والمسلمين فى أندونيسيا .

والمعروف بدهيا أن الماركسية كل لا يتجزأ يقوم على قاعدة إنكار الدين ، بل ومحاربته باعتباره فى نظر الماركسيين ـ أفيون الشعوب .

الأستاذ يوسف العشال

من مقال بمجلة الاعتصام

(بقية المنشور على صفحة ٣٧٠)

هل يجوز الانتقال من مذهب إلى مذهب آخر ؟ :

يتبين من دراسة أحوال هذا الانتقال التى فصلها الإمام جلال الدين السيوطى أن المسألة تتعلق بالنية ، فمن حسنت نيته كان له أن ينتقل من مذهب إلى آخر .

* * *

ويخلص المؤلف من هذا البحث الضافى إلى الدعوة إلى تقنين تشريع جنائى إسلامى نأخذ فيه بالأصول العامة للشريعة وبآراء الفقهاء التى تناسب عصرنا من مختلف المذاهب الإسلاميـــة . وليست هذه الدعوه بدعة فى الرأى فقديما نقل الجلال السيوطى رحمه الله عن جماعة كثيرة من العلماء أنهم كانوا يفتون الناس بالمذاهب الأربعة لا سيما من لا يتقيدون بمذهب ، ولا يعرفون قواعده ، ولا نصوصه .

وما أحوجنـــا إلى اقتباس ذلك الرأى فى هذا الزمان .

والقصد من هذه الدعوة هو التيسير على الناس بالأخذ بالقول الذى يناسب العصر فى المسائل والفروع من أى مذهب كان .

ويؤكد المؤلف فى ختام بحثه :

أن الخلاف بين الأئمة والفقهاء فى الرأى وفقا لما تقدم من شواهد وأسانيد ـ أمر تقتضيه طبيعة الأشياء ، فهو ليس اختلافا فى الأصول ، بل هو تفاوت فى فهم نصوص الفروع .

فنحن اليوم إذا أخذنا ما يناسب العصر الذى نعيش فيه من آراء هؤلاء الفقهاء كنا فى نطاق الشريعة السمحة . »

رئيس محمد فتح الباب

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فهـرس

صفحة

٢٥٧ الوحدة الإنسانية مزية الدعوة المحمدية
للأستاذ أحمد حسن الزيات

٢٦٠ الرحمة للهداة
للإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر

٢٦٣ فلسفتى فى الحياة والمبادئ التى اهتديت إليها
للأستاذ عباس محمود العقاد

٢٦٩ شخصية الرسول الأعظم
للأستاذ محمد محمد المدنى

٢٧٥ العتاب فى رفق تكريم وإعزاز
للأستاذ عبد اللطيف السبكى

٢٨٠ المسئولية الجماعية بين الشريعة الإسلامية والشرائع السابقة
للأستاذ الدكتور على عبد الواحد وافى

٢٨٤ الوجهة الثقافية فى تونس
للأستاذ محمد البشير النيفر

٢٩٠ المجتمع الاشتراكى فى ظل الإسلام ـ ٤ ـ
للأستاذ عبد الرحيم فودة

٢٩٤ مجالس الوعظ فى الإسلام : رحالة يتحدث عن واعظ كبير
للأستاذ محمد رجب البيومى

٣٠٠ للعلم الثانى وشعره
للأستاذ سعيد زايد

٣٠٤ مولانا أزاد والخلافة
للأستاذ عبد المنعم النمر

٣٠٩ من معانى القرآن للأستاذ عبد الرحيم فودة

٣١٠ بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية ـ ٧ ـ
للأستاذ محمد محمد أبو شهبة

٣١٥ الاحتفال بالمولد النبوى فى مصر الإسلامية
للأستاذ شفيق أحمد عبد القادر

٣٢١ نزعة الإنتاج للأستاذ فتحى عثمان

صفحة

٣٢٦ الاستبداد والحرية بين المدنية الحديثة وشريعة الإسلام للأستاذ عبد الجليل شلبى

٣٣٢ رسالة الإسلام فى عالم اليوم
للأستاذ عبد المنعم خفاجى

٣٣٦ رأى فى بعض القواعد النحوية : صيغ أخرى للمبالغة للأستاذ أحمد مختار عمر

٣٤٢ فلسطين فى شعر شوقى
للأستاذ كامل السوافيرى

٣٤٧ العقوبة فى الإسلام : حد السكر
للأستاذ محمد فاوى عصر

٣٥١ صحفيون من الأزهر : رفاعة الطهطاوى
للأستاذ محمد على غريب

٣٥٤ للمقومات الخلقية والأدبية ومدى تأثيرها فى تقدير الإسلام للأستاذ عباس طه

٣٥٨ ما يقال عن الإسلام : مراجعات إسلامية
للأستاذ عباس محمود العقاد

٣٦٢ الكتب : للأستاذ حسن فتح الباب
اختلاف الفقهاء وأسبابه

٣٧١ أنباء وآراء : اللجنة الدينية السلفية ـ تعليقان ـ اقتراح حول كتابة المصحف ـ رد على التعليق على مقال الإسلام فى زنجبار .

٣٧٧ الفتاوى : للأستاذ إبراهيم محمد الأصيل
حكم إخراج الزكاة خارج البلد ـ تحرير عقود الرهن بفائدة ، وإضافة مبلغ آخر على المبلغ الأصلى كأتعاب ، واقتسام المبلغ الأصلى مع من حدد له ـ حكم صلاة الجمعة فى غير مسجد ـ حكمة تحريم الخمر ـ كفارة اليمين ـ حرمة زواج البنت بمدوطء أمها حراما.

٣٨١ بين الصحف والكتب : منزلة السنة من الكتاب ـ سوكارنو والماركسية .

مطبعة الأزهر

الثمن أربعون مليما